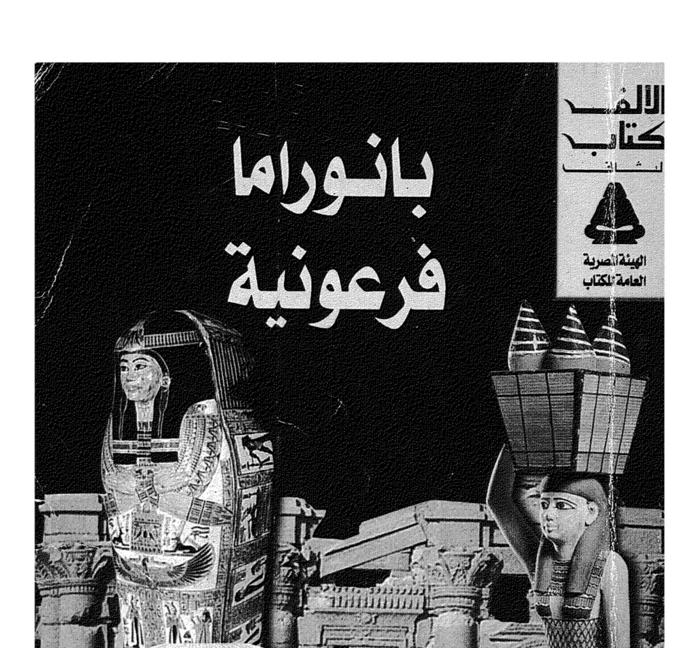


الألف كتاب الثانى

بانوراما فرعونية

الهيئة المصرية العامة للكتاب

محمد عبد الحميد بسيونى



بانوراما فرعونيّة

تأليف

محمد عبد الحميد بسيونى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٩

الفهـرس

الموضـوع | الصـفحة

مقـدمة ٧
١ ـ مصر ٩
٢ ـ مدينة عين شمس .. وأول خطوة حضارية ذكية . ١٦
٣ ـ التقويم .. من ابتـكار قدماء المصريين ٢١
٤ ـ عيـد الميـلاد ٢٩
٥ ـ هؤلاء لا يرون النجوم وحدهم ! ٣٥
٦ ـ عروس النيل .. خرافة ؟! ٣٩
٧ ـ أغرب مؤتمر دولى للسحر والشعوذة ٤٧
٨ ـ أبو التاريخ القديم .. هيرودوت وأبو الطب القديم .. هيبوقراط .. يشهدان ببراعة الطب المصرى ٥١
٩ ـ المصريون القدماء .. وضعوا أسس فن العقاقير النباتية ٦٣
١٠ ـ ٣٥ قرنا .. واللصوص تتعقب هذا الملك ٧١
١١ ـ « الاتيكيت » عند قدماء المصريين ٨١
١٢ ـ فى المتون المصرية .. اعتراف بكرامة الأم ٨٨
١٣ ـ أفلاطون .. اختار لجمهوريته الموسيقى المصرية القديمة ١٠٠
١٤ ـ الباروكة .. هل هى من تصميم الفراعنة ؟! . . ١٠٧
١٥ ـ قلعة أثرية .. وقصة ولادة الحضارة ١١٢
١٦ ـ عيد .. من أعمـاق التاريخ ١١٧
١٧ ـ « الكريسماس » .. فرعونى الأصل ! ١٢٠
١٨ ـ شجرة العذراء .. أسطورة غير صحيحة ! . . . ١٢٥
١٩ ـ على بابا والأربعون حرامى بدأت عند الفراعنـة . ١٢٣

الموضـــوع	الصـــفحة

٢٠ ـ السيناريو ·· فن فرعونى ١٣٧
٢١ ـ هل القطط ·· بسبع أرواح ؟! ١٤٣
٢٢ ـ أعياد الربيع ·· بين العود ·· والرباب ·· والطنبور ·· ١٤٩
٢٣ ـ لغة الأزهار ·· فى عيد أول الزمان ١٥٣
٢٤ ـ عازف قيثارة فرعون ·· وأغرب حفلة فنية ؟! . . ١٥٩
٢٥ ـ ٧٠٠ الف رجل وامرأة في أغرب عيد فرعوني !! . ١٦٥
٢٦ ـ صفحات حب عمرها ٧ آلاف سنة ١٧٥
٢٧ ـ اغانى الحب عند قدماء المصريين ١٩١
٢٨ ـ النكتة فى دم المصريين القدماء ١٩٥
٢٩ ـ الفرعون ٢٠٥
٣٠ ـ عودة قمبيز ! ٢١٣
٣١ ـ أول أسطورة فرعونية درامية ٢١٨
٣٢ ـ بعد ٢٢ قرنا ٢٢٣
٣٣ ـ مومياوات الفراعنـة ٢٢٩
٣٤ ـ سر التحنيط المصرى ٢٣٦
٣٥ ـ أبو الهول : النجدة ٢٤٠
٣٦ ـ ظاهرة فلكية ·· تكشف لغز أبى الهول ؟! . . . ٢٤٥
٣٧ ـ ·· بعد نجدة مصر لـ « السامرة وأورشليم » واستقبالها لـ « أرميا » ما سر الأقليات الأجنبية فى أسوان ؟! . ٢٥٠
٣٨ ـ سر نقوش « سرابيط الخادم » فى سيناء ٢٦١
٣٩ ـ الفراعنة ·· أصحاب الاختراع الأصيل لأبجديات لغـات العـــالم ٢٧٣
٤٠ ـ الجيش المصرى ·· أمجاد تعانق السـماء ٢٩٤
خاتمة ٣٠٤

مقدمة

للقديم فى نفوس الناس قدسية وجلال ، وللماضى فى قلوبهم حنين ورحمة ، وللعظمة فى نفوسهم شجون واحترام ، ولجمال الفن فى نفوس العارفين تقدير واكبار ، والقدم والعظمة وجمال الفن ٠٠ كلها أمور انعقدت معا ٠٠ واذا اجتمع كل أولئك فى شىء واحد كان من شأنه أن يؤثر فى النفوس وأن يهز العواطف وأن يجد فى القلوب أكرم منزلة وأرفع مكانة ٠٠ لقد اجتمعت كلها فى حضارة مصر الفرعونية ٠

فالى هؤلاء الذين جاهدوا فى تأسيس مجتمع مصر الفرعونية من معلمين ورواد فى كافة مناحى الحياة الذين جعلوا من لوح الكتابة ابنا حبيبا ٠٠ وكتب التعاليم مصابيح يهتدى بها ، وقلم الغاب

رفيقا مخلصا ، فكانت هذه الحضارة التى شملت كل شىء • ضمت تحت جناحيها آروع ما أبدعته البشرية فى الطب والفلك والعلوم والهندسة والعمارة والزراعة والآداب والفكاهة والنكتة وأثمرت هذا الفن الأسطورى ، فضمنوا لحياتهم البقاء ولحضارتهم الخلود •

محمد عبد الحميد بسيونى

(١)

مصر

كثرت فى الآونة الأخيرة الأقاويل حول أصل تسمية « مصر » ومقابلها فى الانجليزية EGYPT ، وقد وردت تعليقات مختلفة بعيدة كل البعد عن الحقيقة ، وتدخل فى نطاق تشويه الحقائق ، سواء ما قاله بعض الكتاب وما نشرته بعض الصحف والمجلات . ولتوضيح الرؤية للقارىء وحتى لا يقع فى دائرة التشويش رأيت أن أسواق هذه المعلومات الصحيحة سواء عن أصل تسمية مصر أو التسمية الانجليزية . سمى المصريون القدماء أرضهم باسم (كيمه) بمعنى السمراء أو السوداء اشارة الى سمرة تربتها الطينية وخصوبتها . وارتبط الاسم الشائع لوطنهم مصر فى اللغات السامية القديمة بمترادفات تدل على معانى الحد والحاجز والمكان الحصين ، فضلا عن البلد المتمدين . كما يحتمل أن اسم « ايجيبت » الشائع عنها فى اللغات الأجنبية منذ أيام اليونان قد حرف فى أصله عن اسم « أجبه » المصرى بمعنى أرض الفيضان وذلك الى جانب أسماء أخرى لها مدلولاتها .

فقد أطلق المصريون القدماء على وطنهم مجموعة من الأسماء والصفات ، منها : « كمت » و « دشرت » و « تاوى » و «ايدبوى» و «تامرى» و «تامحو» و «تاشمعو» ٠٠ الخ ٠

وكان الاسم الاول يعنى اللون الأسود أو الأسمر ، وهو أحب الأسماء الى قلوب وعقول قدماء المصريين وأكثرها استخداما فى النصوص المصرية ، طوال عصور الحضارة المصرية القديمة ٠ وهو الاسم الذى يشير الى خصوبة أرض مصر فى مقابل أرضها الصحراوية الحمراء ـ دشرت ـ ولا أظن أن كلمة « كمت » التى أصبحت فى القبطية ـ وهى آخر صور اللغة المصرية القديمة ـ « كيميى » لها صلة بعلم الكيمياء أو بأرض السحر ٠

منذ القرن التاسع قبل الميلاد على أقل تقدير ورد ذكر كلمة « ايجوبتس » ، ولأول مرة فى ملحمة الشاعر اليونانى « هوميروس » الأوديسا ـ اشارة الى مصر ٠ هذه الكلمة المشتقة من أصل مصرى قديم لا تحتمل أكثر من تفسيرين فيما يتعلق باشتقاقها :

فهى مشتقة من « حت ـ كا ـ بتاح » بمعنى معبد «مقر» قرين (الاله) بتاح ، وهو الاسم الذى عرف به المعبد الرئيسى للاله بتاح اله مدينة منف (ميت رهينة مركز البدرشين حاليا) وهى واحدة من أقدم وأكثر المدن المصرية القديمة قدسية ٠ ولما لم يكن للحاء مقابل صوتى فى اليونانية فقد سقط فى أول الكلمة وآخرها واستبدلت الجيم بالكاف ، وأضيف حرف الـ (س) (S) فى نهاية أسماء الاعلام

والأماكن في اليونانية · وليس غريبا أن يطلق الجزء على الكل أى يطلق اسم المعبد واسم المدينة على مصر كلها ، فالمسافر من حلب الى دمشق يقول انه متجه الى الشام والعكس صحيح أيضا ، فالمسافر من الاسكندرية الى القاهرة يذكر انه متجه الى مصر · أما الاحتمال الثانى ، فيكمن فى كلمة (آجبى) التى تشير الى النيل والفيضان والماء الأزلى الذى برزت منه أرض مصر، وكلها معان ليست بعيدة عن تصورات وعقائد المصريين حول الأصول الأولى لنشأة وطنهم · والى « ايجوبت » أضيفت ياء النسب لتصبح « ايجوبتى » أى «مصرى» أو «ساكن مصر » وهى التى صرفت بحكم الامتداد الزمنى الطويل الى « جبتى » أو « قبطى » وتعنى «مصرى» · أما الاسم الثالث الذى يمثل مرحلة تالية والذى أصبح علما على بلدنا وهو « مصر » فقد ورد منذ القرن ١٤ ق·م على أقل تقدير فى نصوص فينيقية وآكادية وأوجاريتية(سورية) ثم أخذ يتردد بكثرة فى النصوص الآشورية والبابلية (العراقية) فى القرنين ٧ ، ٨ ق·م « مصر » و « مصور » و « مصرو » ، وكذلك فى الخط المسند (اليمنى القديم) وفى النصوص العبرانية (مصرايم) · وهى كلمة فى صيغة المثنى تعد استمرارا لحرص المصرى القديم على الاشارة الى بلده ب «الأرضين» و «القطرين» ، اشارة الى شمال مصر وجنوبها · ورغم ورود هذه الكلمة فى لغات سامية وغير سامية يظل الأرجح أن « مصر » مشتقة من كلمة مصرية قديمة هى « مجر » التى تعنى « المحمية » أو « المكنونة » أو « المصونة » اشارة الى كنانة الله فى أرضه التى حباها بحدود طبيعية آمنة فالبحر فى الشمال، والجنادل والمناطق الوعرة فى الجنوب،

والصحراء فى الشرق والغرب • وكون « مجر » حرفت الى (مصر) فهذا أمر مقبول فبعض الكلمات فى لغتنا العربية ترجع باصولها الى كلمات مصرية قديمة ، مثل « وج » التى أصبحت « وصى » و « جبح » التى أصبحت « صبح » • ولا أظن فى النهاية أن كلمة « مصر » بالنسبة لاسم بلدنا تعنى « قطر » •

ولابد بهذه المناسبة أن نسلط الضوء على سر حضارة قدماء المصريين وابتداعهم الكتابة ••

لقد بدأ المصريون الكتابة منذ نيف وخمسة آلاف عام • وسبقوا بها أمم العالم المتحضر القديم ، فان هذه الغرابة يمكن أن تقل اذا قدرنا أن الحروف التى نكتبها اليوم ، عربية كانت أو لاتينية ليست غير تطورات أخيرة لصور قديمة عرف علماء اللغات بعضها . وعزت عليهم معرفة أصول بعضها الآخر • وهناك ما يقرب من مائتى كلمة مصرية قديمة لا تزال أمثالها حية فى مفردات اللغة العربية الفصحى وهى مجرد قلة من كثرة اندثر بعضها وانزوى بعضها الآخر فى بطون المعاجم نتيجة للتطور الزمنى والحضارى لمفردات الكتابة والحديث • ولعل الأكثر دلالة على صلة الرحم القديمة هو وجود صلات جوهرية بين قواعد النحو فى كل من اللغة المصرية القديمة واللغة العربية بخاصة ، على الرغم من اختلاف صور الكتابة بينهما • ومن ذلك وجود حروف الحاء والعين والقاف فى اللغة المصرية القديمة ، وشيوع المصدر الثلاثى بين أفعالها ، وغلبة الفعل المعتل الآخر فيها •• وما أخذت به عن سبق الفعل للفاعل ، والحاق الصفة بالموصوف ،

وأستخدام صيغة المثنى، وكتابة الحروف الساكنة وشبه اللينة في كلماتها دون حروف الحركة ، واضافة تاء التأنيث في نهاية بعض أسمائها وصفاتها المؤنثة ، واستخدام ياء النسب ، وتمييز البعض من الكل ، واستخدام كاف المخاطبة وميم المكان ونون الجمع مثل اللغة العربية • وذلك فضلا عن تشابه عدد من ضمائرها مع ضمائر بعض لهجات اليمن ولهجات العراق ولهجات جنوب الشام في العصور القديمة ، مع اختلاف طريقة النطق بين كل واحدة والأخرى •

وعما يرتبط في اذهان الناس عن «فرعون» من معاني الجبروت والقوة نجد ان الفرعون منذ عصر بداية الأسرات هو رأس الدولة قولا وعملا تركزت السلطات العليا كلها في قصره الذي كان يسمى « برعو » و « برنيو » ، وبلغ من سلطانه الرسمي ما يمكن التعبير عنه بمثل تعبير لويس الرابع عشر ملك فرنسا في عهد مجد الملكية المقدسة « أنا الدولة والدولة أنا » ، على أن القول بمثل هذه السلطة الرسمية الواسعة للحاكم المصري الأعلى ، ليس من الضروري أن يؤدي الى الاسراف في الربط بين سلطاته وتسميته بالفرعون وبين ربوبية لازمة ادعاها لنفسه ، أو حكم جائر وسلطة غاشمة • فلفظ فرعون لم يكن في بدايته أكثر من لقب اصطلاحي اداري كتب في صورته المصرية (برعو) بمعنى البيت العالي او القصر العظيم ، أي قصر الحكم المركزي الرئيسي في الدولة ، والذي كان يتجه الجميع اليه في حالات الرغبة والرهبة والطاعة والاستشارة جميعا • ثم امتد مدلول « برعو » فأصبح يطلق على القصر وساكنه تماما كما أصبح عليه الحال خلال الحكم العثماني بعد آلاف السنين ، من حيث

التعبير بلفظ (انباب العالى) عن قصر السلطنة ، وبالتالى عن السلطان نفسه • بل ومازال هـذا حال لغـة الصحافة حين تتحدث عن سياسة البيت الأبيض الأمريكى مثلا وتعنى بهـا سياسة حكامه • ومع الزمن اعتاد المصريون على ان يطلقوا لفظ «برعو» على كل ملك مصرى الى جانب اسمه الشخصى ، بما يشـبه لقب قيصر عنـد الرومان والبيزنطيين ، ولقب النجاشى عند الأحباش • وحرف العبرانيون لفظ « برعو » الى « فرعو » لاختلاط الباء بالفاء فى اللهجات القديمة • ثم أضافت اللغة العربية اليه نونا أخيرة • وهكذا لم يكن لفظ فرعون وجمعه فراعنة يدل على لون معين من الحكم أو عـلى جنس معين من السكان •

القرآن الكريم وصف الفرعون الذى عاصر موسى عليه السلام بأوصاف التجبر والطغيان وادعاء الربوبية ، ولكن ليس علينا بطبيعة الحال أن نعمم صفاته على كل الفراعنة ، لا سيما وأن القرآن الكريم وصف عزيز مصر الذى عاصر يوسف عليه السلام بأوصاف أخرى طيبة • فالحـكام فى كل مجتمع وكل زمان وأيا كانت ألقابهم ، يتعاقب منهم العادل والظالم والصالح والطالح ، وهكذا كان شأن الحكام المصريين وغير المصريين •

أيضا نقول عن « أنب حج » أو منف المشهورة •• ان « أنب حج » هى مدينة منف ، ثالث المدن المصرية الكبرى فى عصر بداية الأسرات من حيث الزمن ؛ ولكنها ظلت أوفرها مجدا وأبقاها شهرة • وتعددت الاحتمالات حول ترجمة اسمها الأول (أنب حج) ، فهو يعنى الجدار الأبيض أو السـور الأبيض أو الأسوار البيضاء • ويمكن التعبير به عنها كمدينة

بألفاظ شاعرية ، مثل الجوزاء والحسن الأبلق • أما اسم (منف) فكان تحريفا لاسم « منفر » الذى جد على المدينة بعد هذا العصر بعدة قرون خلال عصر الأسرة السادسة ، وكان يخص هرم الملك بيبى الأول القريب منها ويصفه بأنه الأثر الجميل أو الاستقرار الأخير • ثم أطلق فيما بعد على المدينة كلها •

(٢)

مدينة عين شمس ..

وأول خطوة حضارية ذكية

زاد الاهتمام فى عهد الملك زوسر (الأسرة الثالثة ٢٧٨٠ ـ ٢٦٨٠ ق.م) بمدينة عين شمس مقر عبادة الشمس ، وحمل كبير مهندسيه ايمحوتب لقبا قد يقرأ « كبير المتطلعين الى السماء » لرصد حركات الكواكب والنجوم فيها ، باعتباره رئيس الفلكيين فى مدينته . أو يقرأ بما يعنى أنه المتطلع الى رب الشمس الكبير باعتبـاره رئيس كهنتـه ، وارتبطت رعاية زوسر للمدينة بخطوة حضارية جديدة ، اهتدى فيها علماؤها الى اختراع أو ابتداع تقويم مدنى يجمع بين خصائص التقويم الشمسى والتقويم النجمى ونفذوه منذ عام ٢٧٧٣ق.م على وجه التقريب ، واحتسبوا أيام السنة على أساسه ٣٦٥ يوما وقسموها اثنى عشر شـهرا ، ضمنوا كل شهر منها ثلاثين يوما، ثم اعتبروا الأيام الخمسة الأخيرة أيام أعياد تحتفـل الدولة فيهـا بموالد

الأرباب : أوزير وايســـة وست ونبت حت وحــور (أى أوزيريس وايزيس وست ونفتيس وحـــورس) وهى أيام النسىء الخمسة التى تحتفظ السنة الزراعية بها حتى الآن .

وكان كل من الباحثين العلماء كورت زيته ولودفيج بورخارت وادوارد ماير ، قد ردوا هذه الخطوة الحضارية الى أيام مجد عين شمس السياسى خــلال فجــر التاريخ وبدأوا التقويم على هذا الأساس فى فترة تقع بين عامى ٤٢٤١ ــ ٤٢٣٦ ق.م ثم قام جدل طويل اعترض اعتقادهم ، وهــو جدل لا يخلو من منطقية ووجاهة ، ومؤداه أن ابتداع المصريين لهذا التقويم لم يكن بالأمر الهين ، وأنه كان يتطلب ملاحظة طويلة ويعتمد على نضج عقلى واسع ، لم يكن من السهل أن يتوافر فى دنياهم قبــل عهــد الملك زوسر ، وانه اذا كان المصريون قد اهتدوا الى تقويم سنوى قبل عهده ، فهو التقويم النيلى أو التقويم الذى يبدأ ببداية وصول فيضان النيل الى منطقة معنية ذات أهمية سياسية أو قيمة حيوية وهى منطقة « برحعبى » التى توسطت بين عين شمس ومنف وتقرب من جزيرة الروضـــة أو مصر العتيقة الحــالية ، وانه اذا كان المصريون قد اهتدوا الى التأريخ بالشهور قبل عهــد زوسر وهذا مؤكد ، فهو تأريخ اعتمد على الدورة القمرية الشهرية التى يمكن ترسم بدايتها ونهايتها فى يسر وسهولة . وشيئا فشيئا لحظ المصريون المحتفلون بوفاء نيلهم ، أن فجر وصول فيضانه الى ما يجــاور عين شــمس ومنف يقترن بظــاهرة سماوية معينة وهى انه بعد اختفاء نجم الشعرى ذى الضوء الساطع الذى اعتبروه أنثى وسموه « سوبدة » عن مجــال الرؤية نحو سبعين يوما ، يعود فيتألق فى أفق السماء ويبقى

حتى مطلع الشمس المبكر كأنما نيبشر ببداية الفيضان • ولما استقرت هذه الظاهرة في أذهانهم ولحظوها زمنـا أصبحوا يترقبون اجتماع هذه الظواهر الطبيعية عن قصد وأطلقوا على الشعرى لقب جالبة الفيضان ، واعتبروا بداية ظهورها في الأفق الشرقي عند الفجر (حوالى ١٧ يوليو من التقويم اليوليانى) أول يوم فى أول شهر فى أول فصل وهو فصل الفيضان • ثم حسبوا ما بين كل ظهور صادق وظهور صادق آخر للشعرى مع مطلع الشمس فوجدوه ٣٦٥ يوما ووجدوه يتضمن اثنى عشر شهرا قمريا وكسورا لا تصل الى نصف شهر • فأكملوا عدة كل شهر ثلاثين يوما وتبقت خمسة أيام احتسبوها نسيئا وأعيادا ثم اعتبروا السنة ثلاثة فصول •• فصل الفيضان « آخت » ، وفصل خروج النبت من الأرض «برت» وهو يوازى فصل الشتاء ، ثم فصل التحاريق «شمو» • وكان من المتوقع أن تتم هذه الخطوة البارعة في عهد نشط ينزع أهله الى التجديد ويسعون اليه • وكان فيما يرجحـه المعترضـون عـلى رأى « زيته » وزملائه عهد زوسر ، ولم يسجل المصريون شيئا عن مراحل هذه الخطوة فى حينها أو فى عهد آخر من عهود الدولة القـديمة ، ولـكنهم أرخـوه بالفصول والشهور الاثنى عشر بالفعل بعد عهد زوسر •

ثم أشار خلفاؤهم الى دورة الشعرى فى وثائقهم ثلاث مرات على أقل تقدير على فترات متباعدة ، غـير أن هـذه الخطوة التى ربط المصريون بينها وبين دورة الشعرى ، كما ربطوا بينها وبين الانقلاب الشـمسى قصـدا أو اتفـاقا ، وقسموا الشهور على أساسها اثنى عشر شهرا ، وسبقوا بهـا كل شعوب العالم القديم التى ظلت تؤرخ بالتقويم القمرى

وجده ، لم تكن بغير نقيصة تؤخذ عليها ، فهم قد احتسبوا سنتهم ٣٦٥ يوما وليس ٣٦٥ يوما وربع يوم· وكان من شأن ربع اليوم، أن يصبح يوما كل أربع سنوات ويصبح شهرا كل ١٢١ عاما وربع عام تقريبا · وبمعنى آخر كان من شـأن بداية السنة المدنية الفلكية (الشمسية الشعرية) أن تتأخر عن بداية الفيضان الفعلية شهرا بعد كل ١٢١ عاما وربع عام ، ثم لا تعود لتتفق معها الا بعد أن يبلغ الفارق بينهما حولا كاملا بعد كل ١٤٥٦ عاما ·

ولم تتكرر ظاهرة الاتفاق بين البدايتين ، بداية السنة المدنية أو الفلكية ، وبداية الفيضان غير ثلاث مرات منذ أن بدأ المصريون توقيتهم عام ٢٧٧٣ ق·م وهـو عام البـداية وعام١٣١٧ق·م وهو عام تولي سيتي الأول ، ثم عام١٣٩م· وقد سجل هذه المرة الأخيرة الروماني المتوطن كنسورينوس وأثبت فيها أن نجم «سوبدة» ظهر في موعده وأدرك المصريون هذا الفارق وتندر أدباؤهم به ولكنهم لم يعملوا على تلافيه في حدود ما تدل عليه وثائقهم المعروفة حتى الآن · الى أن أشار قرار كانوب (أبو قير) الذى أصـدره مجمع الكهنـة المصريين عام ٢٣٧ ق·م الى اتجاه النية حينذاك الى اضـافة يوم على أيام النسيء الخمسة « حتى لا تأتي أعياد الشتاء في الصيف نتيجة لتغير الشمس يوما كل أربع سنوات ، وحتى تصبح أعياد الصيف الحالية أعيادا شتوية في المستقبل كما كان عليه حالها في الماضي » · غير أن التجديد لم يستمر ولم يتعدل التقويم بصورة دائمة الا في عهد أوجسـطوس عام ٣٠ ق·م حين ظهر التقويم اليولياني وثبت العام بمقتضاه ٣٦٥ يوما وربع يوم ·

والطريف أن كلا من استرابون وديودور الصقلى قد ردا الفضل الأصيل فى هذا التعديل الأخير الى المصريين أنفسهم ، واعتبراه اختراعا ذكيا قديما . وعلى أية حال، فلازال التقويم القديم مأخوذا به فى أساسه حتى الآن فى السنة الزراعية ، أو ما يعرف خطأ باسم السنة القبطية ، ويفضله المزارعـون عادة على التقويم الميلادى وشهوره الافرنجية ويرونه أنسب لتعيين مواقيت الحرث والبذر والرى والحصاد على الرغم من نقص ربع اليوم الفلكى فيه .

ولازال بعض الفلاحين يحتفظون بذكريات أجدادهم فى تسـمية ليلة الفيضـان « ليلة النقطة » أو « ليلة سـقوط الدمعة » فى ١٢ بؤونة . أى الليلة التى دمعت فيها الربة ايسة (ايزيس) ، المرموز اليها بنجم الشعرى ، على زوجها أوزير فجرى الفيضان من دمعتها .

وظل المصريون القدماء يميزون الشهور بأرقامها الى أن ربطوا بينها وبين أسماء ومناسبات مقدسة خلال الدولة الحديثة ، ثم استقرت هذه الأسماء منذ القرن السادس ق.م. وبقيت حتى الآن مع قليل من التحريف اللفظى مثل .. توت وكان يوافق عيد الآله تحوتى .. وهاتور وكان يوافق عيد الربة حتحور .. وهكذا .

(٣)

التقـــــويم ..

من ابتكار قدماء المصريين

● تعال الى يا آمون خلصنى من الســـنة المضطربة .. ان الشمس لم تعد تسطع والشتاء يحل على الصيف والشهور تسير القهقرى ●

من كراسة تلميذ عمرها ٤٠٠٠ سنة .

تعددت الأعياد السنوية عند قدماء المصريين، التى كانت تعتمد أساسا على التقويم فهناك على سبيل المثال عيد رأس السنة ، وعيد فيضان النيل، وعيد الحصاد ، وعيد ظهور نجم الشعرى اليمانية بشيرا بالفيضان وأعياد فصول السنة الثلاثة وعيد أيام النسىء الخمسة وعيد آخر السنة ، الى جانب الأعياد الشهرية مثل عيد ظهور الهلال وعيد اكتمال القمر .

كان المصرى القديم يجهل التواريخ الثابتــة فى أول الأمر • وخلال فترة حكم كل ملك ، كانت تعتبر تقويما قائما بحد ذاته ، تؤرخ ابتداء منه الحوادث التى تقع خلاله • ولذا أصبح من العسير أن نعين لهذه الحوادث تاريخا مطلقا موثوقا به ، ما لم نكن نعرف تماما ترتيب تتــابع الملــوك فى كل العصور ومدد حكمهم بالضبط • واستطاع المصرى القديم أن يستخدم بعض مظاهر الطبيعة ليحدد طول السنة ، ولكن كانت هناك ظاهرتان جعلتا المصريين يفكرون فى التاريخ : أولاهما الطبيعة المحيطة بهم ، وثانيهما النيل المنتظم الفيضان والجــريان • وانه ليغلب الظن أن الوصــول الى التقــويم الشمسى تم فى الحقبة الاثيوليتية •

وكانت الســنة المصرية تتــكون من ثلاثة فصــول هى الفصول المتصلة بالنهر والزرع وهى فصل الفيضان (آخت) وفصل الزرع أو الانبات (برت) ثم فصل الحصاد (شمو) وكل فصل من هذه الفصول يحوى شــهورا أربعــة أعطيت أرقاما فى أول الأمر ، ثم أطلقت عليها أسماء منــذ العصر الفارسى ، حوالى القرن السادس قبل الميلاد • وهى الأسماء المعروفة الآن بأسماء شهور السنة القبطية التى يعتمد عليها فلاحو مصر اعتمادا مطلقا وهى : توت ، بابة ، هاتــور ، كيهك ، طوبة ، أمشير ، برمهات ، برمودة ، بشنس ، بؤونة أبيب ، مسرى•

وقد اشتق اسم كل شهر من العيد الرئيس الذى كان يحتفل به خلاله • وكان عدد أيام كل شهر ثلاثين يوما وأضافوا آخر السنة خمسة أيام هى أيام النسىء •

وليس هناك شعب من الشعوب القديمة غير مصر الفرعونية استعمل تقويما ليست السنة فيه مجموعة شهور قمرية بل أساسها دورة الشمس وعودة الفصول فى أوقاتها• وهذا التقويم هو نفس التقويم الذى اعتمده يوليوس قيصر وفرضه على العالم الرومانى بعد تعديل طفيف • ثم أصلحه البابا جريجورى الثالث عشر فى القرن الرابع عشر ، وأصبح التقويم العالمى المعروف بالتقويم الميلادى •

لقد كان من المشاهدات الفلكية لدى قدماء المصريين ، أن يوم ابتداء الفيضان الذى يصل فيضه فى تاريخ ثابت كان يصادف يوم الطلوع الشمسى لنجم الشعرى اليمانية (سوبدة) عند قدماء المصريين • أى اليوم الذى يطلع هذا النجم فى صباحه فوق الأفق فى وقت واحد مع الشمس ويوافق ١٩ من شهر يوليو من التقويم اليوليانى ، والسنة على ذلك وحدتها ٣٦٥ يوما هى المدة التى تفصل بين شروقين شمسيين للنجم المذكور • وقد قسمها المصريون الى الأقسام السالفة الذكر ، ثم حسبوها فى العهود التاريخية بحسب عمر كل ملك •

ويتضح من مطالعة ما جاء بحجر « بالرمو » أن السنة ٩ كانت تسمى بمجرد انتهائها باسم أهم حادث وقع فيها • ولكنهم لم يستعملوا حادثا واحدا ليبدأوا منه عصرا ثابتا

يؤرخون به ، ولقد كان النجم فى الأفق الشرقى عنـد خط عرض ٣٠ قبل الشروق بعشر دقائق ، والاسم المصرى الذى أطلق على النجم « سوبدة » يعنى المجهز • وكان يظهر فى نواحى منف ، وعين شمس • ولكن ما دامت منف لم تؤسس الا فى أوائل الحقبة التاريخية بينما ورد ذكر «أون» عين شمس أو هليوبوليس فى أقدم النصوص كمركز دينى لعب دورا كبيرا من قبل ، فانه يرجح أن الفضل فى وضع التقويم المصرى القديم يرجع الى الفلكيين الذين كانوا يقومون بهذه الدراسة فى « أون » وحـدها ، وبذا يكـون التقويم لمملكة الـوجه البحرى قد بدأ منذ أواسط عهد ما قبل الأسرات •

ولقد رأى المصريون فى ظهور النجم فى أول الأمر مظهرا منتظما من المظاهر الطبيعية • فقاموا بدراسة ظروف ظهوره واكتفوا بتسجيل ذلك وقدروا مدى ما يمكن أن يلاقوه من عنت ان هم حاولوا اجبار الشعب عـلى التأريخ طبقا له ، وخاصة أن ذلك يحتاج الى عملية حسابية معقدة لا يستسيغها الفلاحون والعامة ، وكذلك نرى بالنسـبة للأعياد المدنيـة والدينية حين يجىء الشتاء بأعياد الصيف وبالعكس فانه لم يؤد الى ارتباك فى الحياة الزراعية للبلاد ، ذلك لأنها كانت قائمة على تتابع الظواهر الطبيعية ، كمـا هى الحال اليـوم بالنسبة لتنقل التقويم القمرى وهو أكثر وضوحا • ورغم ذلك ، فان الفلاح المصرى اليوم لا يضيق به وبتقلبـاته • وحين كانت تمر ١٤٦٠ سنة كانت الأمور تعود الى نصابها وتستمر كذلك مدة أربعة أعوام ، وتسمى هذه الدورة ذات الـ ١٤٦٠ عاما بدورة الفترة الشعرية أو الدورة السوثيائية • وقد سجل المؤرخ سانسرويون عام ١٤٠م : ان النجم سوبدة

ظهر في موعده وهو تسجيل له قيمته من غير شك ، ذلك لأنه لما كان ظهور النجم يتأخر يوما كل أربعة أعوام فانه يعاود الظهور فى نفس الموعد بعد مرور دورة سوثيائية كاملة ٠

وهناك نصوص الأهرام التى تثبت بالكتابة والصورة معرفة قدماء المصريين للتأريخ منذ قديم الزمان، وتذكر أيضا أيام النسىء على أنها الأيام التى ولد فيها كبار آلهة أسطورة أوزيريس ٠ فمن نصوص الدولة القديمة نستطيع أن نميز بين تسميتين مختلفتين ، فهم مرة يقولون رأس السنة وأخرى يقولون فاتحة السنة ، وقد أدى بحث علماء اللغة المصرية الى أن هاتين الكلمتين تؤديان معنيين مختلفين ، فالأولى تعبر عن السنة العادية وعدد آيامها ٣٦٥ يوما والثانية استعملت للتعبير عن السنة الشمسية التى يحدد بدءها ظهور النجم « سوبدة » وعدد أيامها ٣٦٥ يوما وربع ٠ والواقع أن الفرق يبدو طفيفا لأول وهلة فهو بضع ساعات كل سنة ولكن حقيقة الأمر أن السنة المدنية تتأخر يوما كل أربع سنوات عن السنة الشمسية ، أو بمعنى آخر أن اليوم الأول من السنة المدنية لا يتفق مع اليوم الأول من السنة الشمسية الا مرة كل ١٤٦٠ سنة (٣٦٥ × ٤) وهذه المصادفة لم تحدث سوى ثلاث مرات فى تاريخ مصر القديمة ٠ ولم يكن الأمر محسوسا فى الواقع من الناحية العملية الا قليلا فى مدى جيل ، ولكنه برز واضحا على مر القرون حتى بدت فصول التقويم غير مطابقة للفصول الحقيقية ، ولدينا شاهد على ذلك وهو تمرين انشائى لأحد الكتاب حفظ فى كراسة تلميذ من عهد الأسرة التاسعة عشرة ـ ١٣٠٤ قبل الميلاد ٠٠ « تعال الى

يا آمون خلصنى من السنة المضطربة ٠٠ ان الشمس لم تعد تسطع ٠٠ والشتاء يحل محل الصيف والشهور تسير القهقرى ٠٠ » هكذا نرى أن التباين بين التاريخين بدا واضحا بل كان موضع تذمر وربما حديث فكاهة ٠

من هنا نجد أن المصريين القدماء توصلوا الى التأريخ والتقويم بينما نجد معاصريهم من الشعوب الأخرى يموجون فى ظلمات الجهالة ، فلا نعجب اليوم من أن التقويم الميلادى ما هو الا نتاج جهد وملاحظة دقيقة وعمل مضن قام به أجدادنا المصريون لاسعاد البشرية وليضيئوا للعالم طريق الحضارة ويوفروا له أسباب التقدم ، فأصبح الشهر قمريا أو شمسيا ٠٠ فالقمرى هو عبارة عن مدة الزمن التى تمضى بين ظهور الهلال واختفائه ، وهى المسافة التى يدور فيها القمر حول الأرض وهى ٢٩ يوما أو ٣٠ يوما ، والشهر الشمسى عبارة عن مدة الزمن الذى تدور فيه الأرض حول الشمس وهى مسافة ٣٠ درجة ٠ وعدد الشهور الشمسية تارة ٣٠ يوما وتارة أخرى ٣١ يوما الا شهر فبراير فانه يكون دائما ٢٨ يوما فى السنة البسيطة و ٢٩ يوما فى السنة الكبيسة ٠

فالسنة القمرية هى التى تتركب من الشهور القمرية ، أى من دوران القمر حول الأرض ١٢ مرة وعدد أيامها ٣٥٤ يوما و ٨ ساعات و ٤٨ دقيقة ، ولكن جرت العادة بجعل السنة القمرية البسيطة ٣٥٤ يوما عددا كاملا ٠ أما السنة القمرية الكبيسة فيضاف اليها كل أربع سنين يوم يتحصل عليه من حاصل جمع الزيادة المذكورة فيكون عدد أيامها ٣٥٥ يوما ٠

والسنة القمرية هى الجارى العمل بهـا فى الشريعة الاسلامية والتواريخ العربية .

والسنة الشمسية هى المركبة من الشهور الشمسية وهى عبارة عن مدة دوران الأرض حول الشمس وهى ٣٦٥ يوما و ٥ ساعات و ٤٩ دقيقة و ٤٥ ثانية فهى أكبر من السـنة القمرية بنحو أحد عشر يوما . وعلى ذلك ، فكل دورة قدرها ٣٢ سنة شمسية ، ينبغى أن تساوى ٣٣ سنة قمرية ، والسنة الشمسية هى المستعملة عند سكان أوروبا لكنهم يفرضـون عدة أيامها ٣٦٥ يوما عـددا كاملا وتسمى حينئذ بالسـنة الشمسية البسيطة .

وفى آخر كل أربع سنين يضمون مدة الزيادة التى هى نحو ست ساعات فيتكون منها يوم يضمونه الى تلك السـنة الرابعة فتتم أيامها ٣٦٦ يوما وتسمى بالسـنة الشـمسية الكبيسة . وانما ينقص عندهم عدد السنوات الكبيسة فى كل أربعة قرون سنة واحدة لداعى نقص مدة الزيادة المذكورة بنحو ١١ دقيقة فى كل سنة كبيسة .

ومن السنوات الشمسية ما يسمى بالسنة القبطية ، وغاية الفرق أن الأقباط يجعلون شهورهم الشمسية كلها مركبـة من ٣٠ يوما ويضمون اليها فى آخر كل سنة عدة أيام لواحق يسمونها أيام النسىء ، ومعناها فى اللغة التأخير وهى خمسة أيام فى السنة الشمسية البسيطة وسـتة أيام فى الكبيسـة وبذلك يتم عدد أيام سنتهم ٣٦٥ ، و ٣٦٦ يوما كعدد الأيام المستعملة عند الأوروبيين .

هؤلاء هم أجدادك المصريون صناع التاريخ والتقويم والحضارة والتمدين . فلا فضل في التقويم الميلادى لأحد انما الفضل لأصحاب الفضل . لقد حان الوقت الذى يستطيع فيه كل مصرى أن يفخر بأجداده صناع الحضارة .. زراع القيم .

(٤)

عيـــد الميــلاد ..

لماذا تحتفل به « اوروبا » فى ٢٤ ديسمبر
ويحتفل « المسيحيون » فى مصر ٧ يناير ؟!

لاحظ المصريون القدماء أن سنتهم النيليـة تتفق مع الدورة السنوية لنجم ثابت معين يشرق بوضوح فى السماء ، مع بدء مجىء الفيضان مرة كل عام ، ونحن لا نشك أن المصريين منذ عصورهم الأولى قد اعتمدوا اعتمادا واضحا على فيضـان النيل الذى يهب لأرضهم الخصوبة ويجددها كل عام ، حتى انهم أقاموا تقسيم فصولهم عـلى هـذه الظاهرة الطبيعية وجعلوا اليوم الذى تظهر فيـه أولى علامات الفيضان بمثابة عيـد غرة العـام ، وكانت فصولهم ثلاثة : «الفيضان» ويشمل الشهور من يوليو الى أكتوبر ، « وبذر الحبوب » ويشمل الشهور من نوفمبر الى فبراير ، و «جنى المحصول» ويشمل الشهور من مارس الى يونيه .. وهكذا

تكونت السنة النيلية من اثنى عشر شهرا .. كل شهر من ثلاثين يوما ثم زادوا عليها خمسة أيام فى آخر السنة اعتبروها بمثابة الأيام التى ولد فيها الآلهة الخمسة التى تتكون منها مجموعة أوزوريس ، أيزيس وست ونفتيس وحورس ، ونحن لا نستطيع على وجه التحديد أن نؤكد متى استطاع المصرى أن يعرف قيمة حساب السنة ويستخدمه على هذا الوجه . ولكن من الواضح أن ذلك قد حدث قبل أيام الأسرة الأولى الفرعونية ولعل ذلك كان فى أيام حضارة نقاده الثانية ، وقد جعل المصريون يوم بدء الفيضان هو أول أيام العام الجديد .

ونظرا لأن السنة المصرية القديمة كانت « فى البداية » تتكون من ٣٦٥ يوما فقط بدلا من ٣٦٥ ١/٤ يوم ، فلابد أن المصريين لاحظوا بعد قرون من أخذهم بهذا التوقيت أن أول أيام العام الجديد أخذ يتأخر عن يوم بدء الفيضان عندهم بمدة طويلة . أو بمعنى أشمل كان موعد حدوث الفيضان عندهم يتحول بمرور الزمن من أول شهر «توت» الى أول شهر «بابة» الى «هاتور» وذلك يشبه تماما ما يحدث فى عصرنا الحالى بالنسبة الى تحول شهر رمضان من أشهر الصيف الى أشهر الشتاء وبالعكس . وقد أطلق المصريون القدماء على النجم الذى يظهر مع مجىء الفيضان اسم «سوبدة» وهو نجم الشعرى اليمانية « سيريوس » أول مجموعة النجوم المعروفة باسم « الكلب الأكبر » ، وقد ورد اسم هذا النجم فى المتون المصرية القديمة على أنه الجالب للفيضان . وقدس المصريون هذا النجم على أنه صورة من صور «ايزيس» ومن الطريف أن الناس فى العصر اليونانى الرومانى جعلوا بين الصورتين ،

صورة هذا النجم للالهة المصرية ايزيس ، وصورته عند الاغريق ككلب ، وصنعوا تماثيل من الطمى المحروق تمثل ايزيس راكبة فوق كلب ٠

وأثبتت الدراسات الفلكية الحديثة أن « الشروق الاحتراقى » لنجم « الشعرى اليمانية » أى الشروق فى الأفق فى وقت واحد مع الشمس ، يوافق ١٩ من شهر يوليو من التقويم اليوليانى ٠٠ كما أثبتت هذه الدراسات أن دورة هذا النجم تعادل تقريبا دورة الشمس فى عام ٠٠ ومعنى هذا أن السنة المصرية التى تتأخر يوما كل أربع سنوات عن السنة الشمسية تتطلب ١٤٦٠ عاما (٣٦٥×٤) ، حتى تعود فتتفق غرة العام للسنة المصرية مع غرة العام للسنة الشمسية ، وهذه السنة بالذات تتفق فى دورتها مع دورة « الشروق الاحتراقى » لنجم الشعرى اليمانية ٠

ومن المعروف أن المصريين القدماء بجانب احتفالهم بغرة العام الشعبى الجديد الذى يتحدد بمجىء الفيضان ، احتفلوا أيضا بيوم توافق شروق الشعرى اليمانية مع شروق الشمس وجعلوا منه عيدا أول السنة ، وأطلقوا عليه اسم عيد شروق سوبدة ، وكان العيدان لا يتحدان فى يوم واحد الا مرة كل ١٤٦٠ عاما أى مرة كل فترة من فترات الشعرى اليمانية ٠

وقد لاحظ القدماء أنفسهم هذه الظاهرة ، وكثيرا ما سجل حدوثها ٠٠ فمثلا سجل الكاتب الرومانى « سنسورنيوس » هذا الحادث عام ١٣٩ م ٠٠ وأصبح هذا العام بمثابة نقطة ارتكاز ثابتة فى التاريخ ،

وما علينا الا أن نذهب بالتاريخ الى الوراء مدة ١٤٦٠ سنة لنعرف متى حدث توافق العيدين فى يوم واحد ، وبعملية حسابية بسيطة يمكن أن نحدد هذا التوافق فى عام ١٣١٨ق٠م، وعام ٢٧٧٦ ق٠م، و٤٢٣٦ ق٠م ٠ وقد وصلت الينا أيضا بعض النصوص المصرية التى تحدثت عن شروق هذا النجم فى يوم حدده النص بالنسبة الى سنة من حكم الملك الذى عاصر هذا الحادث وأصبح ولا شك فى استطاعة علماء الفلك أن يحددوا هذا اليوم ويضعوه فى الاطار التاريخى وأذكر نصا من النصوص التى تحدثت عن ذلك، فقد ورد نص من عصر الملك سنوسرت الثالث من الأسرة الثانية عشرة ذكر شروق هذا النجم فى العام السابع فى اليوم الخامس والعشرين من شهر برمهات ويمكن تحديد هذا الشروق فى عام ١٨٧٥ ق٠م ٠

ويجدر بنا أن نؤكد سبق المصريين القدماء للشعوب المتاخمة فى تحديد السنة الشمسية ب ٣٦٥ يوما وتقسيم السنة الى اثنى عشر شهرا والشهر الى ثلاثين يوما واليوم الى ٢٤ ساعة ، كما كانوا يقسمون السنة الى ثلاثة فصول يخص كل فصل منها أربعة أشهر ٠ وابتداء من العصر الفارسى ، سميت هذه الشهور بأسماء اشتقت معظمها من أعياد مهمة تحل فيها ٠٠ هذه الأسماء هى التى لازلنا نستعملها فى حياتنا حتى عصرنا هذا ٠٠ توت ٠٠ بابه ٠٠ هاتور ٠٠ كيهك ٠ طوبة ٠٠ الخ ٠

ولقد أخذت الدولة الرومانية تقويمها عن المصريين القدماء ٠ فالغى الامبراطور يوليوس قيصر استعمال السنة

القمرية مستبدلا بها السنة الشمسية التي تتكون من ٣٦٥ ¼ يوم واستطاع الفلكي المصرى « سوسيجينس » الذى استعان به يوليوس قيصر فى هذا الشأن أن يدخل النظام الجديد الخاص بالسنة الكبيسة التي تحوى ٣٦٦ يوما مرة كل أربعة أعوام ، ونفذ هذا رسميا فى العام ٧٠٨ من تأسيس روما الموافق ٤٦ ق٠م وسمى هذا بالتقويم اليوليانى ، وفى ٢٦ ق٠م أدخل أغسطس قيصر هذا التجديد فى التقويم المصرى وأخذ المصريون يضيفون يوما على شهر « النسىء » ليصبح عدد أيامه ستة بدلا من خمسة ، مرة كل أربعة أعوام ، فصار التقويم مضبوطا يتناسب مع الدورة الشمسية ، وهذا التقويم هو الذى يسير عليه العالم فى وقتنا الحاضر ٠

وبدأ المسيحيون تاريخهم فى يوم ٢٩ أغسطس من عام ٢٨٤ ميلادية وهو يوم الشهداء المسيحيين ؛ وبذلك نكون الآن فى عام ١٦٧٥ من التقويم القبطى ٠

ومن الطريف أن السنة الشمسية المضبوطة طبقا لأحدث الارصاد تحوى ٣٦٥ يوما و ٥ ساعات و ٤٨ دقيقة و ٤٦ ثانية ، فى حين أن السنة المصرية القبطية تحوى ٣٦٥ يوما وست ساعات ، وعلى هذا يكون هناك فارق يبلغ فى اليوم الواحد احدى عشرة دقيقة وأربع عشرة ثانية ٠ وهذا الفارق البسيط يعادل يوما فى كل ١٢٨ عاما وترتب على ذلك أن تراكمت منذ عهد الشهداء المسيحيين ١٣ يوما أى ١٦٧٥ مقسومة على ١٢٨ ٠

وهذا هو الفارق بين احتفال المسيحيين الغربيين بعيد ميلاد المسيح عند الطوائف الأوروبية فى الرابع والعشرين من ديسمبر ، واحتفال المسيحيين فى مصر وبعض الطوائف الأرثوذكسية فى السابع من شهر يناير ٠

(٥)

هؤلاء لا يرون النجوم وحدهم :

هل عرف الفراعنة رصد النجوم ؟ اذا أردنا أن نعرف الاجابة علينا أن نعود فى الزمان قرونا الى الوراء : الى ذلك العصر الذى بدأ فيه مارتن لوثر ثورته الدينية على فساد البابوية ، كان زمن ثورة على المفاهيم الجامدة المتوارثة ، لا فى مجال النظام الكنسى وحده ، بل فى مجال العلوم • كانت العقول قد تجمدت عند نظريات بطلميوس الذى رسم للكون صورة مركزية تدور فيها الأجرام السماوية حول الأرض التى تمثل محور الكون • وبدأت الأوساط العلمية تتداول كتابا ثوريا جديدا يرى فى الشمس محور لمنظومة الكواكب ومنها الأرض •

ومنذ ذلك الوقت انتشرت النظرية العلمية القائلة بأن الكواكب تدور حول مركز تمثله الشمس ، وكان قد بقى آنذاك ما يعادل ٤ أعوام على مولد « شكسبير » الانجليزى و « جاليله » الايطالى •• كان ذلك عام ١٥٦٠ ميلادية •

كانت الأحداث حينئذ فى دورة مع الزمن بينما الدوق الريفى لمدينة «كاسل» فى ولاية «هسن» هو «فيلهلم الرابع»، استقر فى قصره وصنع لنفسه مرصدا صغيرا يتابع من خلاله هوايته الشغوف بها . وكان ذلك عند المؤرخين هو مولد أول مرصد فى القارة الأوروبيـة قبـل قيام مرصـدى باريس وجرينتش بمائة عام كاملة .

كانت أوروبا فى ذلك الحين تشهد أشد الحروب الدينية الطائفية بين المجـددين وخصـومهم والتى أدت لاحقـا الى ما عرف بحرب الثلاثين عاما المـدمرة وكان الدوق « فيلهلم الرابع» صديق عالم المراصد الدانماركى الكبير «توخوبراهى» وهو من الفريق الذى لا يريد الاكتفاء بالاعتقاد بل يريد أن يرى بأم عينيه ما يقتنع به ·· وتحت رعاية الدوق البعيد النظر استطاع عمال يدويون بسطاء أن يصبحوا من أشـهر العاملين فى حقل الرصد الكونى مراقبة وحسابا فى عصرهم ·· كان أشهر هؤلاء صـانع السـاعات « يوست بورجى » ، الذى لفتت موهبتـه أنظار الدوق أثنـاء دراسـته فى « شتراسبورج » ، وحيث تعرف اليه أثناء قيام « بورجى » بتصميم الساعة الثانية هناك .

ويعتقد المؤرخون بأنه كان لهذا الراصد السـويسرى الفضل فى أكبر تجديد طرأ على علم رصد الـكواكب قبـل اختراع المقربات البصرية · حيث كان يعتمد فى تسـجيل أوصاف النجوم والـكواكب عـلى عنصر الزمن ، وفى تلك الحقبة صنعت فى مدينة «كاسل» ساعات تعتبر أدق ما عرفه القرن السادس عشر على وجه الاطلاق · كما استطاع بالتعاون

مع عالم الرصد الدانماركي « توخو براهي » ، تحقيق بعض الاختراعات الجانبية على هامش العمل ، منهـا ٠٠ وضـــع حسابات اللوغاريتم على يد « بورجي » وبصورة مستقلة عن الاسكتلندى « جون نابير » مؤسس اللوغاريتم الحديث ٠

غير أن التاريخ أورد بأن المسلمين والعرب قد اخترعوا اللوغاريتم قبل غيرهم وأخذه العلماء الاوربيــون عنهم ٠٠ وعلى كل فقد مهدت « كاسل » الطريق أمام علماء الرصـد الحديث ٠٠ وهذا ما يسرى عــلى « كيبلر » ؛ اذ اســتعان بالجداول الدقيقة لـ « براهي » و « بورجي » ، ووضـــع صياغة ما عرف فيما بعد بقانون « كيبلر » الذى يقــول : « ان الكواكب تتحرك فى مسارات بيضية والشمس مستقرة فى أحد مركزى هذه المسارات » ٠

وعــلى كل فرصـد النجوم ليس وقفا عــلى الأوروبيين وغيرهم فقد عرف منذ عصور مصر الأولى ٠٠ بحيث كان من الوظائف الكبرى التى يتولاها الــوزير وكبير الــكهان فى عين شمس ٠٠ عرف المصريون كثيرا من النجوم وخصائصها ورسموا الخرائط وعينوا « مواقع النجوم » من برج السماء حيث نجد منظرا لها فى سقف بعض المعابد والمقابر وأغطية التوابيت ، وميزوا النجوم القطبية وسموها « التى لا تفنى » ورصدوا منها الدب الأكبر وأطلقوا عليه اسم « رجل الثور » و « الزهرة » التى سموها « نجم السماء » ٠٠ « والمشترى » وصفوه « بالبراق » و « زحل » سموه « حورس الفحل » ثم « المريخ » وسموه «حورس الأحمر» وكذلك رصدوا «العواء»

(بشدة وفتحة على الواو) وصوروه بالتمساح وفرس النهر .. وصوروا « نجم الدجاجة » أو صليب الشمال برجل منبسط الذراعين و « نجم الجبار » برجل يجرى ملتفتا خلفه ونجمة « ذات الكرسى » برجل ممدد الذراعين ، كما رصدوا « التنين » . ولعلهم رصدوا كذلك «الثريا» . على أن المصريين القدماء اعتمدوا فى تقسيم السنة على «الايكانات » وهى مجموعة من نجوم أو نجم واضح يبزغ فى ساعة من ساعات الليل مع تعاقب فترات ست وثلاثين .. كل فترة من عشرة أيام وتقع فى نطاق حزام استوائى يبدأ بالشعرى اليمانية ، وكانت كل فترة من الأيام العشرة تحدد ببزوغ النجم التالى فى الأفق الشرقى قبيل شروق الشمس ..

وكانت النجوم ترصد فى مصر بأداة بسيطة خاصة تسمى « مرخت » كانت تستخدم كذلك لتحديد محور معبد ما عند ارساء أسسه .. وكانوا قد نجحوا فى تحديد الجهات الأصلية تحديدا دقيقا ، على الرغم من أن الشمس لا تقع فى الشرق الصحيح الا فى الاعتدالين ليس غير .. وعلى كل فهؤلاء المصريون هم حقا أول من رأى النجوم قبل الأوروبيين بآلاف السنين .

(٦)

عروس النيل ..

خـــــرافة ؟!

هناك بين طيات صفحات التاريخ من الأساطير ما يبعث على العجب والدهشة . ووفاء النيل من الموضوعات المثيرة التى تناولتها أســاطير القدماء والمنجمون . فكلنا نعرف العبارة الشهيرة التى قالها الرحالة اليونانى القديم « هيرودوت » عندما زار بلادنا فى عهد الفراعنة العظام .. « مصر هبــة النيل » .. وهو يقصد بهذه العبارة انه لولا النيل ما كانت مصر وأنه هــو الســـبب فى نمـــوها وازدهارها . وعلى مر الأيام ، ارتبط عيــد وفاء النيل بأسطورة «عروس النيل» ، التى تتلخص فى أن القدماء كانوا يلقون بفتاة جميلة كل عام فى النيل حتى تفيض مياهه بالخير ..

والآن ماذا يحدث .. أصبــح للنيل رائحــة كريهة لأنه لا يتحرك واذا تحرك ينحت الشــاطئين

وأخـــذ يســترد ما أعطى وأخـذ البحـر يأكل الدلتـا ٠ ونحن نرتكب يوميا أكبر جريمة فى حقه ، فقد اصبحنا ليل نهار نقوم بالقاء القمامة والحيوانات الميتة فيــه ، فصــار مقبرة للتلوث ٠ وكما أنه لم يسلم اليوم من التلوث ، فهــو أيضا لم يسلم من الخرافات ٠٠ فقد شاع بأن المصريين يلقون اليه كل عام بعروسة حلوة ٠٠ هذه العروسة لا تكاد تسقط فى النيل ويبتلعها حتى يفيض ويفيض. ويسمون هذه المناسبة وفاء النيل ولا أعرف المقصود بكلمة « وفاء » هذه ٠٠ هــل هذا الوفاء مقابل انقــاء العروس فيه أم أنه ســيرفض اذا رفضنا نحن الوفاء بالقاء هذه العروس الجميلة اليه ؟!٠

وهناك بين صفحات التــاريخ قصص وأســاطير كثيرة تتناول هذا الموضوع ، تقول احدى هذه الأساطير : انه فى منتصف أغسطس من كل عام كان المصريون يحتفلون بعيد يسمونه « جبر الخليج » ٠٠ يستمر حتى تنســاب الميـــاه الجديدة فى القنوات، فكانوا يقومون بصنع عروسة من الطين وعلى رأسها يضعون الذرة أو القمح فى منطقة بالقرب من « فم الخليج » الحالية بالقاهرة ٠٠ وعند وصول الفيضان يجرفها وكانوا يزعمون أن النهر يتزوجها ٠

قصة أخرى تقول ، ان «اجيبتوس» ملك مصر قد جاءه الوحى بأن يضحى بابنته بالقائها فى النيل لاتقاء الكوارث التى نزلت بالبلاد وعندما فعل ذلك حزن عليها حزنا شديدا فألقى بنفسه فى النهر ٠

وقصة ثالثة تقول، ان عمرو بن العاص عندما فتح مصر وأتى شهر بؤونة طلب منه أهلها القاء فتاة فى النيل بعــد

تزيينها بأحلى الثياب والحلى كعادتهم ؛ ولكنه أبى أن يقر هذه العادة ، وأرسل له كتابا يقول فيه : « .. الى نيل مصر .. ان كنت تجرى من قبلك فلا تجر ، وان كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك ، فنسأله أن يجريك .. » وقيل ان عمرو ألقى بالرسالة فى النيل ففاض .

وقد كذب كل المؤرخين تلك القصص ، كما لم يثبت فى الكتابات المصرية القديمة أن المصريين كانوا يقدمون تضحيات انسانية للنيل .

وعلى كل فالنيل صانع الحياة على أرض مصر .. صنعها منذ أن عرف طريقه الى البحر المتوسط فى نهاية العصر الحجرى القديم ومنذ أن أخذ يجلب الغرين فى كل عام يكسو به أديم الأرض فيكسبها الخصب وتدب فيها الحياة .. واذا كانت العبارة المأثورة « مصر هبة النيل » تتردد على الألسنة عن « هيرودوت » ، فقد سبقه اليها « هيكاتيوس » الملطى وسبقهما المصرى القديم نفسه فتغنى فى صلواته وتراتيله الى ذلك الاله العظيم الخير الذى يأتى فى كل عام ليفيض على الأرض بمياهه ثم ينحسر عنها ليشد المصرى اليها يحرثها ويبذر الحب فتبدأ الحياة بين أفراح القوم وابتهالاتهم .

لقد عرف الانسان الأول طريقه الى وادى النيل عندما قل المطر فى شمال أفريقيا وتحولت المراعى الخصبة الى صحارى جرداء ، وفى وادى النيل تحولت حياة الانسان من التجوال الى الاستقرار وتعلم الزراعة التى دفعته الى التعاون مع من حوله من الناس ، واتجه المصرى القديم الى النيل نبع

الحياة فاتخذ من أعواد نباته مسكنا له ٠٠ ومن طينه كساء لهذا المسكن ثم تعلم كيف يصنع الطوب ليبنى مساكن أكثر ملاءمة لأغراضه ، ومن طمى النيل صنع المصرى أوانيه الفخارية ، وعلى سمكه تغذى ومن نباته صنع الفلك وتنقل بها على صفحته من مكان الى مكان ٠ أى أن النيل كان منذ أقدم العصور محور كل شيء فى حياة ذلك الانسان الذى أتى واستقر فى ادى النيل الأسفل ٠٠ ولا شك أن هذا الانسان قد أدرك منذ البداية الدور الكبير الذى يلعبه هذا النهر فى حياته ، ولا غرابة اذا ما رأينا المصرى القديم يقدس النيل ويجعل منه الها يجلب الخير ويحيى الأرض الموات ٠

واعتقد المصرى أن النيل محور العالم ومن حيث أتى النيل كانت بداية هذا العالم ، ولذلك اتجه المصرى القديم الى الجنوب منبع الحياة ٠٠ وأينما كان اتجاه النيل فقد كان الخط الذى يفصل بين الشرق الغرب ٠٠ وكان المصرى يطلق على النيل اسم « اتيرو ــ عا » أى النهر العظيم ٠٠ أما كلمة النيل فهى تصحيف لكلمة « نيلوس » التى أطلقها اليونانيون على هذا النهر ٠ ومنذ عصر الأسرة الخامسة والعشرين كان المصرى على يقين من أن أقطار السودان لها دخل فى مياه النيل ٠٠ الا أنه احتفظ بعقيدته القديمة التى تقول بأن النيل ينبع من كهف فى جزيرة « بيجه » ٠

والمعروف عن الفراعنة أنهم لم يقصروا فى حق (حعبى) ــ أى النيل ــ طوال فترات حكمهم ٠٠ فهذا رمسيس الثالث الذى أنشأ أسفار (حعبى) وحددها حيث سطر فيها أنواعا مختلفة من الأطعمة والمحصولات ٠٠ وكانت تصنع للمعبود (حعبى) آلاف من التماثيل الصغيرة من الذهب

والفضة والنحاس أو الرصاص والفيروز واللازورد والقيشانى .. ولذلك كانت تصنع خواتم وأقراط وتماثيل لـ (ربيت) زوجة (حعبى) .

وفى اللحظة التاريخية التى يجب أن يرتفع فيها منسوب مياه الفيضان كانت تقدم القرابين للمعبود (حعبى) فى كثير من المعابد حيث تلقى أسفار النيل فى بركة معبد « رع حور أختى » فى مدينة « أون » .

وعلى هذا ، فالنيل كاله أطلق عليه المصرى اسم (حعبى) ولم يكن (حعبى) هذا هو النهر المقدس وانما كان ذلك الاله أو الروح التى تكمن وراء هذا النهر العظيم والتى تدفع بمياه فيضه حاملة الخصب والنماء .

وصور المصرى هذا الاله فى هيئة بشرية تجمع بين الأنوثة والذكورة فى هيئة صياد السمك يلتحى باللحية التقليدية للآلهة ، له ثديا امرأة وبطن مترهلة .

ومن الغريب أن هذا الاله قد تبوأ ــ رغم ما أطلق عليه من صفات وألقاب ــ منصب الخادم للآلهة .. فكان يصور على جدران المعابد فى صورته هذه يقدم خبراته الى الآلهة الكبرى ، وكانت ترتل له الأناشيد فى المناسبات الخاصة . وأطلق المصرى كثيرا من الصفات على هذا الاله فقد كان رب الرزق العظيم ورب الأسماك وخالق الكائنات وواهب الحياة ووالد الأرباب ، وغير هذا من ألقاب التعظيم .

وقد وحد المصرى بين النيل وبعض الآلهة الأخرى التى كانت لها صلة بخصوبة الأرض أو المياه ، مثل (خنوم) الذى كان يطلق عليه « رب المياه الطاهرة » • ومن هذا كله نظر المصرى الى النيل نظرة قدسية عميقة ؛ مما حدا بالبعض الى تلقف الأساطير وتمادى المنجمون فى سرد بعض الأحداث •• فهل يصدق المثل القائل كذب المنجمون ولو صدقوا ؟ •

•• نظم المصرى القديم الكثير من الأناشيد التى كانت ترتل فى الأعياد فيقول البعض منها :

هو الذى يذهب فى وقته ويأتى فى وقته •
الذى يحضر الأكل والمؤن ••
هو الذى يأتى بين الأفراح ••
المحبوب جدا ••
رب الماء الذى يجلب الخضرة ••
ويتفانى الناس فى خدمته ••
وتحترمه الآلهة ••

وكان أيضا من بين ما يطلق على النيل من أسماء « ونن نفر » وهو من أسماء « أوزيريس » وأنشدوا له :

كل من يرى النيل فى فيضانه ••
تدب الرعشة فى أوصاله ••
أما الحقول فتضحك ••
أما الشواطىء •• فتكسوها الخضرة ••
وتتساقط هبات هذا الاله
وتعلو الفرحة وجوه البشر
أما قلوب الآلهة •
فتخفق من السعادة

والنيل أطول أنهار العالم جميعا ؛ اذ يبلغ طـوله من منابع نهر كاجيرا ــ أبعد روافده فى الجنوب حتى مصبه من البحر المتوسط ــ نحو ٦٥٠٠ كيلو متر ويحـافظ فى هـذه المسافة الطويلة على اتجاهه نحو الشمال ، ويندر أن نجد نهرا يفعل ما يفعل النيل فى التزامه اتجاها ثابتا فى الجريان لمثل هـذه المسـافة ، حتى اننا نجـد مخرجه من بحيرة فيكتوريا ومصبه عند دمياط على خط طول واحد تقريبا .

وتبلغ مساحة حوض النيل نحـو ٢ر٩ مليون كيلو متر مربع وهو بذلك ثالث أحواض العـالم النهـرية مســاحة فلا يسبقه سوى حوض الأمازون وحوض الكونغو . ويدخل النيل ارض مصر عند خط عرض ٢٢° شمالا ويبلغ طـول الجزء المصرى فيه نحو ١٥٠٠ كيلومتر، ويبلغ متوسط الوادى فيما بين أسوان والقاهرة نحو١٠ كيلومترات، ويبلغ متوسط عرض النهر نفسه نحو ٧٠٠ متر ، ويكاد يلتزم النهر الجهة الشرقية من واديه ولا يتحول الى الجهة الغربية الا قليلا . غير أن هذه الظاهرة ليست واضحة فى منطقة قنا اذ يغير النهر اتجـاهه المعتـاد ؛ ولكنهـا تظهر بوضـوح الى الشـمال من نجع حمادى واتجاهه فيما تحت منفلوط . وينحدر من النيل وهو يشق طريقه فى أراضى مصر عدد من الأودية الجافة على جانبه الأيمن ، ولا شك أنها كانت تجرى بالماء فى زمن قديم والا لما تكونت ، ومن هذه الأودية وادى العلاقى أكبر أودية صحراء مصر الشرقية . ومنابعـه العليا فى داخـل حـدود السودان . وينتهى الى النيل شمال ثنية كروسـكو ، ووادى خريط ويتصل بالنيل عند حوض كوم أمبو ووادى الحمامات ويمتد من نواحى القصير الى الغرب وينتهى الى النيـل عنـد

ثنية قنا وكان هذا الوادى قديما من أهم الطرق التى تربط النيل بالبحر الأحمر ، ثم وادى قنا الذى يمتد من الشمال الى الجنوب ويفصل بين اقليمين يختلفان فى البناء الجيولوجى وفى المظهر العام ، وفى منطقة القاهرة يتصل بالنيل وادى حوف عند حلوان ووادى دجلة عند المعادى ٠

أما على الجانب الأيسر للنيل فلا توجد أودية واضحة كأودية الشرق ، وانما يوجد منخفض من منخفضات الصحراء الشرقية يلحق بأرض الوادى وهو منخفض الفيوم الذى تربطه بالواحة فتحة اللاهون ويجرى فيها بحر يوسف وهو فرع للنيل قديم ٠ وتنخفض أرض الفيوم تدريجيا على شكل مدرجات كبيرة حتى تنتهى الى بحيرة قارون وتقع على مستوى ٤٥ مترا تحت سطح البحر ٠ وعلى بعد نحو ٢٠ كيلو مترا الى الشمال الغربى من القاهرة تبدأ دلتا النيل التى يجرى فيها الآن فرعان هما فرع دمياط فى الشرق وطوله ٢٤٥ كيلو مترا ، ورشيد وطوله ٢٣٦ كيلو مترا ٠ ولم تكن الدلتا دائما كذلك ، وانما كانت كدلتاوات الأنهار جميعا فى بداية أمرها أرضا كثيرة المنافع ، لم تتحدد فيها مجارى الماء ولم يتخذ النهر فيها طريقا أو طرقا ثابتة الى البحر ، بل كان دائم التردد بين مجرى وآخر ٠ وكانت الرواسب التى يحملها تسد أحد المجارى ، فيتحول الماء الى منخفض جديد يجرى فيه ٠ ويكاد العلماء يجمعون على أن الدلتا فى العصور التاريخية كان يشقها سبعة أفرع أخرى للنيل ، لم يبق منها سوى الفرعين اللذين نراهما الآن : دمياط ورشيد ٠

(٧)

أغرب مؤتمر دولى

للسحر والشعوذة

هل لقدماء المصريين صلة بهذا الموضوع ؟ ..
وقبل الاجابة نتعرض لهذا المؤتمر الذى عقد بمدينة ميونيخ الألمانية مؤخرا والذى بحث فى عالم الأرواح والشعوذة ، وهدف الى معرفة أسرار هذا العالم فى ضوء العلم . ومن أعجب ما لوحظ فى المؤتمر ، قيام بعض المشتركين بترجمة ايمانهم بقوى ما وراء الطبيعة فى صورة مجموعة من الأجهزة .. فقد عرض أحد الخبراء على سبيل المثال حاسبا ينذر بالأحداث المحتملة فى حياة الانسان ، فعندما يصدر الجهاز اللون الأحمر فى أحد الأيام ، يعنى ذلك أن اليوم مشحون بالأخطار وما على صاحب الجهاز سوى أن يغذيه بيوم ميلاده ، وهناك أيضا جهاز صغير يشبه القلم الحبر ويعمل بالبطارية ويصدر أشعة الليزر التى تمكن

صاحبه من علاج العديد من الأمراض وهو جالس بالمنزل ، كما أنتجت شركات أخرى عصا تتنبأ بأماكن وجود الماء أو المعادن تحت الأرض وبدأت تطرحها للاستهلاك العادى ..

حضر هذا المؤتمر ألف شخص من بينهم مجمـوعة من خبراء السحر وعالمو الأرواح ، وقد طرحت فيه مجموعة من الأسئلة الغريبة ، مثل : هل يمكن تدمير قوات العدو باستخدام التخاطر أى اتصال عقل بآخر عن بعد بطريقة غير عادية ؟

وهل يمكن بذلك تجنب حروب مقبلة ؟

ولم يستطع أى من خبراء المـؤتمر الاجابة عـلى هـذه الأسئلة . الا أن هدف المؤتمر هو الخوض فى بحث القـوى العلاجية الخفية لبعض الأفراد دون ابعاد غالبية الناس عن الذهاب الى الأطباء ، والغريب أن العقـل الأوروبى أصـبح متقبلا لظاهرة السحر والتنويم المغناطيسى أكثر من ذى قبل .. افتتح هذا المؤتمر الغـريب راهب هنـدى بوذى يؤمن بالخصائص العلاجية للمعادن .. وأن الناس الذين يعيشون فى أرض غنية بالمعادن يتمتعون بحياه أطول .. ومن أبرز الشخصيات التى حضرت هذا المؤتمر « ثورو الددتيلفش » الذى سخر كتبه للبحث فى ظاهرة تناسـخ الأرواح وكـرس حياته ليجعل هذه الظاهرة المعقدة مقبولة للعقل الأوروبى .

ولعل هذا الموضوع يجعلنا نرجع الى الوراء لمدة أكثر من سبعة آلاف سنة ؛ لنتعرف على ما بلغه السحر من عقيـدة المصريين .. الا أنهم كانوا يستعينون به جميعا عـلى كثير من

شئونهم الدينية والدنيوية معا ، وأن الساحر كان عرضة للمحاكمة والعقوبة الصارمة اذا ثبت بغيه بسحره على احد ٠

فلقد حوكم السحرة الذين اشتركوا بسحرهم فى التامر على حياة رمسيس الثالث ، فاعدم من اعدم ، وانتحر من انتحر ، قبل انزال العقوبة به على جرمه ، وذلك لما بتوا فى القصر من كتابات سحرية ودمى من شمع عليها من العزائم ما يشل اعضاء من تمثلهم وما يعجزهم تسهيلا لتنفيذ المؤامرة ٠

وكان السحر يعتمد على صيغ وألفاظ خاصة يظن أن فيها القوة على تحقيق الهدف المأمول ولم يكن الطب عندهم ولا الشعائر الجنازية أو جلب منفعة أو دفع مضرة أو استنزال نقمة على عدو أو كسب مودة حبيب ، يخلو من أعمال السحر ، وكان الساحر يكتسب القوة والسلطان على الشخص أو الشيء عن طريق اسمه ٠٠ فلقد روى أن ايزيس لم تستطع التسلط على رع الا حين عرفت اسمه الخفى بعد أن حملته على البوح به ٠ ولذلك كله ، فقد كثرت التعاويذ والرقى التى تشفى الملدوغ من سم العقرب أو تقى مَن خطر الثعابين أو تحصن من الأمراض أو تحمى من أشباح الموتى ٠

وكان السحر يتوسل فى أمر من الأمور بالآلهة التى اشتهرت بقدرتها في ذلك الأمر ، وكان يتوسل بالآلهة « ياستت » على لدغ العقرب وبأوزوريس الذى لبثت جثته فى الماء في حماية الآلهة ضد التماسيح ٠

وما زلنا حتى اليوم نسمع من البعض التوسل بولى الله الرفاعى على الثعابين لما يعتقد من سلطان له عليها ، ولقد أكثر المصريون من لبس التمائم لاعتقادهم فى حمايتها . وكانت الحية الناشرة التى على جبهة الملك فى تاجه تحميه من أعدائه بما تنفث من سم كالنار ، ولقد كان الموتى فى حاجة الى الحماية مما عسى أن يصيبهم من صور الحيوان التى ترد فى النصوص المنقوشة فى القبور .

وكان من أهم أعمال السحر تأليف القلوب .. فاذا كان الشاب يسعى لجلب محبة الجميلة النافرة يستصنع الساحر طلسما يقضى عليها بالوصال حيث يكتب .. « اجعل فلانة تتبعنى كما يتبع الثور علفه وكما يتبع الراعى قطيعه » .

وكانت الفتاة تستكتب لفتاها الذى تهواه تميمة تقول فيها :

« قم واربط من أنظر اليه ليكون حبيبى » .

وكان قدماء المصريين يتكهنون بالغيب ويتطلعون الى ما وراء حجبه بوساطة صبى ينظر فى آنية مملوءة ماء وطبقة من الزيت ، حيث يؤمر بالتحديق فيه حتى يرى فى الوعاء ضوءا ، يكون بشيرا بالاتصال بالآلهة التى تمكن الساحر من كشف ما يريد من أسرار .

وما زالت تلك الوسيلة التى انحدرت الينا منذ القدم قائمة بيننا فيما نسميه اليوم بالمندل .

هكذا تعيش الخرافة بيننا ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين ، مثلما كانت تسود عقل الانسان قديما منذ ٣٢٠٠ عام قبل الميلاد .

(٨)

أبو التاريخ القديم ·· هيرودوت
وأبو الطب القديم ·· هيبوقراط
·· يشهدان ببراعة الطب المصرى ·

عرفت مصر الأطبـاء المتخصصـين منذ اقدم العصور · وقد أوضحت البرديات الطبية مراحل تخصصهم ، ولعل من آشهر الأطبـاء المصريين فى ذلك الوقت «ايموحتب» وزير الملك زوسر ـ القرن ٢٨ ق·م الذى آله فى العصور المتأخرة ، وأطلق اليونانيون عليه اسـم « اسـكليبوس » اله الطب عندهم ، وهناك آيضا رئيس الأطباء « ايرى » من الدولة القديمة الذى تخصص فى آمراض العيون· ويؤكد هيرودوت أن « فن الشـفاء فى مصر كان منقسما الى آقسام ، كل طبيب يختص بقسم فيها· فهنـاك طبيب العيـنـون وطبيب الـرأس وطبيب الاضطرابات الداخلية ، وكان لدراسة الطب فى مصر القديمة قواعد ملزمة اذ يقول مؤلف بردية ايبرس المصرية القديمة : « انى قد تخرجت فى هليوبوليس مع آمراء البيت الكبير ·· انى تخرجت

في سايس ـ غرب الدلتا ـ في صحبة امهـات الآلهة ، ولقد أسبغن على حمايتهن ٠٠ وذلك لكى اطرد جميع الأمراض » وهذا دليل على وجود مدارس طبية كانت أغلب الظن ملحقة بالمعابد فى كل من هليوبوليس وسـايس وغـيرهما ، وكان الأطباء يتمتعون بمكانة طيبة فى المجتمع المصرى القـديم ، وكان ينظر اليهم نظرة ملؤها التقدير والاحترام ، فقد لقب الفرعون « زوسير » باسم « سا » ، أى الشافى الالهى ٠

وروى مانيتون أن الملك أثوثيس نجل الملك مينـا الف كتابا فى علم التشريح ، وأن الملك اوزيفايوس حقق تقدما كبيرا فى علم التشريح ، وكان يسمى الطبيب انعلمانى باللغة المصرية القديمة « سـنيو » ، ولم يميز بعـد بين الطبيب والطبيب البيطرى ٠

ومعروف أيضا من النصوص المصرية القديمة أن هناك أطباء لعلاج الناس جميعا ، وأطباء للجيش وأطباء القصور الملكية الى جانب الأطباء المتخصصين كأطباء العيون والأسنان والجراحين ٠ وقد وجدت فئة من الكهنة يمكن أن يطلق عليهم أطباء العقاقير وهم الذين اختصوا بالعلاج بالعقاقير وتلاوة الأدعية وكانت لهؤلاء الأطباء الموظفين ألقاب رنانة فمثـلا رئيس الأطبـاء يسـمى ٠٠ « مدير بيت الصـحة ورئيس أسرارها فى بيت تحوت» ٠ ولا غرو فان مثل هذه الألقاب كانت تخلع على كبار الموظفين حتى وقت قريب فى العهد العثمانى وكانوا يتقاضون مرتبات من الحكومة ؛ الأمر الذى جعل علاج الفقير مضمونا ٠٠ وكانوا يتبعـون الجيش فى تحـركاته حتى انه نشأت فئة خاصة هى فئة الأطباء العسكريين ٠

ولا يوجد أثر لأية وصفات « روشتات » يتركها الطبيب للمريض . أما قطع الخزف « أوستراكا » التى وصفها « جونكر » ، فالغالب أنها كانت مذكرات كتبها طبيب عند زيارته للمريض للاسترشاد بها عند تحضير الدواء بعد عودته الى منزله .

والظاهر أنهم الى جانب أعمالهم الرسمية كانوا يزاولون مهنتهم من أجل الجمهور ويتقاضون منه أتعابا غير ضئيلة .

ومن جميل تقاليدهم أن الطبيب كان يقتطع جزءا من أتعابه يخص به المعبد الذى تلقى فيه علومه الطبية . ويقول « سير وليام أوزلر » ، ان أشهر الأطباء المصريين بل أول شخصية طبية ظهرت فى التاريخ البشرى هو « ايموحتب » ، ومعنى هذا الاسم باللغة المصرية القديمة «الذى أتى سالما» .

وهناك أيضا ما يدل على وجود مساعدين ممرضين أو اخصائيين فى الأربطة والتدليك ، وكان يطلق عليهم اسم « أوت » وكان البعض للأحياء والبعض الآخر للموتى ، أى التحنيط .

أيضا انقسم العلاج عند المصريين القدماء الى قسمين : علاج ما هو ظاهر وعلاج ما هو باطن ، ويتمثل الأول فى العمليات الجراحية البسيطة والكسور . ويتمثل الثانى فى الأمراض الباطنية ، ويتميز الأول بالخبرة والمهارة والملاحظة الدقيقة لوظائف الجسم . أما الثانى فيعتمد على الأدوية والعقاقير والسحر الذى اعتبر نوعا من أنواع العلاج النفسى لاتمام عملية الشفاء .

وكان الطب الفرعونى يحاول التحرر من السحر والتفكير اللاهوتى ليصبح علما تجريبيا • ولذا يمكن التمييز فى نظرتهم الى المرض بين نوعين منه هما : الأمراض الخارجية والأمراض الداخلية ومازال هذا التقسيم صحيحا الى يومنا هذا •• اذ يسمى الفرنسيون الجراحة بالباثولوجيا الخارجية والأمراض الباطنية بالباثولوجيا الداخلية ، والسر فى تمييزهم هذا نظرتهم الى الصحة والمرض عامة • فقد كانوا يعتقدون أن الروح خالدة لا تبلى الا بالقتل وان المرض لا يحدث الا بتأثير عامل قاتل خارجى وهذا العامل اما أن يكون ظاهرا كالسلاح والنار أو خفيا • وتأثر علماء المكروبيولوجيا والكيمياء الحيوية بهذا التفكير المبنى على السببية ، فعزوا المرض الخفى الى أرواح شريرة أو الى أعمال سحرية أو الى عقاب تفرضه الآلهة أو الى ميت أو عدو •

فى بردية « ادوين سميث » يرى « برستد » أن هذا الجزء من البردية أقدم ما كتب فى الجراحة فى العالم •• كما أن المختصين فى تاريخ الطب يعتبرونه نقطة التحول بين فن العلاج وعلم الطب • لأن محتويات هذه البردية تثبت أن مؤلفها لم يكن شخصا يؤمن بالسحر أو بالكهانة ، بل كان طبيبا يراقب مرضاه الليالى الطويلة ويرقب ويبوب ما يلاحظه عليهم أثناء المرض • بل انه كثيرا ما كان يشرح الجسم بعد الوفاة لمعرفة السبب • هكذا كانت المدارس الطبية المتخصصة فى زمن الفراعنة المصريين وابتكارهم ونبوغهم فى المعارف الطبية ، مما صنع أساسا لطب العصور التالية كلها • كما يبدو أن أطباء الدولة الحديثة فيما يختص

بنظرياتهم عن تركيب الجســم وعلم وظائف الأعضــاء لم يتقدموا كثيرا ٠

وقد بقى كثير من أصول النصوص الطبيــة من عصر الدولة الوسطى وخاصة من الدولة الحديثة ، من بينهما ملفان سليمان محفوظان الآن بمجموعات المتاحف الالمانية واحدهما وهو « البردية الطبية الكبرى » بمتحف برلين وهــو عبارة عن ملف سهل للاستعمال اليومى يمكن اعتبار صاحبه طبيبا متمرنا لطول تجاربه العلمية ، أما الآخر الذى دخل فى حوزة مكتبة « جامعة ليبزج » بفضل جورج ايبرس ، ليضم كتــابا تعليميا للطب المصرى القديم ، يمكننا أن نتصــور أنه كان محفوظا بمكتبة مدرسة طبيــة ٠ وكان الأطبــاء المصريون القدماء يعتقدون عادة أنهم يستطيعون بكل سهولة أن يروا ما يؤلم مرضاهم ، ومع ذلك فان الكثيرين كانوا يدركون أن المعرفة الدقيقة للمرض هى أساس العــلاج ٠٠ كان نصــف الشفاء فى سلامة التشخيص ٠

تقول البردية الطبية للمصريين القدماء : « اذا وجدت شخصا بعنقه ورم وعنده ألم فى عضلتى عنقه وفى رأســه وعموده الفقرى متصلب وعنقه يابس بحيث لا يستطيع أن يخفض بصره ليرى بطنه ٠ اذن لنقل ، ان بعنقه ورما وصف له الدهان يتدلك به فيشفى فى الحال » ٠

وتقول حالة مريض بالمعدة : « فاذا وجدت شخصا لديه امساك ووجهه أصفر وقلبه يسرع بالنبض ! ووجدت عنــد فحصه أن بقلبه حرارة وببطنه انتفاخا فان هذا يكون قرحة!

تسببت عن أكل أشياء حارة ، فحضر الدواء واغسل به هذه الأشياء الحارة وشرابا يفرغ الأمعاء وانقع جعة حلوة مع دقيق جاف لمدة ليلة واحدة ، ودعه يأكل ويشرب لمدة أربعة أيام ، ثم قم فى كل صباح وانظر الى ما يخرج من شرجه • فاذا كان ما يتبرز به يشبه النواة السوداء فقل : ان هذا الالتهاب زال •• وأما اذا فحصته بعد أن تكون قد نقلت هذا ووجدت أن ما يخرج منه يشبه الفول يغطيه الندى ، فقل عنه ان ما كان فى معدته قد زال » •

وان على الطبيب غالبا أن يدخل فى حسابه سن مرضاه • فعند انحباس البول يتناول الكبار مزيجا من الماء الآسن ورواسب الجعة والبلح الأخضر وبعض الخضراوات الأخرى ، على أن تكرر الجرعة أربع مرات ، أما الأطفال فانهم لا يتعاطون هذا الدواء وانما يستعملون قطعة قديمة من بردية مكتوبة تنقع فى الزيت وتوضع كلفافة ساخنة حول البطن • كما أن هناك فارقا يجب مراعاته بين طفل وآخر فنحن نقرأ مثلا فى البردية •• « اذا ما كان الطفل كبيرا فانه يأخذ حبوبا أما اذا كان ما يزال فى قماطه فتذاب الحبوب فى لبن مرضعته » •

ولقد نبغ الطبيب المصرى القديم فى وضع الدواء لجميع الأمراض • فمثلا لعسر الهضم كان على المريض أن يأخذ بعضا من ثمار نبات « الدجم » ويمضغها مع قليل من الجعة فيطرد هذا المرض من جوفه ، ولنمو شعر المرأة « تدق ثمار نبات « دجم » وتعجن حتى تصير كتلة ، يجب على المرأة أن

تضعها في الزيت وتدهن بها رأسها» • وبالرغم من كل هذا ؛ فان نبات « دجم » لم يلعب دورا فى الطب ، فنحن لا نجده فى الوصفات الا فى القليل النادر نسبيا •

وقبل ان نتحدث عن أمراض النساء نقول ، ان الفرعونيات لم يكن يضقن بالحمل أو ينفرن منه ، مع وجـود وصـفات وأساليب عديدة تمنع حدوثه بل على العكس كانت السيدات يلذن بالآلهة دائما مبتهلات أن تساعدهن على الانجاب ويتضح ذلك من الكتابات الكثيرة المدونة على التماثيل المقدسة • كما كانت هناك طرق متعددة للتأكد من اخصاب المرأة أو عقمها • وبعض هذه الطرق ورد ذكره في قراطيس برلين وكاهون وكازلزبرج ، مثل وضع لبوس الثوم فى المهبـل وملاحظة رائحته عن طريق الفم • وقد أخذ ابقراط هذه الوصفة عن قدماء المصريين ، وعنـــه انتقلت الى لعــرب وأوروبا فى العصور الوسطى حتى القرن الثامن عشر • وهــذا ما يحدث الآن للسيدات اللاتى يحقن بمادة « الليبيودول » فى الرحم لمعرفة حالة البوقين فيشعرن بطعمه فى الفم اذا كانا سالكين •

كما كانت للمصريين القدماء طرقهم المعقدة لتشخيص الحمل ومعرفة نوع الجنين ، وان كان بعضها أشبه ما يكون بالسحر ، وبعضها الآخر قد يكون له أساس علمى ، وتفكيرهم فى هذا المجال يبدو مؤسسا على فكرة ان الجسم الذى يضـم جنينا ذكرا لابد وأن يكون مختلفا عن الجسم الذى يحمـــل أنثى ! كما أنهم وصفوا سقوط الرحم وعالجـوه بمختلف أنواع اللبوس أو التربنتين ، كما عالجوا التهاباته وانتفاخ عنقه بالحقن المهبلى المحتوى على عصير بعض النباتات ، كما عالجوا مرضا أطلقوا عليه « آكل الرحم » علاجا موضعيا •

وقد ربط المصريون القدماء امراض الرحم بأعراض عديدة ، منها الالام التى تصيب اسفل البطن والرقبة والاذنين وامراض العيون والنـوبات العصبية • وقد عثر المنقبون عـلى آلات تشبه القرن المجوف لها أطراف على شكل الملاعق أو منـاقير الطير قال عنها البعض ، انها كانت تستعمل فى تقديم الأدوية للمرضى • ووصفها البعض الآخر بأنها كانت تستخدم فى الحقن الشرجية والمهبلية • وقد وجدت هذه الآلات فى جحور النسوة المنقوشة على سطح الأبنية المخصصة لجمع لبن المرأة التى أنجبت ذكرا • حيث كانت تعزى الى استخدام فوائد علاجيـة كثيرة • وقد اعتبر المصريون القـدماء فى جميـع عصورهم أن لبن النساء عامة أرقى من أى لبن آخر ، ويقدمون فى ذلك لبن المرأة التى أنجبت ذكرا لذلك كانوا يحفظونه فى أوعية على شكل امرأة تحمل ولدا •

ومن هنا نكتشف أن الأحـكام التى نطلقها عـلى الطب الفرعونى اليوم تعتبر قاصرة ، وسوف يسـتنكفها التاريخ وينقضها العلم نفسه وذلك لافتقارنا الى مصادر كافية للبحث فلا زلنا نعتمد فى دراساتنا واستنتاجاتنا على ثمانية قراطيس هى كل ما وصـل الينا حتى الآن من آثار أربعين قرنا من الزمان ، وهذه المخطوطات تختلف من حيث القيمة والدقة فهى تارة تعتمد على الملاحظة الواقعية ، كقرطاس « ادوين سميث» • وهى تزخر بالخرافات تارة أخرى كقرطاس لندن• ورغم ذلك ، كان المصريون القدماء أول من حاول التخلص من الجهل والخرافات التى سادت العالم القديم ويكفيهم ويكفينا فخرا : أنهـم وضـعوا الأسس الصـحيحة التى أقام عليهـا

هيبوقراط ومن تلاه مبادىء الطب الحديث ، وأنهم أيضا انشأوا أول جامعات العالم التى كانوا يطلقون عليها « بيوت الحياة » .

نعود للحديث عن قسم أمراض النساء لدى الفراعنة .. فقد كان نطاقه بطبيعة الحال فى مصر القديمة واسعا كما هو الشان في جميع البلاد الاخرى. وتحدثوا عن الأم ولم ينسوا رضيعها ، فنحن نعرف أنه منذ الصرخة الأولى يمكن ان يتنبا الانسان بحظه في الحياة ، فاذا صرخ « نى » فانه يعيش ، اما اذا صرخ « مبى » فانه يموت . ونعلم أيضا كيف كان فى الامكان معرفة جودة لبن الام من رائحته ، وكيف يستطيع الانسان زيادة لبن المرضعة ، وان هناك وصفة كانت تعطى لتهدئة صراخ الاطفال الكثير ، وكان الدواء الذى يحقق هذه المعجزة مزيجا من بذور نبات « شبن » ووسخ الذباب وكانت المادة الثانية لا فائدة منها بطبيعة الحال . أما المادة الأولى فربما كانت ناجحة المفعول وخاصة اذا كان نبات « شبن » هو نفس النبات الذى يستعمل الآن فى الصعيد لتنويم الأطفال ألا وهو نبات الخشخاش « أبو النوم » . ومن العجب أن سكان مصر الحاليين قد حافظوا على كثير من هذا الطب المصرى حتى يومنا هذا ، فبالرغم من أن قرونا قد تعاقبت وأن البلاد قد مرت بكثير من التحولات وبالرغم من أن اللغة قد تغيرت مرة واحدة والديانة مرتين وبالرغم من أن الشعب قد فقد كل مايذكره بعظمته السابقة . بالرغم من هذا كله ، فانه لم ينس بعد أن افرازات الكلاب وعظام السمك هى أدوية ناجحة ، والمصريون القدامى كانوا يستعملون ضد جميع أنواع السحر وصفة محددة تقول : جعل (جعران) كبير يقطع رأسه

وأجنحته ويغلى ويوضع فى الزيت ويخرج ثم يطبخ رأسه وأجنحته توضع فى دهن أفعى وتغلى ويشفى المريض من هذا المزيج · وعندما يريد المصرى اليوم أن يشفى « البواسير » فانه يأخذ خنفساء سوداء ويقليها فى الزيت ثم ينزع أغلفة الأجنحة والرأس ويرطبها على نار خفيفة · فالوصفة هى هى ·· بعينها فيما عدا أن دهن الأفعى استبدل به هنا الزيت العادى ··

والأغرب من هذه الأمثلة تلك الخرافات التى انتشرت وذاعت فى أوروبا · ففى البردية المصرية القديمة المحفوظة بمتحف برلين وصفت الحيلة التاليـة للتيقن مما اذا كانت المرأة ستحمل أم لا ·· « البطيخ يدق وينقع فى لبن امرأة حملت ولدا ·· دع المرأة تأكله فاذا تقيأته فانها ستلد ، أما اذا انتفخ بطنها فانها لا تلد · فهذه الوصفة المصرية الغريبة نفسها ذكرها هيبوقراط نقلا عن المصريين القدماء : «خذ تينا أو نبات بتروس ولبن امرأة حملت ولدا واجعل المرأة تشربه فاذا قاءت فانها ستلد ، أما اذا لم تقىء فانها لا تحمل» · فهذه الوصفة لا توجد حقا عنـد هيبوقراط ولكنهـا قد انتقلت بطريقة ما الى أوروبا · ففى كتاب جـرىء يرجع عهـده الى القرن السابع عشر يقول بيتر بوييه ما يلى : أحدث حفرتين فى الأرض وضع شعيرا فى احداهما وقمحا فى الأخرى ثم اسكب فى كلتيهما بول المرأة الحـامل وأهل عليهما التراب ثانية فاذا ما نبت القمح قبل الشعير فسيكون ولدا ، أما اذا نبت الشعير أولا فيجب عليك أن تنتظر بنتا · كما أنه يوجد كتيب انجليزى مطبوع فى انجلترا عنوانه «القابلة الخبيرة» تظهر فيه هذه الوصفة المصرية القديمة بشكل يدخله بعض

التحوير . وهكذا نرى أن حكمة المصريين القدماء قد وجدت ملجأها الأخير عند شيفرتوماس وزملائه . وهذه الوصفة تعتمد قبل كل شيء على بردية ايبرس الطبية المصرية ، ويرد ما يشبهها تماما فى نصوص بردية برلين الطبية المصرية وبردية هيرست المصرية بجامعة كاليفورنيا .

وقد تفنن المصريون القدماء فى رسم طرق العلاج فهم أول من استعمل اللبخات المحتوية على اكسيد الرصاص كما ذكر ذلك فى الوصفة رقم ١٩١ من بردية هيرست المصرية . واستعملوا الحقن الشرجية المسكنة المحتوية على منقوع الخشخاش ، كما ورد فى الوصفة رقم ١٦٤ من بردية ايبرس المصرية . واستعملوا الدوشات للرحم من عقاقير نباتية منقوعة فى لبن البقر وكذلك اللعوقات لالتهابات اللسان والزور . وهم أول من عرف خواص المسهلات وقسموها الى فرق وأول من استعمل الدهانات العطرية لازالة الروائح الكريهة من جسم الانسان .. واليك وصفة من أهم مستحضراتهم لتعطير فم السيدات : مر ناشف وكندر ومستكة وينسون ودراصوص بكميات متساوية تطحن جيدا وتمزج ثم تعجن . وكان للملوك الفراعنة ولع شديد باستجلاب النباتات الطبية وغيرها من البلدان الأخرى . وقد وجدت بعض النقوش فى معبد الدير البحرى تذكر أن الملكة حاتشبسوت أرسلت عام ١٧٠٠ ق.م بعثة الى بلاد بونت ــ الصومال ــ استجلبت ٣٠ شجرة من المر تزرع فى طيبة وكذلك تذكر بعض النقوش أن الملك تحوتمس الثالث أوفد الكثير من البعثات لاستجلاب أصناف من النباتات من سومطرة .

أيضا الحقن اختراع مصرى قديم ، وكان الكهنة المحنطون يستعملونها لادخال السوائل فى الراس وفى التجاويف الاخرى فى الجثة • كما كانوا يستعملونها فى اغراض اخرى مما ظهر لنا أثناء دراسة القراطيس الطبية • ولمعرفة الادوية التى كانت مستعملة عند الفراعنة المصريين فى التخدير نرى أن بلينى قال انهم استعملوا ما كانوا يسمونه موفيتيس وهذه حين تسحق وتمزج بالخل تخدر موضعها •• حتى انه قد يقطع أو يكوى دون ألم •• وقد أشار ديوسكوريد الى نفس الأمر ، وذكر أن حجر ممفيس الذى يحتوى على هذا المسحوق كان دهنى الملمس ذا ألوان مختلفة ، وبعد أن كان مشهورا بمنافعه نسى وبطل استعماله •

ومن الممكن تفسير هذه الظاهرة ، فان العلوم الحديثة أبانت عن الفعل المخدر لحمض الكربونيك ، ولما كان الرخام مركبا من كربونات الكالسيوم وهذا يتأثر بحمض الخليك الموجود فى الخل •• فالمصريون القدماء استعملوا الرخام المسحوق من ممفيس وأضافوا اليه الخل وبذلك استطاعوا أن يستفيدوا من تأثير حمض الكربونيك الناتج عن التفاعل الكيماوى أثناء تصاعده فى احداث التخدير الموضعى •

هكذا كان المصريون القدماء من أكثر من خمسة آلاف سنة : عرفوا الطب وفروعه على أساس علمى متخصص •• سبقوا به العالم أجمع وعلموا العالم القديم كيف يداوى الأمراض ويحافظ على صحة أهله •

(٩)

المصريون القدماء ..
وضـــعوا أسس فن
العقــاقير النباتيــة

وكما تحدثنــا عن براعة قدماء المصريين فى كافة علوم الطب بحيث أصبحوا أساطين الطب .. لابد أيضا أن نسلط الأضواء على تقدمهم فى فن العقاقير النباتية ..

آبنوس : نبات اسمه معرب من العبرية «حجر» نسبة لصلابة أخشابه . والآبنوس اذا حرق صعدت منه رائحة زكية بدون دخنة ، وقد استعمل قدماء المصريين مطبــوخه فى عــلاج الروماتيزم وبعض الأمراض الاخــرى . وقد ورد اســم الآبنوس فى النصوص المصرية القــديمة باســم « هبن » وذكر بمقبرة « تى » بسقارة ، وقد لوحظ كثرة استعماله فى أيام الأخمسة والحادية عشرة ــ ربما لعقيدة ما لديهم ــ ووصف موضعيا لضيق حــدقة العين ، ولطرد عتامة العين .

آس ــ آسية : وهو نبات دائم الخضرة طيب الرائحة ينتفع منه بالثمار والأوراق والأزهار ، فالثمار تؤكل خضراء وجافة وهى قابضة دافعة للأرياح · وقد ورد اسمه فى البرديات المصرية باسم « خت أوس » وقد ورد فى علاج كدهان لحمرة البطن ــ جرعة للصرع ــ لحرقة أسفل البطن والمثانة ــ لتنظيم البول ــ للسعال ــ لانماء الشعر ــ للشلل ــ وضد آلام العجز من الرحم ·

آينسون ــ ينسون : بلغة العامة ــ والينسون هذا منبه مصرى عطرى معرق منفث مخرج للأرياح ينفع لانتفاخ الأمعاء ·· يضاف للمسهل ضد المغص وضمن غسول للفم ومهدىء عام · ولا يزال للآن يشكل الآينسون كسواغ فى الأمزجة الصدرية ·

بابونج : نبات أزهاره مرة ، وقد ورد فى البرديات المصرية القديمة علاجا موضعيا ضد آكلة الجلد والجرب · والبرسيم الحلو نوعان بستانى يؤكل وبرى يرعى ·· أزهاره حين تجف تكتسب رائحة قوية مقبولة تنسب للكورامين المحتوية عليه ، وقد ورد فى البرديات المصرية ضمن ضماد لتليين الركبة ــ ضمادا لانماء الشعر ــ موضعيا للقرح المتقيح ولطرد ثعبان البطن والدودة الشريطية ولصرف الصديد من البطن ولتليين المفاصل ولايقاف القىء ولضعف السمع ·

البسلة : « بقولية » واسمه باللغــة المصرية القــديمة « تحوى » وهو من افضل الخضر للانسان يدخــل فى تركيب المراهم ·· ووصف هذا النبات عند المصريين القــدماء فى دهان للشلل الخفيف والذبحة الصــدرية والتهــاب الزائدة الدودية وموضعيا لالتهاب الاصبع · وقد وجد هذا النبــات فى مقبرة هوارة ــ كاهون ــ ووجدت حبوب البسلة فى هرم دهشــــور ·

بشنين : يقال له عرايس النيل واسمه باللغة المصرية «سشن » ، وهو نبات مائى تتفتح آزهاره اذا طلعت الشمس وتنقبض أذا غربت ، وقد نســبت اليــه خاصيته فى علاج العقم ويحضر منها شراب مسكن · وقد وصف زهره للبــول الدموى ، ووصف ورقه لسقوط الشــعر ، وعن طريق الفم علاجا للكبد ولالتهاب المثانة عن طريق حقنة شرجية ·

البطيخ : واسمه بالمصرية « بدوكا » ويقال ان الاســم المصرى هو أصل الاسم العربى ، وقد وصف لابعاد التهــاب الشرج ومقويا · وورد البطيخ مرسوما عــلى الآثار وملونا بالأخضر · كذلك الشمام ورد على الآثار ملونا بالأصفر · كان قدماء المصريين يكثرون من زراعته ، ووجد فى تابوت الكاهن « بنفس » ورق البطيخ كاسيا المومياء ، وقد عثر على بذوره فى مقبرة مصرية قديمة وتوجــد بعض بــذوره فى متحف برلين ·

البقدونس : والأصــل الفعال فى هــذا النبات هــو « ايبول » وهو سائل خافض للحرارة ومدر للطمث فى عسره وانقطاعه ·

تربنتينة : ، اسمه بالمصرية « سفذ »، وقد وصف ضد الدودة الشريطية • والتربنتينة مطهر موضعى ومهيج وطارد للأرياح وقاتل للديدان المعوية ، ولكن أبطل استعماله أخيرا لخطورته ويستعمل الآن ضمن الأدوية المسكنة للامباجو وغيره وضد القراع ويستعمل فى انتفاخ البطن فى الحميات وغيرها •

التوت : ثماره حمضية قابضة قليلا يحتوى عصيره على ٢٥٪ من حمض الليمون • ويحضر منها شراب مبرد فى الحميات وغراغر ملطفة فى الذبحات الصدرية ، ويضاف للأدوية ملونا ومحليا • والعامة يستعملون شرابه لحوسا ومرطبا عند الأطفال ، وجذوره مسهلة طاردة للديدان ، وقد عثر « فلندرز بترى » على بعض من التوت الأسود فى مقابر هوارة •

الثوم : تحوى فصوصه رائحة نفاذه قوية تسيل الدموع •• « كبريتور الاليل » منبه مغذ ، خافض للحرارة مطهر فى النزلات المعوية ومنفث فى السعال الديكى والربو ويزيل عين السمكة كيا • وكان القدماء يستخرجون من الثوم دهنا يسمى دهن الثوم ، كان ذا شهرة عظيمة علاجا للمقعدين وأهل الفلوات ينظمون الثوم فصوصا فى خيط ويعلقونه حول عنق الأطفال المصابين بالديدان المعوية وبالأخص لما تصل الى المرىء . وذلك لخلو تلك الأماكن البعيدة من الأدوية المحققة • وان اسمه بالمصرية «حتوم» ، وقد وصفه القدماء علاجا لتهيج الجلد وعلاجا ضد الجرب •

الجميز : كان مقدسا عند قدماء المصريين وخصوصا فى الوجه البحرى وهو من أقدم الأشـجار فى مصر وأشـهرها لذلك جعل اسمه « نهى » علما على مصر فسـميت « نهى » أيضا وورد عن الكاتب « آنى » المصرى أنه لما توفى استظل فى الآخرة تحت شجرة جميز . والجميز مصرى الأصل ووجدت ثماره بمقدار جاف فى المقابر وتحوى جميع متاحف أوروبا بعضا من الجميز مجففا من العهد الفرعونى مخفوظا جيدا . وقد وصفه القدماء مسهلا وملينا وضد التهاب اللثة وضـد الاسقربوط . وفضلا عن أهمية الجميز كعلاج ، فان عصير الجميز كان يعرف عند قدماء المصريين باسم « أرت » وقد استعمل المصريون الجميز للأمراض الجلدية خصـــوصا فى المرض المعروف لدينا باسم « الصدفية » كما وصف الجميز للنزلة المعوية .

حب العزيز : سمى بحب العزيز لأن أحـد ملوك مصر كان مولعا بأكله والمستعمل منه درناته وهى غذائية سكرية فى حجم البندق . وأهل النمسا يحمصونها كالبن كما أن أهل مصر يطعمونها للمراضع مسـمنة . ويحضر منهـا فى بلاد الاسبان مشروب ، يباع فى الأسواق أسوة بمشروب العرقسوس عندنا . ويقوم مقام شراب اللوز بالنسبة لمذاقه ، وبذوره زيتية تعتصر فيخرج منها زيت حلـو الطعم ملطف مسـكن من تهيجات الثدى .

واسمه بالمصرية « جيو » ووصف عند المصريين القدماء كعلاج لكتاركت العين وللاكزيما وأكلة الجلد ودهان فى بعض حالات الحمى والتهاب الرحم .

الحلبة : اسمها باللغة المصرية « حمايت » ، وقد وصفها القدماء لازالة تجاعيد الشيخوخة ، وان بذر الحلبة يحتوى زيتا مقويا ومدرا للبن كما أثبتت التحليل الحديثة ذلك • وقد وصفه القدماء أيضا للثدى المريض موضعيا • كما أنها تدخل فى تركيب مرهم الخطمية وبعض اللصوق •

الخروع : نبات شجرى أوراقه ذات خمسة فصوص فى شكل راحة اليد •• ثماره تحتوى على لوزة زيتية تعتصر فيخرج منها زيت مسهل بنسبة ٥٠٪ وعصيره ملطف من التهاب العين •

وقد جاء بقرطاس ايبرس المصرى الطبى « الوصفة رقم ٢٥١ » :

« قائمة بفوائد الخروع •• وجدت بكتاب قديم خاص بالأشياء النافعة للانسان •• اذا دهكت قشور ثمره فى ماء ووضعت على الرأس المصاب شفى حالا كأنه لم يتألم واذا مضغ بعض بذره ببيرة وأعطى لشخص مصاب بامساك طرد البراز من جسم هذا الشخص • وينمو شعر المرأة بتأثير بذره •

ادهك البذر كتلة واحدة •• امزجه بالشحم • اجعل المرأة تدهن به رأسها ومن بذره يستخرج زيت •• اذا دهنت به القروح التى تفرز افرازا نتنا شفيت كأنها لم تكن •• ستختفى اذا دهنت به لمدة عشرة أيام •

ادهن القروح مبكرا فى الصباح اذا أردت أن تزيلها ٠ هذا علاج حقيقى تأكد ملايين المرات » ٠

وقد وصف القدماء الخروع ملينا ولطرد العفونة وضمن ضماد للحمرة ولمنع ادرار الدموع وضد القراع ٠

واعتاد القدماء أن يمضغوه مع البوظة ، مما يشير الى انهم عرفوا أن الزيت أكثر ذوبانا فى الكحول من الماء ٠

الخروب : ويقال له أيضا ــ خرنــوب ــ نبات شــجرى ثماره قرنية تحتوى بذورا يحيط بها لب ســكرى حامض ، يغذى وملين مرطب كالعنب والتمر هندى يستعمله العرب فى النزلات والآفات الشــعبية ، وفى الحميــات الصــفراوية والالتهابية ٠ وقد استعمله قدماء المصريين فى علاج أمراض النساء ووصف الخروب أيضا لالتهاب الشرج ولانعاش القلب والقفص الصدرى ٠

الرمان : نبات شجيرى ، قشور ثماره قابضة لاحتوائها على التنين ، يدخل فى كى الدباغة والأصل الفعال فى عصيره البلليترين ٠

المغات : الرمان البرى، ويعرف بالعراقى فى لغة العطارة ويعطى مطبوخا فى اللبن أو الماء للضــعفاء ، وأهــــل مصر يعطونه مقويا للنفساوات ٠ وأقدم رسم لشجرة الرمان هو الوارد بمقبرة فى تل العمارنة من عهد أخناتون ٠

وقد عثر الأثريون على كثير من فاكهة الرمان من تلك العصور ٠ ودور تحف أوروبا تحوى ثمار هذا النبات وغيرها ٠

هذا كله على سبيل المثال ولا يتسع المجال لتناول آلاف الشجيرات من مصر القديمة وأهميتها العظمى عند الفراعنة. ويرى القارىء الآن ويحكم على تقدم أجدادنا فى مختلف علوم الحياة .

ومن الطريف آن ترى رسمين للفجل بمعبد الكرنك .. وقال «لوريه» ، انه عثر على فجلتين فى احدى مقابر كاهون .. والفجل مقو مصرى مدر للبول مفرز للبن تعتصر بذوره فيخرج منها زيت يعرف بالسحيقة، عصيره ينفع ضدالحصوات الصفراوية شرابا ومقداره من ١٠٠ الى ٢٠٠ جرام وقد ورد ضمن وصفة لجعل ندبة الحرق تسود « وصفة مصرية » .

هكذا رأينا بعض آنــواع من النبــاتات ومــدى دورها المؤثر فى صحة الانسان ، ورأينا كيف أن آجدادنا المصريين وضعوا أسس انعلاج ونجاحه عــلى النبــاتات ، فكانت هى دواءهم وملجأهم للتخلص من المرض . وبهذا وضعوا أسس فن العقاقير النباتية ، وجدوا واجتهدوا فى معرفة المزيد من أنواعها .. تركوها فى مقابرهم اما مرسومة أو منقوشة على الجدران ، وتارة أخرى نراها موجودة ضمن موائد القرابين المقدمة للمتوفى ، وتشهد متاحف أوروبا بتقــدم المصرى القديم فى فن العقاقير النباتية وبهذا صاروا سادة العالم .

(١٠)

٣٥ قرنا ·· واللصوص تتعقب هذا الملك !!

سرقة ٥٣ قطعة و ٤٠٠ لتر من عطور الملك

العثور على الآثار المسروقة في خمسة متاحف عالمية ·

لا أحد منا يعتقد ·· أو يتصور ما حدث لملك فرعونى شاب لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره ·· كانت مقبرته محط أنظار لصوص المقابر على مدى العصور ، حتى خارت قواهم فى الوصول الى غاياتهم منها ·· وشاء القدر أن يردم عليها فى عهد الرعامسة وصارت فى طى النسيان ·

ولكن حدثت المفاجأة عند كشفها وحقق مكتشفو المقبرة ما لم يحققه لصوص ٣٥ قرنا ·· ترى ، ما السر وراء غلق المقبرة أكثر من مرة ؟ وكذلك برقية مراسل التايمز البريطانية الذى جعل مكتشف المقبرة يصدر قرارا بمنع الصحفيين من زيارة توت عنخ آمون ؟!

هـذا الفرعون لم تمهله الأقدار من الـوقت ما يجعله يحقق لبلاده من الأمجاد ما حققه لها غيره من فراعنة مصر ٠٠ ولكنه اليوم يقف شاهدا على عظمة تلك الحضارة ٠ لم يكن فى مخيلة هذا الفرعون الذى لقى مصرعه فى الثامنة عشرة أن يبلغ هذا الحد من الشـهرة والمجـد لولا المصـادفة التى جمعت ذات يوم بين لورد بريطانى ساقته متاعبـه الصحيه الى أرض مصر حيث كان يقضى بها فصل الشتاء من كل عام . وبين رسام انجليزى عالم فى الآثار امضى وقتا طويلا يفتش فى رمالها بحثا عن اى كشف أثرى جديد ٠

كان « اللورد كارنارفون » ذو الثقافة الفنيـة العميقة مولعا بالآثار المصرية القديمة ، ولـكن هـذا الولع لم يكن كافيا لكى يحقق له أى نجاح فى أول حفـرياته التى بداها عام١٩٠٦ ٠ ومن ثم لجأ الى سير جاستون ماسبيرو مدير متحف الآثار المصرية فى ذلك الوقت ليساله النصيحه ، فقدمه لهوارد كارتر الذى كان يمتلك الخبرة ولكنـه يفتقـد الامكانات المالية اللازمة للكشف عن مقبرة فرعون ما قد تكون مختفية فى وادى الملوك استـنادا الى بعض الشـواهد المتفرقة التى تشـير الى وجود مثـل هـذه المقبرة ٠٠ ففى المنطقة التى حددها كارتر ليبـدأ فيهـا حفرياته كان قد تم اكتشـاف مخبـأ لأوان فخـارية عليهـا أختـام كتب فوقهـا اسم « توت عنخ آمون » ، وتحتـوى هـذه الأوانى عـلى بعض اللوازم الجنائزية ، ومن بينها لفافات كتانيـة وبعض الأدوات التى تستخدم فى المراسم الجنازية ، بالاضـافة الى اكتشاف حفرة بأحد القبور تضم صندوقا خشبيا به لفـائف ذهبية محفور عليها اسم توت عنخ آمون ، فظن فى البـداية

أنها مقبرة الفرعون ، الا أن كارتر كان من رأيه أن ملكا مصريا قديما لا يمكن أن يدفن فى مثل هذا القبر المتواضع .
وعقب اندلاع الحرب العالمية الأولى توقفت الحفريات ولم تستكمل الا بعد ثلاث سنوات . وحتى هذا الوقت، لم يكن أحد من الاثريين يهتم بوضع خريطة للحفريات ، ولذا فقد شرع كارتر فى عام ١٩١٧ بوضع خريطة دقيقة سجل عليها مناطق الحفر ، واستمر العمل ست سنوات متصلة وفى ربيع عام ١٩٢٢ وبينما اللورد كارنارفون يفكر جديا فى وضع حد لهذا الهراء الذى كلفه نحو ٢٢ ألف جنيه استرلينى اذا به يتسلم البرقية التالية : أخيرا توصلت الى اكتشاف مدهش بالوادى : مقبرة رائعة اختامها سليمة .. قمنا بردمها مرة ثانية انتظارا لوصولك .. خالص التهنئة .

اتخذ « كارتر » الذى شعر بأن هذه هى فرصته الأخيرة لتحقيق حلمه قرارا بنقل حفرياته الى موقع آخر جديد فى الركن الشمالى من مقبرة رمسيس السادس فحفر حفرة فى اتجاه الجنوب وسط طبقة الصوان التى كان عمال الحفريات قد أقاموا عليها أكواخهم حتى قرر كارتر ازالتها للتنقيب أسفلها . وفى ٢ نوفمبر ١٩٢٢ وهو فى طريقه الى موقع الحفر ، اذا برئيس عماله يعدو نحوه صائحا :

لقد اصطدمت فؤوسنا بدرجة سلم منحوتة فى الصخر أسفل أرضية الكوخ الأول . وفى الخامس من نوفمبر ١٩٢٢ ، تم الكشف عن ١٢ درجة سلم ولم يعد هناك شك فى أن هذا الدرج يقود الى مقبرة منحوتة فى الصخر ، فقد ظهر باب حجرى محكم الغلق ، وعليه ظهرت بعض الأختام بها رسم

لابن آوى ورسوم لتسعة أسرى . وفى كتابه الشهير توت عنخ آمون .. يصف كارتر اللحظات التى سبقت دخول المقبرة . فيقول : عندما شرع العمال فى رفع الأنقاض من الجزء السفلى من السرداب بدأ عملهم بطيئا للغاية الى أن ظهر الباب بأكمله واضحا أمامنا .. وبيدين مهتزتين أحدثت ثغرة فى الركن الأيسر لأعلى الباب ومن خلفى وقف اللورد كارنارفون. فى البداية لم أستطع أن أرى شيئا ، حتى بدأت تظهر أمام ناظرى وبالتدريج معالم تفاصيل المكان .. حيوانات غريبة .. تماثيل .. ذهب .. الذهب يلمع فى كل مكان .. وللحظة قصيرة لابد أنها بدت دهرا أخذت أحملق صامتا من فرط الدهشة .. ان ما كشف عنه لهو أثمن من أى كشف أثرى .. كانت الحجرة حافلة بالاشياء العجيبة : كؤوس من الألباستر نصف الشفاف على شكل زهرة اللوتس .. كومة غير منتظمة من العربات المقلوبة تلمع بالذهب ومطعمة بالأصداف . تمثالان أسودان بالحجم الطبيعى للملك يواجهان بعضهما البعض كحارسين للمقبرة ، لكل منهما تنورة ذهبية ونعلان ، ويمسك كل منهما صولجان وعصا وفوق جبهة كل من التمثالين الكوبرا المقدسة الحامية ، بالاضافة الى ثلاث أرائك مذهبة وتوابيت سوداء غريبة وتاج مرصع مذهب .. لم يظهر بالحجرة أى أثر لمومياء أو كفن وكان الواضح أن هذه الحجرة مؤدية الى باقى حجرات المقبرة . وبعد افتتاح المقبرة قرر كارتر واللورد اغلاقها من جديد وسد الثغرة التى أحدثت فى الباب ، وكانت حجتهما فى ذلك كما ورد على لسان اللورد فى التصريح الذى أدلى به عقب الافتتاح : لم أكن أتوقع العثور على مثل هذه الآثار؛ ولذا لم أصطحب معى

هيئة من الخبراء لمساعدة المستر كارتر ، من اجل ذلك أغلقنا المقبرة من جديد ٠٠ كما أن بقية الغرف سيتم افتتاحها فيما بعد ٠٠ لم يكن اللورد صادقا فيما قال فقد كان فى الواقع يؤجل افتتاح المقبرة الى حين التوصل الى اتفاق مع الحكومة المصرية يضمن له الحصول على ٥٠٪ من الآثار المكتشفة ٠٠ وقد أدرك المصريون هذه الالاعيب وأخذ طلاب الجامعة يعقدون الاجتماعات مطالبين الحكومة ومؤكدين بأن تراث مصر وآثار أجدادنا من حقنا وملك لنا ٠٠ وصدرت افتتاحية الأهرام تحت عنوان : آثار مصر يجب أن تبقى لمصر، وفى ١٧ فبراير ١٩٢٣ افتتحت حجرة الدفن حيث وجد تابوت الملك الصغير وبداخله مومياؤه التى كشفت لنا عن هذا السر الغامض الذى جعله يفقد حياته فى هذه السن المبكرة ٠ ولم تفتتح المقبرة رسميا الا فى السادس من مارس ١٩٢٤ بعد أن تم نقل جميع محتوياتها النفيسة من كنوز وأثاث وملابس وأدوات٠٠ولعل أغرب ما فى قصة هذا الكشف الأثرى العظيم نوح فخارى وجد على باب حجرة الدفن الرئيسية مكتوب عليه « سيذبح الموت بجناحيه كل من يبدد سلام مرقد فرعون » ٠٠ وما هى الا سنوات قليلة ، حتى كان ١٣ شخصا ممن حضروا افتتاح المقبرة قد ماتوا فى ظروف غامضة ٠

لقد التفت الباحثون من الأوربيين والأمريكيين الى هذا الكشف أعظم التفات وقدمت التهانى الى كارتر واللورد من الهيئات العلمية فى الشرق والغرب ، ودعيت الصحافة لمعاينة ذلك الكشف الخطير ٠٠ فذهب لمعاينته ثلاثة من الصحفيين ٠٠ المازنى مندوبا عن الأخبار ، ود ٠ هيكل مندوبا عن السياسة وزكى مبارك مندوبا عن جريدة الأفكار ٠

وفى ذلك الوقت تحدث « كارتر » كثيرا عن نقص بعض محتويات المقبرة وكان الرأى عنده .. أن أيدى اللصــوص قد امتــدت اليهــا فى عهـــد الأسرة العشرين ، أى فى عام ١١١٥ ق.م ... وفى ذلك الوقت لم يفت مراســل التايمز البريطانية ان يبرق الى جريدته بالتلميح عن هــذا النقص ونية كارتر السيئة . كانت النتيجة عدم السماح للصحفيين بزيارة المقبرة .

وهنا يســجل أمير الشــعراء شوقى معــارضة كارتر للصحفيين فى زيارته المقبرة مخاطبا فرعون قائلا :

أبوابك اللائى قصدنا قصدها
كارتــر فى وجــه الــوفود ردها

لولا جهود لا تريد جحدها
وحــرمة من قربك اســتمدها

قلت لك اضرب يده وقدها
وابعث له من البعوض نكدها

وكان اللورد كارنارفون آنذاك قد أهدى الى بنت ملك انجلترا عقدا من العقود المصرية القديمة ففرحت به فرحا عظيما فلما سمعت أن بعوضة لسعته فمات ..نزعت العقد من جيدها لئلا تلحقها لعنة الفراعنة .. وهنا يقول شوقى :

صارت بقارعة الصعيد بعوضة
فى الجــو صــائد بازه وعقابه

وأصاب خرطوم الذبابة صفحة
خلقت لسيف الهند أو لذبابه

طارت بقافية القضاء ورأرأت
بكريمتيه ولامست بلعابه
ثم يعلل شوقى تلك الحادثة :
لا تسمعن لعصبة الأرواح ما
قالوا بباطل علمهم وكذابه
الروح للرحمن جل جلاله
هى من ضنائن علمه وغيابه
غلبوا على أعصابهم فتوهموا
أوهام مغلوب على أعصابه

ان المكتشفين لم يتخيلا أنهما أصحاب هذا الاكتشاف العظيم ، وأنهما أمام مقبرة كاملة تضم الآلاف من القطع الأثرية للملك الشاب توت عنخ آمون الذى تمتع بالثراء المادى والحضارى العظيم للدولة الحديثة . فقد ظهر فى احدى الوثائق لملك آشورى ذكر « ان الذهب فى مصر .. كالتراب تماما » . وأمام بريق الذهب وكثرة القطع الأثرية فى المقبرة ، لم يقاوم المكتشفان اغراء المادة أثناء حالة الذهول التى انتابتهما ، فمن المعروف ان كارنافون نفذ بجسمه من حفرة صغيرة تؤدى الى الصالة الأولى من المقبرة وأخذ بعض القطع الأثرية التى ظهرت فيما بعد فى العديد من متاحف العالم ، منها المتحف البريطانى ومتحف المتروبوليتان فى نيويورك ومتحف مدينة «كانسس» ومتحف بروكلين ، وأيضا فى متحف برلين .. من هذه القطع « سوط » أخذه وهو الذى كان من هواة تربية وركوب الخيول .. فأعجبه هذا السوط الذهبى والمعروض الآن فى متحف المتروبوليتان بنيويورك ..

علما بأنه يوجد بهذا المتحف من آثار توت عنخ آمون «١٧» قطعة أشهرها « السوط الذهبى » ٠٠ على شكل حصان يقفز ٠

كما توجد قطع من آثار توت عنخ آمون فى متحف « كانسس » على شكل حيوان صغير ٠٠ أما متحف «بروكلين» فقد آل اليه عن طريق الشراء من أحد أفراد أسرة كارتر «٥» قطع ، أشهرها أوان من القيشانى الأزرق على شكل اناء « حس » ، وهو اناء للتطهير فى حالة رائعة من الحفظ ٠ ولم تكن هذه المجموعة هى فقط التى غادرت البلاد من مجموعة كنوز مقبرة توت عنخ آمون ، والتى يعتقد الكثيرون أنها المجموعة الوحيدة الكاملة التى لم تمتد اليها يد انسان !

ولكن الضعف النفسى والاغراء المادى قد دفع المكتشفين اللذين خلدا اسميهما باقترانهما بهذا الكشف ٠٠ فلم يكتفيا بالشهرة التى لم ينلها أى مكتشف من قبل ، بل أخذوا بعض القطع التى كان من المفروض أن يكونوا أمناء عليها واننا لنتذكر بأن كارتر ــ أحد المكتشفين ــ لم تكن حالته المادية ميسرة ٠٠ وانه كان يعتمد على جهوده بالنسبة لمصدر لقمة العيش ، وقد أخذ هو أيضا بعض القطع الأثرية من المقبرة والتى آلت الى أفراد أسرته بعد وفاته الى أن علم « نيوبرى » ــ أحد علماء المصريات ــ بوجود بعض هذه المجموعة فى بيت احدى حفيداته؛ فأقنعها بأنه يجب أن تعود هذهالمجموعة الى القاهرة ٠٠ حيث ضمت بعضها الى المتحف المصرى فى سنة ١٩٤٦ بفضل جهود « برانتون » ــ أحد علماء المصريات ٠

وبنفس الطريقة آلت ٣٠ قطعة على شكل ورود مذهبة كانت ترصع القماش الذى كان يغطى الهيكل الخشبى

داخل المقصورة المذهبة الكبرى لتوت عنخ آمون ·· حيث تعرض هذه المجموعة الآن فى متحف «ميونخ» · وعلى ذلك ، فإن المتحف المصرى فقد مجموعة ذهبية تتألف من ٥٣ قطعة والتى لو أودعت مع بقية آثار توت عنخ آمون ؛ لأصبحت فعلا المجموعة الأثرية الأولى للملك التى يعثر عليها كاملة ·

ولكن يبدو أن المكتشفين الحديثين لم يكونا أكثر حرصا على هذا التراث من القدامى الذين أغاروا على المقبرة مرتين بعد فترة وجيزة من دفن الملك · فقد حدثت الأولى عندما دخل اللصوص المقبرة من فتحة فى أول المقبرة وكان هدفهم الحصول على كل القطع الذهبية الصغيرة التى وجدوها وهم فى عجلة من أمرهم فى أول المقبرة ·

أما المحاولة الثانية لسرقة المقبرة ، فقد كان هدف اللصوص هذه المرة أخذ العطور التى كانت تملأ الكثير من الأوانى، والتى قدر حجمها بحوالى ٤٠٠ لتر من العطور، التى كانت فى ذلك الوقت غالية الثمن فقاموا بتفريغ هذه الأوانى عن محتوياتها فى « قراب » من الجلد حتى يسهل حملها والخروج بها من المنفذ الذى دخلوا منه ·

وعلى ذلك ، يبدو أن محاولة أخذ بعض كنوز توت عنخ آمون فى العصر الحديث ما هو الا ترديد لصوت الماضى ، حيث قام اللصوص بسرقة بعض محتوياتها · بقى لنا الآن ٤٠٩٦ قطعة من آثار هذا الملك قابعة فى المتحف المصرى ·

ان كنوز توت عنخ آمون التى أدهشت العالم كله يوم اكتشافها ليست هى النقطة الوحيدة فى تاريخ هذا الملك ··

بل ان حياته وموته لازالا يحيران العلماء ٠٠ كيف مات هذا الملك فى هذه السن الصغيرة وهو فى ريعان شبابه ٠٠ هل كان ذلك نتيجة مرض وراثى ؟ أم نتيجة مؤامرة أحاطت به ؟ ٠٠ وعلى كل ، فان هذا الملك حقق شهرة لم يحظ بها ملك من قبل فى تاريخ العالم القديم ٠٠ ولا الحديث ٠٠ ومع ذلك ، فان أرض مصر الطيبة لازالت تخبىء الكثير مما تضيفه الى حضارة الانسان فى مصر وفى أى مكان فى العالم ٠

(١١)

« الاتيكيت »
عند قدماء المصريين

من الثابت أن طبيعة مصر وجغرافيتها كان لهما الأثر البعيد فى تشكيل نفسية وصياغة وجدان شعب هذا الوادى ، الذى عمر بالسكان منذ فجر التاريخ ، وهذه المعجزة المصرية القديمة لا تتمثل فى تلك الصروح الشامخة التى أقامها أجدادنا الأولون على ضفتى نهرهم المقدس فحسب ، بل شملت كل فروع العلم والفن والمعرفة وأسهمت فى خلق أدب انسانى أصيل ، لا يزال يحتفظ بجدته وتفرده ، بما يشتمل عليه من قيم ومثل عليا وعرف وعادات وتقاليد ، كانت خلاصة تجاربهم الانسانية وتأملهم الخلاق الطويل فى معطيات الحياة وأسرار الخلق والوجود · وتجلى ذلك فى نقوش المعابد والمقابر ووثائق البردى التى تعتز أشهر متاحف العالم بنصيبها منها ·

ولقــــد شـغلت التربيــة السـليمة وتقـويم سـلوك الفرد والجماعة بال حكماء ذلك الزمان الموغل فى القدم • أو تنبهوا فى ذلك الوقت المبكر الى استحالة قيام حضارة عـلى النحت فى الصخر فقط أو تشييد العمارة الهائلة فحسب •• دون بناء الانسان المفجر لهذا الاعجـاز • وكان من أبـرز ما وصل الينا وأكثرها كشفا عن ملامح المجتمع الفرعونى تحديدا لصفاته الأخلاقية وروابطه الاجتماعية ومعـاملاته وتربيته الأصيلة تحكم ذوقه وتضبط سلوكه ، تلك (الحـكم والنصائح والوصـايا) التى كتبها حكماء تلك العصـور ومعلموها على لسان الآباء لبنيهم ، يرشدونهم ويوجهونهم الى طريق الخير ويحذرونهم من الشر والاعوجاج • من أشـهر ما تحت أيدينا فى هذا المجال البردية المسماة « نصائح بتاح حتب » الذى كان وزيرا للملك زد كارع ـ « أسيس » من ملوك الأسرة الخامسة والمدفون فى جبانة سقارة •

وقد وصلتنا هذه النصائح فى أكثر من بردية أقدمها من آثار الأسرة الثانية عشرة • أى بعد موت مؤلفها بأكثر من ستمائة سنة • والنسخة الأصلية من هذه البردية موجودة الآن فى متحف اللوفر بباريس • كما أن هنـاك بردية أخرى فى المتحف البريطانى وهى من الدولة الحديثة •

نقرأ فى مقدمة هذه البردية أن سبب كتابتهـا هـــو احساس الوزير بالشيخوخة ، ثم يبدأ الوزير بتاح حتب بعد ذلك فى سرد حكمه ونصائحه • وهى تبدأ بتحذير أولئك الذين يدخلهم الغرور اذا اكتسبوا شيئا من العلم •

يقول في التنفير من غرور العلم لمن كان لديه سمة فيه وحظ كبير منه ٠٠ « لا يداخلنــك الغــرور بسبب علمك ، ولا تتعال وتنتفخ أوداجك لأنك رجل عالم ، استشر الجاهل كما تستشير العالم، لأنه ما من احد يستطيع الوصول الى آخر حدود الفن ، ولا يوجد الفنان الذى يبلغ الكمال ، ان الحديث الممتع أشد ندرة من الحجر الأخضر اللون ، ومع ذلك تجــده لدى الاماء اللاتى يجلسن الى الرحى(الخدم فى ذلك الزمان)٠

ويتعرض لالتزام الحق ولو على النفس ٠٠ « اذا كنت زعيما يحكم الناس ، فلا تسع الا وراء كل ما اكتملت محاسنه حتى تظل صفاتك الخلقية دون ثغرة فيها ٠ ما أعظم الحق فان قيمته خالدة لم ينل منها أحد ، لكن الذى يعتدى على الحق يحل به العقاب » ٠

وفى احترام المرؤوس لرئيسه مهما كان أصله : « اذا كنت شخصا فقيرا تعمل تابعا لأحد الرجال المعروفين الذين يشملهم رضاء الملك ، فلا تحاول معرفة شيء عن ماضيه عندما كان مغمورا ، ولا تجعل قلبك يتعالى عليه ٠ احترمه بنسبة ما صار اليه ٠ لأن الثروة لا تأتى من تلقاء ذاتهــا ، والله الذى يخلق الشهرة » ٠

وسجل الحكيم بتاح حتب « اذا كنت ممن يقصدهم الناس ليقدموا شكاواهم ، فكن رحيما عندما تستمع الى الشاكى ، لا تعامله الا بالحسنى حتى يفرغ مما فى نفسه ٠ أما الذى ينهر صاحب الشكوى ، فان الناس يقولون عنه لماذا تجاهلها؟ ان رفقك بالناس عند اصغائك للشكوى يفرح قلوبهم » ٠

ويتناول آداب المائدة قائلا : « اذا كنت مدعوا إلى مائدة من هو أعظم منك ، فخذ ما عسى أن يعطيه لك عندما يوضع أمامك . لا تنظر الى من هو أمامك ولا تسدد نظرات كثيرة اليه ، لأن اجباره على الالتفات اليك أمر تكرهه النفس » .

ولم يغفل بتاح حتب طريقة الكلام وكيفية الجلوس فى سياق وصاياه فيكتب .. « غض من طرفك حتى يحييك ، ولا تتكلم حتى يخاطبك ، اضحك عندما يضحك ، فان ذلك يدخل السرور على قلبه وسيقبل منك ما تفعله » .

وفى الأمانة عند الرسالة والصدق عند القول : « اذا كنت ممن يوثق فيهم ، ويرسلهم أحد العظماء الى عظيم آخر فكن أمينا جدا ، بلغ الرسالة كما قالها ، لا تخف شيئا مما قاله واحذر النسيان ، تمسك بأهداب الصدق ولا تتخطاه ، حتى لو كان ما تقوله قد خلا مما يرضى » .

وتتناول البردية فيما تتناول السلوك بالنسبة للجنس الآخر .. يقول بتاح حتب : « اذا أردت أن تطيل صداقتك فى بيت تزوره لسيد كان .. أو أخا أو صديقا ، فاحذر من الاقتراب من النساء فى أى مكان تدخله ، فهو مكان غير لائق لمثل هذا العمل . انها لحظة قصيرة كالحلم . والموت جزاء الاستمتاع بها » .

وهكذا أشار المصرى القديم الى من يخضع لشهوته وتغريه لذته ، فيكون جزاؤه الموت على جريمة الزنا . كما تحذر وصايا بتاح حتب من الجشع والطمع فوصفهما بأنهما

مرض عضال لا دواء له ، وحزمة جمعت كل أنواع الشرور وجعبة ملئت بكل شيء مقيت .. وعلى العكس من ذلك .. ما أسعد حياة الانسان وأطولها اذا كان متحليا بالاستقامة ملتزما جادتها فتكون لنفسه ثروة ! .. أما الجشع فلن يكون له ذكر .

وتحدث عن الروابط الأسرية وأخلاقيات التعامل بين أفرادها ، ونصح الزوج بألا يكثر من اصدار الأوامر الى زوجته .. « لاحظها بعينيك والزم الصمت حتى تدرك جمال مزاياها .. يالها من سعادة عندما تضم يدك الى يدها ، ان كل رجل يستقر فى منزله يجب أن يجعل قلبه ثابتا غير متقلب ، فلا تجر وراء امرأة أخرى ولا تجعلها تسرق قلبك » .

ونقرأ نصيحة أخرى من نفس عصر الدولة الحديثة يرسم فيها الحكيم المصرى القديم الطريق الصحيح أمام الشاب المصرى فى طاعة الوالدين ، «ما أجمل أن يصغى الابن حينما يتكلم أبوه ، ان من يسمع يظل محبوبا من الله ، ولكن الذى لا يسمع مكروه من الآلهة . أما الغبى الذى لا يسمع لوالديه نصحا ، فلن يلقى نجاحا ويجلب على نفسه اللوم كل يوم ، لأنه يفعل كل ما هو مكروه من الناس ، وسيموت وهو حى كل يوم ، ويتجنبه الناس لكثرة مساوئه » .

فاذا ما طوينا بردية بتاح حتب لنتصفح أخرى تعرف بنصائح موجهة الى «جمنيكاى» وهى من آثار الدولة الوسطى وان كان كاتبها قد نسبها الى الدولة القديمة وهى من محفوظات متحف اللوفر بباريس ، نقرأ من نصائحها الموجهة

الى «مريكا رع » وتحض على عمل الخير ٠٠ «هدىء من روع الباكى ، ولا تظلم الأرملة ، ولا تحرم انسانا من ثروة أبيه ، ولا تطرد موظفا من عمله ، وكن على حذر ممن ينتقم مما وقع عليه من ظلم، ولا تقتل رجلا اذا كنت تعرف جميل مزاياه » ٠

وبردية « آنى » من مقتنيات المتحف المصرى بالقاهرة ويرجع تاريخها الى الأسرتين ٢١ ، ٢٢ ومن هـذه البردية نعرف الـكثير عن آداب الذوق والسلوك وما كان يراه المصريون فى ذلك العهد فى تكوين المجتمع وصلة الناس ببعضهم البعض ٠ فلنستمع الى « آنى » :

«لا تكثر من الكلام والزم الصمت فتسعد ، ولا تكن ممن يحبون الخوض فى الحديث عن الناس ٠٠ ان شر ما يحدث فى بيت الله ــ المعبد ــ هـو احـداث الضجة ، وصـل بقلب يملؤه الحب ، ولا ترفع صـوتك بكلماتك وسيجيب الله سؤالك » ٠

ويتناول «آنى» مساوىء الخمر ومضارها ٠٠ « لا تؤذ نفسك بشرب الجعة ، لأنك اذا أردت الكلام فان ألفاظا أخرى تخرج من فمك . واذا سقطت وكسر أحد أعضائك فلن يمد أحد يدا اليك » ٠

كما حث المصرى القديم أهل زمانه على زيادة المحبـة للأم ومضاعفة الخبز الذى يعطونه لها ٠٠ ويواصل قائلا : احملها كما حملتك ٠٠ لقد كنت عبئا ثقيلا عليها ، ولكنها لم تتركه لك ٠٠ لقد ولدتك بعد شهور تسـعة ، ولكنها ظلت

مغلولة بك وكان ثديهـا في فمـك ثلاث سـنوات كاملة ، وأدخلتك المدرسة نتتعلم الكتابة ، وظلت تذهب اليك كل يوم حاملة اليك الخبز من منزلها ٠

ويتحدث الى الشاب بعد زواجه : « وعندما تتخذ لك زوجة وتستقر في منزلك ، فضع نصب عينيك كيف ولدتك أمك ٠٠ وكل ما فعلته من أجل تربيتك ، ولا تجعلها ترفع يديها الى الله لئلا يستمع الى شكواها منك » ٠٠

هـكذا كان المجتمع المصرى القـديم من خـلال أسره المتعاقبة ، يجتهد معلموه ورواده في وضع الأسس التربوية السليمة لقيام بنيانه ، فجعلوا من لوح الكتابة ابنا حبيبا ، وكتب التعليم مصـابيح يهتـدى بها ، وقلم الغـاب رفيقا مخلصا ، فكانت هذه الحضارة التى شملت كل شيء ، وضمت تحت جناحيها أروع ما أبدعتـه البشرية في الطب والفلك والعلوم والهندسة والعمارة والزراعة وآثمرت هـذا الفن الأسطورى ٠٠ فضمنوا لحياتهم البقاء ولحضارتهم الخلود ٠

(١٢)

فى المتون المصرية ..
اعتراف بكرامة الأم

من أب فرعونى الى شباب القرن ٢١ ..

« انهـا أمك كثيرا ما تحملت عبئك .. فاذا شببت واتخذت زوجة .. ضع نصب عينيك كيف ولدتك أمك » .

ومن أم فرعونية ..

« صانع النحاس .. يقضى يومه أمام النار متألما .

والبستانى .. يقوم بالعمل الشاق .

وصانع النعال .. يستجدى عمله من الناس

وغاسل الملابس .. الويل له اذا تأخر .

أما الكاتب .. فاذا تحدث صمت الجميع » .

.. الأم هذه الكلمة الوحيـدة الجميلة التى تنطق « ماما » .. أو « مام » فى جميع اللغات

واللهجات بنفس المفردات وان اختلفت ٠٠ فهى الأمينة على الأسرار والمربية الساهرة على راحة الجميع ٠٠ ما حكاية « بنت بر » فى مصر الفرعونية ٠٠ ومهمة الأب والدور الرائع الذى لعبه الأبوان ؟

فى فقرة من متن أدبى واحد من الدولة الحديثة وهو تعاليم (آنى) لولده « خنسو حوتب » ، يدعو الأب (آنى) ولده الى أن يضاعف من بره بأمه ويبصره لهذا بما أسفلت له من رعايته فى طفولته العاجزة فيقول :

واذ ولدت بعد أشهرك تكفلت (؟) بأن تسلم ثدييها لفمك خلال ثلاثة أعوام متحملة أذى قاذوراتك دون أنفة قلب قائلة ٠٠ ما الذى أفعله !

وقد آثر (آنى) اطالة مدة الرضاعة عن عمد فى حديثه مع ولده ، ليعظم له جليل فضل أمه عليه ٠

ولم تكن الأم العادية فى العصور القديمة فى مصر أو غيرها ترى طفلها فى حاجة الى مجرد الوقاية من المرض ثم علاجه ، بل كانت ترى وجوب وقايته أيضا من الحسد ، وكانت الأم تعتقد فى نفع بعض « الرقى » حيث يبعث ذلك فى نفسها شيئا من الطمأنينة على طفلها ٠

وضمن « بلوتارخ » ملاحظاته عن الحياة المصرية ملاحظة طريفة لا يزال صداها فى الأمثلة المصرية المعاصرة ، وهى اعتقادهم بأن فى الأطفال روحا ربانية وطهارة ملائكية

دعتهم الى استخلاص الفأل والطيرة من العابهم وتصرفاتهم العفوية ، وذلك مما يمكن تقريبه الى المثل الشعبى الحالى الذى يقول : « خذوا فألكم من عيالكم » ·

كانت الاسرة المصرية الفرعونية متينة وقوية ، تشهد بذلك مجموعة اتماتيل التى تؤكد على الاواصر العائليه · فاذا ظهر الاب والام فى حفل ، فغالبا ما يجمعهما مقعد واحد عريض ثم يجتمع ابناؤهما من بنين وبنات حولهما جالسين على المقاعد المنخفضة او راكعين على الارض المفروشة بالحصير ، وتبدو العلاقات العائلية اكثر تعبيرا فى المناظر الطليقة ، فاذا خرج رب العائلة لمتعة الصيد فى النهر او فى المناقع لا يستاثر بها وحده ، وانما يكون معه ابنه يحمل له صيده او يشاركه فيه ، وتكون زوجه من خلفه تسنده وتركع ابنته بين ساقيه تقطف من ازهار المناقع أو تمسك بسيقان البردى واللوتس لتحفظ توازن القارب الذى يقلها وعائلتها · وفضلا عن هذه الأوضاع والمناظر العامة التى تشهد بترابط الأسرة المصرية وآدابها واشتراكها فى مسراتها ، لم يفت بعض الفنانين المصريين أن يسجلوا من حياة الأسرة الخاصة الى جانب تعلق الأم بأطفالها ، صورا من حياة العطف والتواد التى تكون بين الأب وأولاده ، والتى تدل على أن الأب المصرى لم يكن بالرجل الفظ الذى يتباعد عن أطفاله ، على الرغم مما كان يلزمهم به أمام المجتمع من آداب وسلوك ··

أيضا هيأ العرف القديم للأسرة المصرية من القواعد ما كفل لها نصيبا كبيرا من الاستقرار ، وما كان يحول دون تبددها وأن يقلل من مشاكلها وقد كان من تعبيرات الزواج

فيها لفظ « منى » وهـو لفظ يعنى الاسـتقرار والرسـو والثبات . وكان من أوضح أركان الاستقرار فيها ما تقـدم عن تقدير الزوج لزوجته أو لأخته « سنتف » على حد التعبير القديم ، رغم تمسك رب الاسرة المصرى باستقرارها . اذ نجد تصويرا ساذجا فى كتاب لتفسير الأحلام من الدولة الوسطى يجعل من انفصال الزوجين وانعدام الاستقرار بينهما شرا مستطيرا .. فاذا رأى الانسان فى رؤيا النار تلحق بسريره ، فذاك شر ويعنى طرد زوجته ، واذا رأى وجهه فى مرآة فذاك شر ويعنى زوجة أخرى ، أما اذا رأى نفسه يشغل الحجر فى داره فذاك خير ويعني استقرار الرجل فى داره ، واذا رأى نفسه يقرأ فى مخطوط فذلك خير ويعنى استقرار الانسان فى داره .

ومع شدة حرص المصرى على انجاب الأولاد كان من قول عنخ شاشنقى لولده : «لا تهجر امرأة فى دارك لأنها عقيم» . . وما من شك فى أن ميل المصريين للحياة العائلية المستقرة هو الذى حد الى حـد كبير من الجمع بين الزوجتين بالرغم من اباحته فى تشريعتهم . على أنه فى حيـاة المصريين القـدماء ما هو أبعد من ذلك دلالة على ايثارهم للاستقرار العائلى ، وهو انه حتى فى حالات تعدد الزوجات ومع صعوبة الاستقرار فى بيت يجمع بين الضرائر، فقد تسمى احداهن بناتها بأسماء ضرتها ، وقد تكون الزوجة الأولى هى الموحية لزوجها باتخاذ ثانية ابتغاء الذرية ، ثم لا تلبث أن تعترف بأبنائها أبناء لها، فتورثهم وتزوج بنتا منهم لأخيهـا ، ومهما يكن من عوامل هذا الوفاق الغريب فقد كان لصالح الأبناء دون شك ...

وعلى أية حال ، فقد اعتبرت الأمثال المصرية الزوجة انعكاسا حيا لشخصية زوجها فى صلاحها ، فقالت فيما قالت : المرأة جسم من حجر لين تتخذ طبع أول من يشتغل فيها .. وقالت: اذا عشقت الأنثى تمساحا تطبعت بطبعه .. وقالت: تفجر المرأة برضا زوجها .. وقالت : زوجة الأحمق يمكن أن تضرب أحمقها .

ومع كل هذا ، فلم يكن حرص المصرى القديم على زوجته ليدفعه الى الزامها الحجاب او القعود حبيسة دارها . فقد كان لسيدات الطبقتين الوسطى والعليا نشاط كبير واشتراك فعلى فى شئون المعابد وفى خدمة الآلهة . وكان لبعضهن نصيب من الاشراف على بعض ما يتبع الزوج من وظائف وأعمال ، فضلا عما تولينه هن بالذات من مناصب فى القصور الملكية . ولم يكن الرجل يرى بأسا من أن تخرج زوجته بطفلها لزيارة أو نحوها من رعاية خدمه . واذا كانت المرأة المصرية قد وجدت هذه الثقة من زوجها ووجدت منه السماح بالاشتراك فى أوجه النشاط الاجتماعى ، وفى الحفلات العامة هى وبناتها، فلا يستبعد أن أبناءها كانوا يشجعون أيضا على ما يماثل ذلك من النشاط الدينى والاجتماعى منذ حداثتهم ، وذلك بما يتفق مع ظروف البيئة التى ينتمون اليها . ولم يؤد تحفظ الأسرة المصرية ازاء الاغراب الى أن تغلق أبوابها دون الأقرباء والأصدقاء وزوجاتهم . ولم تكن أيام الأسر الثرية تخلو من حفلات كبيرة ، يجتمع فيها الرجال والنساء والأطفال ، فيجلس كل رجل مع زوجته على مقعد واحد أو يكون للرجال مجلس يجمعهم وللنساء مجلس يجمعهن ، ثم يكون الأطفال بين هؤلاء

وهؤلاء ٠٠ ولم تكن مثل هذه الحفلات تخلو في العادة من رقص وموسيقى وطرب ٠٠

ومن الأدب القصصي ما يذكر أن من بنات الملوك من كن يدخلن على أبيهن الملك لتحيته بالترانيم الشعرية على أنغام الموسيقى الخفيفة ، ولو كان لديه ضيوفه ٠ وكانت البيوتات الراقية ترضى كذلك بمثل هذه الروح المهذبة لفتياتها ٠

معاملة الأبوين

صورت المتون المصرية وآدابها جوانب مما يلحظ من التمايز بين معاملة الأب لأبنائه وبين معاملة الأم لهم بعد تجاوزهم لطفولتهم الأولى ٠٠ فصورت متون الأهرام جانبا منها في عبارتين ٠٠ يدعو الأبوان بهما ولدهما الأكبر حين مقدمه عليهما ٠٠ فأما الأم فلا تزيد على أن تقول له «جميل» ٠٠ «ما أجملك !» ٠ وأما الأب، فيرى فيه النبت الذى يرجوه نغده فيناديه «وريث» «وريثى» ويصور جانبا آخر من هذا التمايز تباين لفظى فيما كان بعض الأبناء يعبر به عن صلاته بكل من أبيه وأمه ، كأن يقول : «لقد كنت أخشى أبى ٠٠ مدلل أمى ٠٠٠» ٠ كما تكشف المتون المصرية من ناحية أن حزم الأب كان يتجه أحيانا الى الحد من الملاينة المتبادلة بين الأم وولدها ، وتكشف من ناحية أخرى عن أن حنو الأمومة لم يكن يصرف المصرية عن اسهامها بنصيب واضح في تنشئة ولدها التنشئة الطيبة التى تتيسر لها في بيئتها ... فى الأولى يحض والد من الدولة القديمة ولده على الجدية والحزم فيذهب به الى قوله : [illegible]

« طوبى له من كان جادا ازاء امه . فهو جدير بان يصبح جميع الناس له تبعا » . وكأنما عنى الأب بهذا بما يترتب على اللين من ضعف الشخصية ، أو عنى أن التفريط في البيت يعقبه تفريط خارجه ، وان رجولة البيت تتبعها رجولة خارجه .

وذلك في حين يشهد للأمهات والد من الدولة الحديثة فيقول لولده :

« انها أمك كثيرا ما تحملت عبئك ولم تتركه لى .. وحينما ألحقت بالمدرسة وعلمت الكتابة فيها ، ظلت تواظب دونى على الذهاب اليك يوميا بالخبز والجعة من دارها فاذا شببت واتخذت زوجة واستقررت في دارك .. ضع نصب عينيك كيف ولدتك أمك ، وكيف كانت تربيتك كلها ؟ » . فهذا الأب اذن لم ير فيما فعلته الأم مجرد رعاية ، وانما هى تربية أسهمت فيها بما يذكر لها .

ومن الدولة الحديثة كذلك يصف « أحمس الأول » أمه « اعح حوتب » بأنها العالمة « رخت خت » ، وذلك مما يؤكد حصافة توجيهاتها وعظيم أثرها في حياته وحياة أخيه من قبله .

واذا جاز أن نرى في القصص المصرى صورا معبرة عن حياة المجتمع الذى نشأ فيه .. ففى قصة الصدق والضلال التى خلفها عصر الرعامسة عن حياة الطفل « حور » قرينة أخرى على اتجاه بعض الأمهات الى تنشئة أبنائهن التنشئة الطيبة ، اذ تروى القصة أن والدة الطفل « حور » كان قد

لحقه الفقر والعجز اثر مكيدة دبرها له أخوه ، وذهبت ببصره فأخذت زوجته مكانه فى تربية الصبى ، وألحقته بالمدرسة فتعلم الكتابة جيدا ومارس كل فنون النزال ·

وثمة عبارة فى تعاليم « عنخ شاشنقى » لو صحت القراءة التالية لها ، لكانت مما يحتم الاعتراف بكرامة الأم أمام أولادها · وقد قال فيها :

« لا تضحك ولدك وتبكيه على أمه ، تريد أن يعرف أهمية أبيه ، فما ولد فحل من فحل (من غير أم) ·

على انه مهما يكن من أثر الأم المصرية فى حياة ولدها فهو أثر لا يقاس بحال بأثر الأب فى تكييف سلوكه وتوجيه مستقبله ، فالأب بالذات هو من انست التربية المصرية الى خبرته واتجهت التعاليم الى ابراز آثره التربوى وقالت : « أولاد الأحمق يزرعون الطريق ·· وأولاد الحكيم يستقرون وراءه » ·

ومن ثم كان للمجتمع أن يتطلع الى أثره من خلال سلوك ولده · فمن رآهما قال ان شأن ذاك هو شأن هذا ، ومن سمعهما أكد ذلك وقال بمثله ·

وترتب على مسئولية الأب واجبات وحقوق ، فمن واجباته انه يلتمس لولده المطيع كل شأن فاضل وأن ترى عيناه وكذلك تسمع أذناه ما ينفع ولده وأجمل «بتاح حوتب» ذلك فى قوله لولده : « اذا نضجت وكونت دارا وأنجبت ولدا من نعمة الرب واختلم هذا الولد ونهج نهجك ووعى تعاليمك وصلحت أحواله فى دارك وحفظ ثروتك كما ينبغى ،

فالتمس له الخير كله وتحر كل شأن فاضل من أجله · فانه ولدك وفلذة نفسك ولا تصرف عنه نفسك » · ثم انه يفيده بخبرته ويسعى الى رفع مستواه وتعليمه ما تهيأ له ذلك ، وأن يحفظ كرامته عليه مما ينم عنه قولهم ·· « لا تدع عمل الخادم لولدك ان استطعت أن تجعل الخادم يؤديه واياك أن تتسبب فى أن يفقد ولدك دخله · ولا تقل « يا » ولد لمن نضج ولا تتجاهل من جانبك من كبر » ·

على أن المجتمع قد تقبل فى حالات أخرى أن يتجاوز توجيه الأب لولده سن النضج لهذا الابن ، ومن ذلك أن يقول « بتاح حوتب » لولده :

« اعمل حتى يقول رئيسك ·· ما أبدع تعليم أبيه ··! لقد خرج منه من صلبه ، وما قاله احتفظ به فى باطنه بأجمعه » وكأنه يؤكد بذلك أن ما يقوم به ولده فى حياته العملية انما هو مردود اليه أولا وآخرا ·

واذا جاز الاستشهاد بجانب مما جاءت به التعاليم المصرية المتأخرة على اعتبار أنها لم تكن غير امتداد لتعاليم العصور الفرعونية التى لم يبلغنا غير أقلها ، فان فيها ما يؤكد ما تقدم عن مسئولية الأب ازاء ولده والمجتمع اذ تقول : « انه تمثال من حجر ذلك الابن الغرير الذى لم يربه أو يعلمه أبوه ·· وتقول : « اذا لم يرب أو يعلم الابن عجب الناس جميعا من ذلك » · ومما تقدم يتضح كيف كان المصريون يرون من واجب الأب الحكيم أن يطلب المعرفة

بنفسه بغية أن ينفع بها بنيه ، وكان من الأبناء من يصف أباه بمثل هذه الصفة فيقول :

لقــد علمنى أبى ما يعرفه وهذبنى ما لا حصر له من المرات .. أو يشير الى أبيه فيقول انه أبوه الذى رباه وما أشبه ذلك وهو كثير .

وازاء تشبع المجتمع المصرى الى الآن بروح توقير الكبار ، لنا أن ننتهى الى أن كفة الرضى بين الآباء والأبناء كانت راجحة والى أنها كانت تحقق ، الى حد مقبول ، ما كان الآباء يعلقونه على كثرة النسل من انجاب من يصبحون لهم سند الشــيخوخة فى كبرهم والمحيين لأسمائهم بعد وفاتهم وتحقق مثلما قاله عنخ شــاشنقى لــولده أن « اتبع أباك وأمك تنطلق وتحرز الكمال » .

وقل ربى ارحمهما

جعلت عقائد المصريين الدينية سعادة المــرء فى أخراه مرتبطة الى حد كبير بما يؤديه له ولده من شعائر دينية وبما يقدمه باسمه من قرابين ، وما يقوم به لاحيــاء ذكراه فى أفواه النــاس . وكان مما يوعظ به الابن أن : « قدم المــاء لأبيــك وأمك الراقدين فى البرية ، ولا تبطل ذلك عسى أن يقدم لك ابنك مثله » .

وجاء فى متون الأهرام ما يتحدث عن لسان الابن فى قيامه بهذه الواجبات فيقول : انهض أبى حتى ترى هذا .. قم حتى تسمع هذا الذى يفعله ولدك من أجلك .

ويتحدث أحد أبناء الدولة الوسطى عن احيائه لذكرى أبيه فيقول : « لقد جعلت اسم أبى ينمو ويعظم » ·

ومن شواهد مبلغ رضا الآباء والأمهات بالبنت الى جانب رضاهم بالولد ، تلك الأسماء الطريفة التى خصوا بها بناتهم وعبروا بها عن الرضا عما رزقوا منهن ، فذلك الرجل الذى تقدم انه رزق سبعة عشر ابنا وابنة ويدعى « نيسونفر » كان له من بينهم تسع بنات تخير لهن أسماء « حنوت سن » بمعنى ستهم و « مريت ايت اس » بمعنى حبيبة أبيها و « بونفر » بمعنى الجمال و « مسحه » بمعنى التمساحة و « نوب كا » بمعنى ذهبية النفس و « سات مريت » بمعنى الابنة الحبيبة ·· وهلم جرا وأخيرا ·· فلا يستبعد اطلاقا أن فيما يحتفظ به مجتمعنا الى اليوم من أغانى الهدهدة التى ترحب بالبنت ترحيبها بالولد ، ما يعبر عن روح القناعة والرضا التى اتصف بها الخلق المصرى القديم ثم أورثنا اياها·

وكانت الأم الفرعونية رقيقة حتى فى تسمية أولادها ·· مثل « باماى » أى السبع و « سرحات » أى الجسور و « سترم ايب » أى مسعد القلب و « أوف نى بسش »أى حولى شريك و « أوف نى رسن » أى سيكون لى « أخا » ·

وهناك أسماء أخرى أرادت الأمهات أن يدفعن الحسد وعين الشر بها عن أطفالهن مثل « جار » أى عقرب و « نرخيسو » أى ما أعرفهوش و « بورخف » أى العبيط ·

وكان يطلق على الزوجة اسم «حمت» أى المكانة الممتازة ، وتعتبر « بنت بر » أى سيدة الدار و «الأخت العزيزة» التى عليها ادارة المنزل والعمل على نشر السعادة فيه ، الأمينة على

أسراره ، المربية لأولادها ، الساهرة على راحة الجميع فهذا «آنى» يحض ابنه على الزواج بقوله : «تزوج سيدة صغيرة فى شبابك تعقب لك أطفالا تستطيع تربيتهم أثناء حياتك » ٠

وهناك نص لعقد زواج موجود بالمتحف المصرى بقصر النيل تحت رقم ٢٥٠٦ ويرجع تاريخه الى سنة ٢٣١ ق٠م يقول فيه «امحوتب» : « لقد اتخذتك زوجة وللأطفال الذين تلدينهم لى كل ما أملك وما سأحصل عليه ٠٠ الأطفال الذين تلدينهم لى ٠٠ أطفالى ولن يكون فى مقدورى أن أسلب منهم أى شىء مطلقا لأعطيه الى آخرين من أبنائى أو الى أى شخص فى الدنيا ٠ ستضمنين طعامك وشرابك الذى سأجريه عليك شهريا وسنويا وساعطيه لك أينما أذهب واذا طردتك أعطيك خمسين قطعة من الفضة واذا اتخذت عليك ضرة أعطيك مائة قطعة من الفضة ويقول أبى وقتئذ تناولى عقد الزواج من يد ابنى كى يعمل بكل كلمة فيه ٠٠ انى موافق على ذلك » وقد شهد على هذا العقد ١٦ شخصا ٠ وكانوا يطلقون على الأطفال أسماء مختلفة مثل « باك ان آمون » أى عبد آمون ، ومثل « سشن » من أسماء الأزهار وهكذا ٠

وهناك الكثير من النصائح لحض الأبناء على التعليم كقول الأم :

صانع الناس : يقضى يومه أمام النار متألما
والبستانى : يقوم بالعمل الشاق
وصانع النعال : يستجدى عمله من الناس
وغاسل الملابس : الويل له اذا تأخر
أما الكاتب ٠٠ فاذا تحدث صمت الجميع ؟

(١٣)

أفلاطون ٠٠ اختار
لجمهوريته الموسيقى
المصرية القديمة

مؤسسو الموسيقى اليونانية ٠٠ تخرجوا فى مصر القديمة ٠

الموسيقى لتنمية الاحساس واشاعة الجمال ٠٠ والأغانى لتأصيل الفضائل ٠

كان المغنى المصرى القديم يجلس أثناء غنائه مرتكزا على احدى ركبتيه ، رافعا الأخرى ، ملوحا بيده فى الهواء ، راسما حركات انتقال اللحن ، ناظما ترتيب الايقاع ٠ وبهذه الحركات يقود المغنى الضارب بالجنك واللاعب بالناى ، ولذا نجد العازف فى أغلب الأحيان جالسا تجاه المغنى متابعا حركات يده ٠ فضلا عن ذلك فان حركة يد المغنى بهذا الشكل المنتظم تترجم التعبير عن شعوره ومقدار تأثره باللحن ، كما أنها تساعد ذاكرة المغنى على استعادة اللحن ؛ فهى له بمثابة «النوتة الموسيقية» ٠ وفى الحقيقة كانت حركة يد المغنى عظيمة الأهمية

ى الموسيقى المصرية القديمة ، حتى ان الغناء باللغة المصرية كان يسمى « حسيت ام جرت » ومعناه حرفيا « الموسيقى بواسطة اليد » كما كان يرمز للغناء فى النقوش برسم ساعد اليد ·

ويعترف علماء الموسيقى فى أوروبا أن حركة اليد فى الغناء المصرى القديم ويسمونه « لغة اليد » ، هى أصل التدوين الموسيقى و « كتابة النوتة » · فانه بعد مرور عدة قرون على ظهور المسيح ، أى بعد مرور أكثر من أربعة آلاف عام على التاريخ الذى نحن بصدده الآن ، فكرت أوروبا لأول مرة فى تدوين الموسيقى، فاستعملتالطريقة المسماه «نويمن» وهى تدوين الموسيقى برموز لا تظهر مقدار حدة كل نغمة بمفردها ، أو مقدار زمنها، بل تبين فقط اتجاهاللحن ومقدار ما بين النغمات من المسافات ، ويقول الأوروبيون أنفسهم ان هذه هى الطريقة المصرية القديمة تماما مع فارق أن مصر رسمت باليد فى الهواء ــ وأوروبا رسمت باليد على الورق · بل ان لغة اليد هى أحدث طريقة تستعملها أوروبا الآن فى تدريسالموسيقى للأطفال وتنقيحها وأصبحت طريقة قائمة بذاتها تعرف فى مصر بطريقة «اقرار دو» ، وتمتاز بسهولتها وبساطتها بالنسبة للمبتدىء · وكان الغناء عند قدماء المصريين على النحو الذى لا يزال عليه الى اليوم فى جميع البلاد الشرقية : يغمض المغنى عينيه قليلا ويقلص أنفه ويشد عضلات الفم مع مد رقبته وغير ذلك مما يجعل الغناء أنفيا ·

وكان من عادة المغنى كما هو الحال كذلك فى البلاد الشرقية الى الآن ·· أن يضع كف يده اليسرى تجاه أذنه

وخده ورقبته بحيث يكون الابهام في خلف الأذن ، وذلك ليتمكن المغنى من الضغط به على القناة الهوائية الموصلة بين الأذن والأنف ٠٠ قناة « استاكيوس » فتتغير تموجات الهواء الموجودة بالقناة ، فينجم عن ذلك الترجيعات الصوتية ٠ علاوة على أن ما تصنعه يد الانسان يدل على مقدار ما فيه من حذق أو سذاجة ٠ ومجموع ما تخرجه أيدى الصانع فى أنه صورة من عقلية بلاده ومرآة لحضارتها ، ولذلك توصل المؤرخون الى أن فى تتبع تطور الصناعة فى أى بلد ، اهتداء الى مقياس استعداده الطبيعى للتقدم ٠٠ وهذا الرأى تتجلى صحته فى صناعة الآلات الموسيقية عند قدماء المصريين ، التى كان يستعين بها المغنى المصرى القديم ليطرب بها أهل المغنى من المصريين ٠

هكذا تنوعت الآلات الموسيقية فى أرض الفراعنة على أمد عصورهم المختلفة وبلغت صناعتها حدا من الاتقان جلى عن المدنية وأظهر شأوها ٠ وكانت الموسيقى المصرية القديمة المثل الأعلى لجميع موسيقات العالم فى كل العصور المختلفة ، ويرجع الفضل فى ذلك للكهنة لسهرهم عليها وشدة عنايتهم بها، حتى اننا لنرى أنه بعد أن ضعفت الدولة الحديثة وأخذت مصر تنوء بغزوات الأمم الأجنبية الواحدة بعد الأخرى خشى الكهنة ، وهم حكماء مصر وعلياؤها ومشرعوها أن تذهب مدنيات الممالك الفاتحة بمدنية مصر الموسيقية فوقفوا من أهل المغنى موقف المنذر المحذر يطالبونهم بالتمسك بمدنيتهم القديمة ٠ وقد كان للكهنة دائما نفوذ عظيم قوى جدا سيما بعد أن ضعف ملوك أسرات الدولة الحديثة ، حتى اشترك الكهنة فى الحكم فتمكنوا بهذا النفوذ من

المحافظة على المدنية المصرية والعمل على استبقائها بعيدة عن المؤثرات الأجنبيه وحفظها ابان ضعف مصر ٠

ويقول العالم الأمريكى « برستد » أستاذ التاريخ المصرى القديم : « انه فى عهد ملوك سايس تملك الشعب المصرى شوق عظيم الى احياء المدنية القديمة والتقرب فى حياته الى كل قديم ، وقد انتهز الكهنة هذه الفرصة فأبعدوا عن الهياكل كل ما كان دخيلا ، واقتصروا على استعمال الآلات الموسيقية المصرية الخالصة التى كانت تستعملها الدولة القديمة ، كما أنهم عندما شعروا بالخوف على أصالة الموسيقى المصرية ونقائها وخشوا تأثير الموسيقى الأجنبية على وجدان الشعب ، سنوا للموسيقى المصرية قوانين غاية فى الشدة ٠

ويحدثنا المؤرخ الاغريقى « هيرودوت » الذى حضر الى مصر فى القرن الخامس قبل الميلاد فيقول : « لم يكن المصريون ليسمحوا الا بما هو وطنى لا أثر للأجنبى فيه » ٠

ويقول أفلاطون الفيلسوف الاغريقى الذى تعلم فى مصر : « لم تكن الموسيقى عند قدماء المصريين حرة بل قيدتها القوانين ، فتحتم على الأطفال مزاولتها فى سن معينة ، كما أنه لم يكن مسموحا للشباب أن يتغنوا الا بما ينتقيه لهم الموسيقيون المصريون من الموسيقى الجيدة التى تطهر النفس، ويتخيرون لهم من الأغانى الحاثة على الفضيلة ومكارم الأخلاق ٠ وكان محظورا على الموسيقيين كجميع المشتغلين بباقى الفنون الجميلة ابتداع أى شىء جديد ، بل عليهم أن يحذوا حذو النماذج القديمة ٠ وبفضل المصريين وعظيم

حرصهم على ذخائرهم الموسيقية تمكنت مصر من المحافظة على هذا الجانب الحضارى ، رغم ما تعاقب عليها من مدنيات أجنبية قوية متعددة ، بل كان تأثير المدنية المصرية شديدا جدا فى كل من غزاها من الأمم ، فتحقق بذلك ما يسجله التاريخ من أن المدنيات العريقة للدول المغلوبة تثأر لنفسها من قوة سيف الأمم الفاتحة ، فالاغريق مثلا وهم أقدم أمم أوروبا حضارة •• وأكثر الممالك التى فتحت مصر مدنية موسيقية قد تأثرت تأثرا شديدا بالموسيقى المصرية ، ووقعت تعاليم الموسيقى اليونانية تحت سيطرة تعاليم الموسيقى المصرية واصطبغت تماما بأغراضها فى التربية والعبادة ، ذلك فضلا عن مماثلتها التامة لها فى نظرياتها وفى أكثر آلاتها التى انتقلت من مصر ، وكما هو ثابت فى علم الآلات الموسيقية أن الآلة اذا انتقلت من بلد الى بلد انتقلت معها موسيقاها • وكتابات فلاسفة اليونان أنفسهم ومؤرخيهم تنهض دليلا قاطعا على عظيم تأثير الموسيقى المصرية فى اليونان فلقد قرروا أن المصريين القدماء هم أساتذتهم •

يقول « هيرودوت » انه سمع من أغانى مصر أغنيات صارت فيما بعد أغنيات شعبية فى بلاد اليونان يتناشدها الناس فى كل مكان ، وأن « صولون » المشرع اليونانى عندما حضر الى مصر فى القرن الخامس قبل الميلاد اختار بعض القوانين المصرية وعمل بمقتضاها وكان من بينها كثير يختص بالموسيقى ويتعلق بها • وكان أفلاطون نفسه يفضل الموسيقى المصرية والمغنى المصرى على موسيقى ومغنى بلاده • ولقد تخيل فى كتابه « الجمهورية » « شعبا وضع له المثل الأعلى من القوانين والأنظمة ، فلم يسمعه غير الموسيقى

المصرية القديمة التى وصفها بأنها أرقى موسيقات العالم ·· أنها خير نموذج للموسيقات القيمة ·· تجمع فيها النشاط والتعبير عن الحقيقة والجمال وحلاوة النغم ، ولذلك فهو يقترحها لليونان ولجمهوريته » ·

ويزيد من قيمة شهادة هؤلاء الفلاسفة من الوجهة الموسيقية الفنية ما نعلمه من أن الفيلسوف قديما كان مجمعا لأنواع العلوم والفنون وفى صدرها الموسيقى ورياضياتها ، ونخص بالذكر أفلاطون فانه قبل أن يفد الى وادى النيل كان قد درس أصول الموسيقى اليونانية على يد أحد مشاهيرها فهو اذن ضليع فى هذا الفن ؛ مما يجعل لشهادته للموسيقى المصرية قيمتها سيما أنها أجنبية عنه · على أننا لو لاحظنا أن فلاسفة اليونان : كلارفيوس ·· فيثاغورث ·· وأفلاطون وغيرهم ممن وضعوا أسس الموسيقى اليونانية ورياضياتها هم أنفسهم تلامذة المصريين ·· وقد حصلوا من تلك العلوم والفنون ما تميزوا به عن سواهم وأعجز خلفهم عن مجاراتهم فحلقوا فى سماء لم يصل اليها أحد من مواطنيهم ·· نقول لو لاحظنا ذلك ، لوجدناه شاهدا جديدا على مقدار تقدم العلوم والفنون الموسيقية فى وادى النيل ·

وهكذا ، فان الأغانى فى بداية دولة مقياس من مقاييس حضارتها وثقافتها · فكلما ارتقى شعب ارتقت معه أغانيه وتلك الظاهرة بعينها تمثلت فى الأغانى المصرية القديمة · وهكذا نرى أيضا الأغانى المصرية القديمة وهى تبرهن على أن أهل المغنى كانوا أهل عمل تربوى لا ينسى حظه من المسرات شأنه فى ذلك شأن كل شعب سليم التفكير ·

أما عن ألحان تلك الأغاني ونغماتها فليس لنا ولا لأي باحث أن يدل عليهـا •• وكيف يمكن الوصــول الى نغمات اندثرت منذ آلاف السنين وألحان لم يكن لها وعاء غير حناجر الفنــانين وأصابع العازفين اذا ما وقعت بالآلات •• واذا نطقت نقوش قدماء المصريين عن براعتهم في فن كالتصوير أو الرسم مثلا ، فكيف لتلك النقوش أن تفصح عن نغمات كان المرجع الوحيد فيها للأذن وحدها •• أنغام لا تترك في مكان مزاولتها آثرا ظاهرا فمستقرها الوجدان وحده •

(١٤)

البـاروكة ٠٠ هـل هى
من تصميم الفراعنة ؟!

مصـممو مسـتحضرات التجميـل فى مصر القديمة كانوا مثل مصممى الأزياء اليوم ، تفننوا فى صنع أدوات التجميل والزينة لجذب الأنظار الى حواء ٠٠ صنعوا عدة ألوان لظلال الجفون وألوان الشفاه والعطور ؛ لكى تختار حواء مصر القديمة اللـون الذى يناسب بشرتهـا ٠٠ بل وتفننوا فى تصميم الباروكات ٠ وفى أحد نقـوش جـدران مقابر أميرات الفراعنة تطالعنا لـوحة تمثـل ٨ سيدات كل واحدة منهن تنفرد عن الأخرى بباروكة مختلفة التنسيق ، مما يؤكد أن الباروكة تصميم فرعونى ٠٠ كمـا أن كلا منهن ترتدى زى سـهرة يختلف عن الأخرى ٠

وكانت السيدات المصريات يصففن الشـعر على أشكال متباينة ، فمنهن من كانت تضفر شعرها فى جدائل تنساب على الظهر والصـدر ومنهن من

كانت تجعله على شكل الجدائل مدلاة على ظهرها وكتفيها ، أى تتركه ينساب على الظهر والصدر ، أو ترسله جدائل تتركها على الظهر والكتفين • أما لون الشعر فقد كان يختلف من الأشقر الذهبى الى الكستنائى الداكن والكستنائى الفاتح الأسود ، مما يثبت أن اللون الأشقر لم يكن نتيجة لصبغه بمادة غريبة تعدد هذه الألوان ، كما عثرنا أيضا على الشعر الذى وخطه الشيب « ماش » ، وهو من أشكال تنسيق وتلوين الشعر فى هذا العصر • ولم يكن أكثر الشعر مجعدا خشنا كما يعتقد غالبية الناس عند قدماء المصريين بل كان منه ناعم الملمس والمتموج الذى يضفى على صاحبته جمالا طبيعيا • اننا نرى سيدات العصر الحديث يلجأن الى الطرق الصناعية حتى يكتسب شعرهن هذه الصفات ، كذلك فان سيدة مصر القديمة كانت تتبع الطريقة نفسها التى تتبعها السيدات الآن وكانت الأمشاط التى تستعمل فى تصفيف الشعر تصنع غالبا من سن الفيل وفى بعض الأحيان من الخشب، وقد عثرنا على مجموعة طيبة من هذه الأمشاط من بينها مشط من سن الفيل كان يوضع فى كيس مضفور من سيقان البردى ، كل هذا يدل على أن السيدة من خمسة آلاف سنة كانت تصنع ما تصنعه سيدات اليوم ، فكما أن سيداتنا يضعن فى بعض الأحيان أمشاطهن فى كيس من الجلد ، كذلك كانت السيدة المصرية تضع مشطها فى كيس يصنع فى بعض الأحيان من سيقان البردى المجدولة ، لا يقل أناقة عن الكيس الحديث • وقد رأينا فى بعض المقابر أمشاطا رمزية توضع مع الجثة لتستخدمه صاحبته فى العالم الآخر اذا دعت الحاجة • ونرى أحد هذه الأمشاط وقد صنع من حجر الاردواز وبعد أن تنتهى السيدة المصرية من تصفيف شعرها كانت

تعمد الى مسحوق أحمر تضع القليل منه على وجنتيها ثم تأخذ من الكحل الأسود ما يكفى لتكحيل عينيها بالمرود الأنيق المصنوع من سن الفيل · وقد وجد فى اناء واحد فى المقبرة ٨٢٨ح٢ بحلوان ثلاث مواد اتضح من التحليل الكيميائى أنها عبارة عن : الجالينا ·· وهى كبريتور الرصاص الذى يوجد خاما فى الطبيعة على شكل كتل ذات بريق معدنى ، وقد استخدمها المصريون فى ذلك العصر وما بعده لعمل الكحل الأسود وذلك بصحنها وخلطها بمادة لاصقة · و «المالاخيت» وهى كربونات النحاس القاعدية ولونه أخضر وقد استخدمه المصريون فى ذلك العصر لعمل الكحل الأخضر وذلك بصحنه وخلطه بمادة لاصقة أيضا ·

و «الهيماتيت» ·· المسحوق وتركيبه الكيميائى كالآتى : ٥ر٤٧٪ سليكا ، ١ر٣١٪ أكسيد الحديديك وقليل من أكسيد الألومنيوم ، ٠ر١١٪ أكسيد الكالسيوم ، ٦٪ أكسيد المغنسيوم ، ٤ر٤٪ ماء ·

ومن المؤكد أن هذه المادة قد استخدمت أيضا لعمل نوع من الكحل البنى ، وذلك بصحن الهيماتيت وخلطه بمادة لاصقة ، ولم يستطع العلماء التعرف على نوع المادة اللاصقة · ولكن يبدو أنها كانت من الصمغ والماء ومثل هذا اللون من الكحل لم يستخدم فى مصر الا نادرا ، وجدير بالذكر أن هذه العينة هي أقدم ما عثر عليه من هذا الكحل ، ووجود ثلاثة أنواع من الكحل فى اناء واحد هو من الأمور المستغربة التى لم نصادف لها مثيلا من قبل · وقد وجد في اناء آخر فى المقبرة ٤٤٨ج٢ مادة رمادية اللون ظهر من تحليلها أنها تتركب أساسا من كبريتور الرصاص (الجالينا) المسحوق

ومعها كمية متوسطة من كبريتات الكالسيوم ، ولا شك أن هذه المادة قد استخدمت ككحل رمادى اللون ، صنع بواسطة خلط الكحل الأسود وهو (الجالينـا) المسحوق بمسحوق أبيض من الجبس والحجر الجيرى النقى ومزجها بمادة لاصقة ، وهذه هى أول مرة يكشف فيها عن مثل هذا الكحل الرمادى اللون فى مصر القديمة ، وقد عثر على عدة أوان تحوى أنواعا من المواد العطرية التى كانت تستخدم لتجميل الوجه وتضميخه ، كالتى تستخدم فى هذه الأيام من مختلف أنواع الكريمات ٠

وقد اتضح من التحليل الكيميائى أن معظم هذه المواد تتركب من مادة دهنية حيوانية المصدر وأكسيد الحديديك الأحمر وكربونات الكالسيوم ، ولا شك أنه كان يوجد مع هذه المواد نوع آخر من الزيوت العطرية التى تبخرت ولم تترك أثرا ٠ ومثل هذا التركيب يكسب الوجه لونا ورديا ناتجا من أكسيد الحديديك الأحمر المخلوط بالمسحوق الأبيض ٠٠ والمادة الدهنية الموجودة تلصق هذا اللون بالوجه كما أنها تكسب البشرة نعومة وبهاء ٠ وكانت من هذه المواد عدة ألوان وليس لونا واحدا حتى تختار حواء مصر القديمة اللون الذى يناسب بشرتها ، وهذا لا يختلف عما تقوم به السيدات فى أيامنا هذه من اختيار ما يناسبها من مواد التجميل ٠

وبعد أن تنتهى السيدة من زينة وجهها وتصفيف شعرها كانت تنظر لنفسها فى المرآة لتطمئن الى أن المساحيق أضفت على طلعتها صورة بهية ٠

وقد عثر على مرآة من النحاس ولها يد من الخشب ٠ وقد تفنن الصانع المصرى القديم فى عمل مثل هذه المرايا

فجعل منها أشكالا كثيرة ، بينها المستطيل ، والمربع والبيضى ، وهناك لوحة مستطيلة زخرفت على جانبيها يدان مرفوعتان الى أعلى على هيئة « الكا » وقد زخرف أعلاها بثلاثة رموز هيروغليفية نرى فى أوسطها علامة الحياة والى جانبها الأيمن علامة السعادة والأيسر علامة القوة وكأن الكفين تتضرعان الى الله ليجعل حياة صاحبتهما سعيدة متمتعة بالقوة . وهـذه لوحة قام الفنان بنحتها من قطعة من الاردواز على هيئة سمكة وقد طعم مكان العينين بقطعتين من الصدف .

والمرأة الحديثة تستعمل « المراود » فى تجميل عينيهـا وكذلك كانت المرأة الفرعونية منـذ أكثر من خمسـة آلاف سنة كانت تستعمل أشكالا من المراود لا فارق بينها وبين تلك التى تستعملها نساء هذا العصر .

هكذا كان المصريون القـدماء يبـدون اهتماما عظيما بمستحضرات الزينة ، وقد حازت روائحهن العطرية السبع اعجاب العالم القـديم وصنعوا منها أصنافا من عدة نباتات زكية أهمها ما كان يسمى عندهم باسم « خيفى » وصنعوا زيوتا خاصة للشعر واستعملوا دهانا خاصـا بالصـلع وهـو مخلوط دهن الحصان والتمساح والكركدن والثعبان . ومن يدرى ربما كان هذا أقوى مفعولا من أدوية العصر الحديث .

ومن الطريف أن الملكة كليوباترا اسـتعملت الكثير من الكريمات ودهانات الوجه والشعر والعطـور مثـل نسـاء الفراعنة . ونظرة بسيطة الى ما خلفـه أجـدادنا فى دار الآثار من آنية العطور الجميلة ذات النقوش الفنية الرائعة توضح اهتمامهن الشديد بها ، كما توضح ما بلغتـه هـذه الصناعة من ابداع وفن .

(١٥)

قلعـــة أثـرية ..
وقصة ولادة الحضــارة

في الوقت الذى تهتم فيـه دول العالم أجمع بتنمية وتنشيط السياحة بها ، نرى أن النشاط السـياحى فى مصر مازال يقتصر عـلى أنماط السياحة التقليدية التى تتركز فى المناطق الأثرية المعروفة .. الجيزة .. الأقصر .. أسوان . فى حين أن مصر زاخرة بالمغريات السياحية الأخرى على امتداد كافة المحافظات وكذلك الصـحراوات وسواحل مصر .. والواحات .. انها لصرخة من أجل إنقاذ الآثار المصرية التى تتعرض للمخاطر بسبب اهمال الصيانة والحراسـة تارة والتلف والضياع والتآكل والسرقة تارة أخرى ؛ وطالمـا سمعنا عن الجرد السياحى الذى يهدف الى جرد كافة المناطق السياحية التى تنتهى الى عصر ما قبل التاريخ وما تلاه من العصور جردا سياحيا علميا يستهدف استغلال ثمتنا السياحية استغلالا سليما ؛ للافادة القصوى من هذه الثروة التى تكاد تكـون احتكارا لمصر .

وهذا جزء غال من التراب الوطنى المصرى ٠٠ رشـيد التى ترجع شهرتها ليس فقط لصدها لحملة فريزر « سـنة ١٨٠٧ » وانما تكمن شهرتها فى اكتشاف الحجر الحاوى على سر اللغة المصرية القديمة والذى ارتبط باسمها ٠٠ استطعنا به ترجمة كل ما خطته يد المصرى القـديم ٠٠ والآن يقبع حجر رشيد فى المتحف البريطانى ، بعد دراسـات وأبحـاث مضنية ، وبقى لنا من ذكراه قلعة قايتباى التى عثر فيها على حجر رشـيد التى أنشـأها السـلطان قايتبـاى ٨٧٦ هـ ـ ١٤٧٢ م ٠

ترى هل أقيم مكان الحجر نموذج له ٠٠ ؟ هل أقيم فى القلعة متحف صغير يشرح كيفية كتابات حجر رشيد لزواره ٠٠ ؟ هل تحولت القلعة الشهيرة الى مزار سياحى ؟

وتبدأ قصة حجر رشيد عندما عثرت عليه قوة فرنسية فى أغسطس ١٧٩٩ ثم انتقل الى ملكية الانجليز فى ١٨٠١ عندما استسلم الجيش الفرنسى فى مصر وبمقتضى معاهدة تنازل الفرنسيون عن كثير من الآثار ، كان من ضمنها هـذا الحجر وآرسل الى انجلترا فى فبراير من السنة التالية ووضع فى المقر الرئيسى لجمعية الأثريين بعض الوقت قبل نقله الى المتحف البريطانى ٠

وحجر رشيد قطعة من حجر البازلت الأسود طوله ثلاث أقدام وتسع بوصات وعرضه قدمان وأربع بوصات ونصف منقوش بالكتابة المصرية واليونانية على الترتيب ٠٠ الخط الهيروغليفى أى الخط المقدس والخط الهيراطيقى أى الخط المختزل والخط الديمـوطيقى أى الخط الشـعبى والخط اليونانى والنص مهشم جدا ٠٠ ولما كانت اللغة القبطية هى

آخر صور اللغة المصرية القديمة لأن الرومان عند دخولهم مصر ميزوا بين المصريين الفراعنة وبين المسيحيين ، فأطلقوا على المصريين أقباط مصر ومن ثم استخدموا لغتهم ، ولكن في صورة متأخرة أطلق عليها اللغة القبطية أى المصرية ، فلما دخل العرب المسلمون مصر بقيادة عمرو بن العاص استغل المسيحيون الفرصة وأطلقوا على أنفسهم أقباط مصر لاثبات آن مصر وطنهم الأم ·

عموما ، هذه المرحلة المتأخرة للغة المصرية القديمة استعملت ابجدية من حروف يونانية واستكملت برموز مصرية ، فكل المعلومات الخاصة باللغة المصرية القديمة قد أصبحت فى طى النسيان منذ نهاية القرن الرابع الميلادى مباشرة ، وعلى ذلك فقد افترض البعض أنه اذا ترجم النص اليونانى فقد يمدنا بمفتاح يفك طلاسم الخطوط المصرية ، وكانت الكتابة المصرية على الآثار قد أنهكت عقول الرجال منذ عصر النهضة فى أوروبا فكشف حجر رشيد أعطاهم فرصة فريدة لاستعادة لغة مصر القديمة وآدابها ·

وسرعان ما ترجم النص اليونانى واتضح أن موضوعه عبارة عن مرسوم أصدره مجمع الكهنة المعقود فى منف بمناسبة الذكرى السنوية لتتويج بطلميوس الخامس ، سجل فيه الحسنات التى قدمها هذا الملك لمصر · وربما كان العامل الرئيسى فى محاولة فك الخط الديموطيقى أولا قبل الخط الهيروغليفى هو ما كان عليه النص الهيروغليفى من حالة سيئة وبمقارنة النصين اليونانى والديموطيقى نجح «إكربلاد» فى تبيان كل أسماء الاعلام فى النص الديموطيقى

التى ذكرت فى النص اليونانى ، وبالاضافة الى ذلك تعرف على اسم أو اسمين كتبا فى صيغتهما القبطية ، والكلمات التى تعرف عليها كانت مكتوبة بالحروف الأبجدية ولكن نظرا للاعتقاد الخاطىء بأن الخط الديموطيقى هو خط أبجدى بحت ‥ لم ينجح فى احراز أى تقدم ‥ وبعد انقضاء بضع سنوات وفى عام ١٨١٢ وقعت نسخة من حجر رشيد فى يد دكتور توماس يونج وكان على درجة كبيرة من العلم وقدم له الحجر فرصة التحدى العلمى ٠

وأخيرا وعن طريق مقارنة خراطيش ملوك وملكات مصر ‥ أمكن استعادة الجزء الأكبر من الأبجدية المصرية ٠ وعلى الرغم من اكتشاف القيم الأبجدية الصحيحة الا أن الترجمة كانت تحتاج الى علم واسع باللغة القبطية وهنا بدأ اهتمام شامبليون الذى كرس وقته لدراسة معظم اللغات ، ومنها القبطية ؛ حتى يهتدى الى فك رموز الخطوط المصرية القديمة ‥ وفشل شامبليون مرة أخرى ولكنه نجح فى عام ١٨٢٤ عندما أعطى ترجمة للنصوص المصرية وفى قاموسه أوضح بصورة قاطعة كيفية تطبيق أصول القواعد القبطية على النصوص المصرية ٠ وعلى الرغم من أن يونج وشامبليون قد اهتما بالديموطيقية ، الا أنهما لم يحرزا أى تقدم فى هذه اللغة حتى نشر العالم الألمانى هنريخ بروكش فى عام ١٨٦٨ ، مؤلفه العظيم الذى بين فيه بصيغة قاطعة أن الكلمات الديموطيقية يمكن كتابتها بالخط الهيروغليفى ٠

وبعيدا عن الفراعنة ، يوجد فى رشيد الكثير من الآثار الاسلامية علاوة على ٢٢ منزلا آثريا واثنى عشر مسجدا

أثريا .. البيوت الأثرية التى تحتفظ برونقها الجميل مهجورة تماما ويفكر البعض فى هدمها لولا تدخل بعض الأجانب بقوله : خذوا من دمى ولا تقضوا على هذه الثروة الأثرية التى لا تعوض .

يقول شوقى متغنيا بعظمة الآثار المصرية :

قل لبان بنى فشاد فغالى
لم يجز مصر فى الزمان بناء

ليس فى الممكنات أن تنقل الجبال
شما وان تنال السماء

أجفل الجن عن عزائم فرعون
ودانت لبأسها الآناء

شاد ما لم يشد زمان
ولا أنشأ عصر ولا بنى بناء

(١٦)

عيــد .. من أعماق التاريخ

لا يزال الناس يحملون مركب أبى الحجاج ويطوفون به الأقصر .. مثلما كانوا يحملون مركب آمون من ٥٠٠٠ ســـنة .

لكل زمان مواسمه وأعياده التى تختلط فيها العبادة بالمرح .. وحب الحياة .. وكان احتفاء أجدادنا الأوائل بهذه المناسبات ملحوظا . فمن أفراح المصريين القدماء ومناسباتهم عيد « ايبيت » الذى كان يقام أول كل سنة جديدة فى الشهر الثـانى «بابه» من فصل الفيضان . ويظهر أن هناك علاقة بين هذه التسمية وشهر بابة تكريما للملك آمون . فهناك على حوائط معبد الأقصر وفى بهو الأعمدة للملك « امنحتب الثالث » سلسلة من النقوش من عهد الملك توت عنخ آمون تحكى لنا ما كان متبعا فى ذلك العيد البعيد ، فماذا تقص هذه النقــوش .. انها تسجل مراسم « ايبيت » خطـوة خطـوة فترى القرابين المقدمة لثالوث الأقصر المكون من « آمون ــ موت ، خنسو » ؛ اذ كانت عقيدة آبائنا الأوائـل تـؤمن بأن لكل اله « زوجـة وابن »

فى قدس الأقداس بمعبد الكرنك ، ونشاهد توت عنخ آمون يحـرق البخـور أمامهـا ومركبـا يتوسطه ناووس بداخله تمثال خشبى للاله « آمون » مرفوعا عـلى قاعدة فى هيئـة المذبح ، وللمركب أذرع خشبية ممدودة يحملها بواسطتها أثناء الاحتفال عدد من الكهنة ، وبعد تقديم القرابين وحرق البخور بمعبد الكرنك ، يحمل الكهنة المركب متجهين بها الى شاطىء النهر الموجه للمعبد ، وأمام كل مركب وخلفها حملة المراوح ويتصدر الموكب حارق البخور ، ويكون عـلى رأس الجميع نافخ البوق وضارب الطبـل ، أما الفرعون فمكانه خلف المركب الرئيسية لآمون .

يصـل الموكب بجلاله وأبهته الى شـاطىء النهر ليبدأ المركب النهرى يتهادى على صفحة النيل حيث معبد الأقصر .. يستقبله أول من يستقبله على الشاطىء الآخر زنجيان .. أحدهما يرقص والثانى يضبط الايقـاع له بينما الكهنـة يدقون الصنوج ، وتنتصب صفوف الجند بالحراب والدروع والرايات التى تخفق ، بينما تكـون عربتـان ملكيتـان فى الانتظار ، وخلف هؤلاء الجموع الغفيرة من سـكان طيبة والمناطق المجاورة مهللين فرحين بآمون يقودهم كاهن يرتل الأناشية الدينية تمجيدا للمناسبة بينما يصفق الصبية .. « يا آمون .. يا آمون » ويظل الموكب فى طريقه ، حتى يصل الى معبد الأقصر وسط أفراح الناس لتسـتقبلهم المغنيـات والراقصات وفى الداخل يتقدم آلاف الزوار يلتمسون البركة بتقديم القرابين المختلفة واقامة الصلوات ثم يقضون بقيـة اليوم فى فرح وغناء ورقص ، أمام خيامهم المنصوبة ويأكلون ويشربون النبيذ والجعة ، بينما يوزع الكهنة القرابين عـلى

الفقراء ، حتى يكون الاحتفال شـاملا السرور عاما حتى اذا هبط المساء عادت المراكب بنفس الموكب الذى حضرت به ٠ وتتناول النقوش أدق التفاصيل ، وكيف كانت آلهة السماء بادية السرور ، والحتحورات الكاهنات يضربن على الدفوف ٠٠ والناس قد تزينوا بأكاليـل الزهـور والبحارة معطرين والأطفـال لا يشـبعون من اللعب من شروق الشـمس حتى غروبها ٠

لقد وصف القدماء أعياد آمون بأنها كالمرأة الثملة التى تجلس خارج الغرفة وشعرها منسدل ٠

ورغم توالى العصور ، فاننا نجـد سـكان الأقصر الآن ــ طيبة القديمة ــ يقيمون احتفـالا دينيـا كل عام لوليهم « يوسف أبى الحجاج » الذى يقع مسجده على الجناح الشرقى لبهو الأعمدة الذى بناه رمسيس الثانى بمعبد الأقصر ٠

ومن الغريب أن يكون هذا الاحتفال متفقا فى كثير من مظاهره مع احتفال آمون اله الأقصر القـديم ، ففى اليـوم الرابع عشر من شهر شعبان من كل عام يقـام مولد الشـيخ أبى الحجاج ٠٠ فيجتمع الناس تحت قبة المسـجد ويقيمون الصلاة والأذكار ، ثم يحملون المركب الملون المعلق فوق الضريح على عربة ، يسحبهـا الرجال فى طرقات المدينـة ، يتبعهم رجال الطرق الصوفية والموسيقى وحشود كبيرة من أهـالى المدينة يرتلون نشيدا يمجد ولى الله « آبا الحجاج » ٠

ومن ذلك نلمس ملامح التشابه الكبير بين طقوس أهـل طيبة القدامى وسكان الأقصر اليوم مع فارق بسيط أن مركب أبى الحجاج يوضـع عـلى عربة يسحبها الرجال فى طرقات المدينة ، بينما مركب آمون يحمله الكهنة على المناكب ٠

(١٧)

« الكريسماس » ٠٠ فرعونى الأصل !

عازف قيثارة عمره ٦٠٠٠ سنة يدق باب هذا العيد ٠

لا شك أن للأعياد رنة فرح وسرور بالغة فى قلوب الناس ولم يحرم قدماء المصريين أنفسهم من التمتع بمباهجها ومحاسنها ، يدلنا على ذلك تلك الأعياد التى كان يحتفلون بها فى العديد من المواسم المختلفة والتى كان لها فى حياتهم شأن يذكر ٠ ولم يكن أول يوم فى السنة عيدا لمعبود معين فى مصر القديمة وانما كان رأس السنة عيدا يحتفل به فى كافة أرجاء البلاد ٠ ولعل أول سجل تاريخى بهذه المناسبة قد سجله الأمير « قن آمون » على مقبرته ٠٠ فقد صور الهدايا الثمينة التى قدمها بمعرفته للملك بمناسبة يوم رأس السنة ٠٠ فهل يكفى هذا الاعتقاد بأن كل المصريين كانوا يتبادلون فى ابتداء السنة التمنيات والهدايا والقبلات ٠ وبعد أن ينتهى الجميع من اشباع بطونهم بالطعام والحلوى ، يطول الاجتماع

وتستمر سهرات الأغانى والموسيقى والرقص ·· وهنا يأتى دور المغنين ينشدون الأشعار ، فهـذا « نفر حتب » عازف القيثارة يردد بعض الحقائق والجمل اللحنية :

تخل عن كافة الآلام ·· والهموم
ولا تفكر الا فى ·· المعبـــود
حتى يجىء اليـوم ·· الموعــود
للرحيل الى أرض الســـكون
اجعــل هذا اليوم ســعيدا
اتبع قلبك طالما أنك حى
وأعط الخبز لمن لا مأوى له
حتى تكتسب طيب الســمعة
تخيل اليوم الذى يقودونك فيه
الى حيث يختلط الناس من
كافة الأجنـــاس ··
ولا يوجد انسان قط ·· أخذ أمواله معه ··
ولن يستطيع العودة الى الحياة ·

وهذا عازف قيثارة آخر يقول :

اتبع قلبك طالما أنك حى ··
وهيىء لنفسك السعادة أطول وقت ··
تقضيه على سطح الأرض ··
لا تستهلك قلبك ·· الى أن يوافيك اليوم
الذى لا ينفع فيه التوسل ·

أما عن شجرة عيد الميلاد أو ما يطلق عليه «الكريسماس» فترجع حكايتها الى آوزوريس اله الخير ٠٠ ورمز الخصب فى عقيدة المصريين القدماء فقد تزوج أخته « ايزيس » ٠ وتزوجت آختها « نفتيس » من اله الشر « ست » وكانت عقيما فدبت الغيرة فى أوصالها وأرادت أن تكون خصبة كايزيس وظنت آن سبب عقمها يرجع الى « ست » الذى يمثل الأرض الجدباء وكان « ست » يبغض أخاه أوزوريس لجمال وجهه ورجاحة عقله فحسده ودبر له المؤامرات حتى رقد أوزوريس فى التابوت وألقى به فى نهر النيل حتى بلغ البحر المتوسط وهناك حملته الأمواج حتى لبنان ، ونمت على الشاطىء شجرة خضراء ضخمة وارفة الظلال احتوت التابوت وحمته وكانت فى لبنان ملكة جميلة هى « عشتروت » قد خرجت لتروح عن نفسها وحين أبصرت الشجرة ، آمرت بقطعها واقامة عمود ضخم من جذعها ووضعها فى القصر الملكى الى آخر ما ترويه الأسطورة ٠ ومنها نرى ٠٠ أن أوزوريس قد عاش ومات ثم ردت اليه الحياة مرة آخرى وآصبح شجرة خضراء حيث كان الاله المهيمن على الزرع وهو بذرة الحياة فى هذا الوادى تنشر فيه الخضرة كل عام٠ فقد كان المصريون يعتقدون آن الحياة تعود اليه كل عام وبعودتها تنبت المزروعات ٠ وكانوا يرمزون للحياة المتجددة بشجرة خضراء ، وفى الوقت نفسه كان بعض المصريين يرون أنه هو الأرض السوداء التى تخرج منها الحياة المخضرة ويرسمون سنابل الحب تنبت من جسده ٠٠ ويقيمون فى كل عام حفلا كبيرا ينصبون فيه شجرة يزرعونها ويزينونها بالحلى

ويلونونها بالاوراق الخضراء كما يفعل الناس اليوم بشجرة عيد الميلاد وقد سماها البابليون شجرة الحيــاة ·· وكانوا يعتقدون إنها تحمل أوراق العمر في رأس كل سنة ·· فمن اخضرت ورقته كتبت له الحياة طوال العام ، ومن ذبلت ورقته وآذنت بالسقوط فهو ميت في يوم من أيامها ، وهذا الاعتقاد يسيطر على معظم الناس حتى اليوم ··

وسرت هذه العادة من الشرق الى الغرب وأخذ القــوم يحتفلون بالشجرة في عيد الميلاد ويختارونها من الأشــجار التي تحتفظ بخضرتها طوال العام كالسرو ·· والصنوبر ·

ولم يفت المصريين القـــدماء أن يربطوا بين ظهــور النجمة « سوبدة » وفيضان النيل ايذانا ببدء أول السنة ، وقد سجلت هذه المعادلة في كتاب « بيت الحيــاة » الذى كان عبارة عن سجل للتقاليد والمعلومات التي ظلت سائدة منــذ عهــد الدولة القــديمة حتى العصر المتــأخر ، كذلك تقويم « رمسيس الثالث » الذى حفر على سور خارجي لمعبــده في مدينة هابو تص فيه على أن عيد « سوبدة » الذى يحتفل به يتفق مع أول يوم من أيام السنة · وفي أغنية عاطفية يقارن المحب حبيبته بالنجمة التي تظهر في بدء الســنة الــكاملة «رنبيت نفرت» ؛ لأن ثمة سنة عرجاء مبهمة تسمى «رنبيت جاب » يحل فيها الشتاء محل الصيف ولا تنتظم الشــهور في أوقاتها والأهالي آنذاك لا يحبون هذه السنة ·

فيقول الكاتب : نجني من هــذه الســنة العــرجاء ·· فالمزارعون ·· والصيادون والمكتشفون ·· والأطبــاء ··

الكهنة . . كل أولئك كانوا مضطرين الى احياء معظم احتفالات الأعياد فى أوقات معينة ويشاركهم فى هذا كل من كانت أعماله تتوقف على الظواهر الطبيعية فيستعملون السنة الكاملة حيث بقيت الشهور والفصول دون تغير . .

(١٨)

شـــجرة العـــذراء ٠٠
أســطورة غــير صحيحة !

ما علاقة هذا العنوان بهليوبوليس ؟ ٠٠ وهل أمضى أفلاطون ١٣ عاماً فى هليوبوليس للدراسة؟

هليوبوليس ٠٠ اسم أطلقه الاغريق على أولى عواصم مصر المتحدة ، ويرجع المؤرخون نشأتهــا الى ما قبل عام ٤٢٤٠ق٠م ونجد ما بقى من آثارها حتى الآن فى المكان المعروف اليــوم باســم « عين شــمس » فى منطقــة المطرية شــمال القــاهرة ، ولا يستبعد وجود صلة بين هــذا الاسم الحــديث واسمها الفرعونى القديم «أون» اذا تصورنا أن « عين » تحريف للفظ « أون » ، ثم أضيف لفظ الشمس لصلة المدينة بعبادة ذلك النجم ، وتعنى كلمة « أون » الهيروغليفية البرج الذى كان الكهنة يرصدون منه الشمس والنجــوم والــكواكب ٠

وقد تمكن هؤلاء من اتبــاع تقــويم نجمى يقســم الســنة الى اثنى عشر شــهرا والشــهر الى ثلاثين يــوما ٠٠ وهــو التقــويم الذى

أدخلت عليه بعض التعـديلات الطفيفة ولا يزال العـــالم يأخذ به حتى الآن فى التقويم الميلادى المعروف ، وقد تمكنت هذه الحكومة الموحدة التى أقامها أهــل الدلتا فى « اون » قبيل الوحدة التاريخية على يد الملك « مينا » من تنظيم الحياة الزراعية وضبط مياه النيل · وقد كانت هليوبوليس عاصمة للاقليم الثالث عشر من أقاليم الوجه البحرى ·

وعلى مسافة سبعة أميال تقريبا الى الشمال الشرقى من وسط القاهرة يقع كل ما تبقى من مدينة « هليوبوليس » العظيمة الشهيرة مركز عبادة اله الشـمس فى مصر ومقـر جامعة الكهنة الذين اشتهروا بأنهم أكثر الجامعات الدينية فى مصر ثقافة ، وأنهم الذين نظموا الديانة المصرية على أحسن ما وصل اليه التظام الدينى الذى لم يكن قد بلغ شأوا بعيدا · وكانت « هليوبوليس » تبعا لذلك ذات مكانة مرموقة فى أعين المصريين وظلت كذلك حتى بعد ظهـور طيبـة وبلوغ الهها المحلى « آمون » القمة فى أيام الأسرة الثامنة عشرة · وحتى «آمون» الاله المقرب للفراعنة المنتصرين فى الدولة الحديثة ، كان عليه أن يستجيب لرغبات اله هليوبوليس وأن يقرن اسمه بالاله رع تحت اسم « آمون رع » قبل أن يفرض نفسه على كل المجتمع المصرى ·· وكانت موارد معبـد اله الشمس بهليوبوليس تزيد على موارد أى معبد آخر فى مصر ·· اذا استثنينا المدينة والمعبد محتفظين بمستواهما العالى وشهرتهما طوال الحكم المصرى حتى آخـر أيامه بدليل ذلك الاحترام الذى أظهره « بعنخى » الملك النوبى الفاتح لاله هليوبوليس ، حتى بعد تغلبه على كل مقاومة من جانب الحكام المحليين ، فقد صعد الدرجات حتى وصل الى النافذة الكبيرة

ليطل على رع في مقره ذي الشكل الهرمي . وقد وقف الملك بمفرده وفتح الباب المزدوج ورأى والده « رع » في المقر الهرمي الضخم .. ومركب « رع » الصباحية ومركب « آتوم » المسائية .

وقد ظلت شهرة كهنة هليوبوليس في المعرفة عالية الشأن الى عصر متأخر ، وأخذ هيرودوت عنهم الكثير من المعلومات الممتعة الدقيقة وغير الدقيقة التي كد في جمعها بكتابه عن مصر .. فهو يقول : ذهبت الى هليوبوليس لان رجالها يتصفون بأنهم أكثر المصريين معرفة .. بل هناك رواية تحكي أن أفلاطون أمضى ثلاثة عشر عاما في الدراسة بها والآن لم يبق من معالم المدينة العظيمة المتحضرة غير أنقاض قليلة .

ومن المستحسن أن نذكر في هذا المجال الشجرة المعروفة باسم « شجرة العذراء » ونبعها ، فليس هناك أي أساس من الصحة للأسطورة التي تربط بين الجزء المتبقي من شجرة الجميز العتيقة التي سقطت في سنة ١٩٠٦ وزيارة العذراء والطفل .. فشجرة الجميز لم تغرس قبل نهاية القرن السابع عشر ، بل لأن نبع العذراء له اتصال فعلى بالعبادة القديمة لاله الشمس .. والأسطورة المسيحية تحكي أن الطفل يسوع فجر النبع وأن العذراء غسلت ملابسه فيه .. ولكن الاسم المحلي للنبع شاهد بأنه يرجع الى أصل أكثر قدما ومما يدل على ذلك أثريا ولغويا ان الاسم « عين شمس » يعني نبع الشمس كما أن الأسطورة القديمة تذكر أن اله الشمس غسل وجهه من النبع عندما ظهر على الأرض لأول مرة .

ولوحة الملك « بعنخى » النوبى تشير الى الأسطورة القديمة عندما تحدثت عن تطهير الملك قبل دخوله معبد اله الشمس ، لقد تم تطهيره وتنظيفه فى بركة التطهير وغسل وجهه فى نهر « نون » الذى غسل فيه « رع » وجهه ٠

والزائر لشجرة العذراء والنبع له أن يختار احدى هاتين الأسطورتين القديمتين ، ومما لا شك فيه أن الأسطورة الوثنية أكثر قدما ٠٠ فنهر « نون » يرجع بنا الى أسطورة الماء اللانهائى الذى خرج منه اله الشمس ولكن لما كانت الأسطورة المسيحية تذكر أن آلهة هليوبوليس خروا سجدا أمام العذراء والطفل يسوع ، فمن المحتمل أن يفضل الزائر تصديق الأسطورة الثانية ٠

والاكوام التى تغطى الأسوار القديمة للمدينة تعطينا فكرة عن اتساعها الذى كان يبلغ حوالى ثلاثة أميال مربعة ولكن ليس هناك فوق سطح الأرض ما يثير الانتباه سوى « المسلة القديمة » التى هى أقدم الآثار الموجودة التى لا تزال تحدد مدخل معبد الدولة الوسطى الذى أقيم مكان مبان اقدم فى عهد الملك «أمنمحات الأول» « وسنوسرت الأول » ، ولم يبق من ذلك المعبد الذى كان فى البدء أعظم معبد ـ والذى ظل حتى النهاية المعبد الثانى على الأقل فى مصر القديمة ـ سوى المسلة الوحيدة المصنوعة من حجر الجرانيت الأحمر المجلوب من أسوان التى أقامها سنوسرت الأول أمامه احتفالا بيوبيله « عيد سد » ٠ وهذه المسلة التى تعتبر أحسن المسلات الخمس التى بقيت فى مصر موطن المسلات يبلغ ارتفاعها حوالى ٦٧ قدما ويقدر وزنها بحوالى ١٢١ طنا وهى بذلك

تنقص بحوالى قدم ونصف قدم عن ارتفاع مسلة كليوباترا على جسر نهر التيمز ويقل وزنها عنها بحوالى ٦٦ طنا . غير أنها أقدم من مسلة لندن بحوالى خمسة قرون ، اذ انها أقيمت حوالى عام ١٩٣٨ ق.م .

ولابد أن هليوبوليس كانت في مجدها تزخر بالمسلات واحداها هى المسلة التى تعرف دائما باسم مسلة « فلامينا » التى توجد الآن بروما وقد أقامها سيتى الأول بهليوبوليس ولكنه تركها دون نقش، وقد قام بنقشها ابنه رمسيس الثانى من تواضع غير معهود فيه « سجل فى النقش أعمال والده كما سجل أعماله » . وقد ذكر لنا أن «سيتى» ملأ هليوبوليس بالمسلات التى تتألق بما ترسله من شعاع . واذا كان هو نفسه قد ذكر بعد ذلك مباشرة أنه «أقام آثارا مثل نجوم السماء» . فالقائل هو رمسيس الثانى المعروف باسرافه فى التفاخر . والمسلة الوحيدة الأخرى التى وجدت فعلا فى هليوبوليس لم يقمها سنوسرت الأول ، بل أقامها تحوتمس الثالث بعد خمسمائة عام تقريبا من تاريخ اقامة مسلة « سنوسرت » وقد كشف عنها عام ١٩١٢ أثناء قيام المعهد البريطانى للآثار بحفائره تحت اشراف فلندرز بترى والسيد ر . انجلباك . وبقايا هذه المسلة توجد الآن بالمتحف المصرى ، وقد قام « تحتمس الثالث » بأعمال أخرى غير هذه المسلة بهليوبوليس اذ أقام بها مسلتين نقلهما الى الاسكندرية الحاكم بارباروس وعلى الرغم من اسمه المشئوم لم يسلبهما من البلاد مثلما فعل هواة المسلات المتأخرون . والمسلتان اللتان خلدتا ذكر فراعنة من عصر الدولتين الوسطى والحديثة بقيتا قائمتين حتى منتصف القرن الثانى عشر الميلادى وعندما زار عبد اللطيف

البغدادى هليوبوليس عام ١١٩٠ وجد المسلة التى ترجع الى عصر أكثر تأخرا ساقطة ومكسورة ولاحظ الأغطية النحاسية التى تغطى الرءوس الهرمية لكل من المسلتين وأن المياه السائلة من النحاس لطخت المسلتين باللون الأخضر فى بعض المواضع .

واليوم بقيت المسلة القديمة التى أقامها سنوسرت زمنا أطول من مثيلاتها الكبيرات ولا تزال تطل على المكان نفسه الذى أقيمت فيه منذ حوالى ٤٠٠٠ سنة ، على الرغم مما ناله من تغيير والنقش الذى يزينها يترجم كما يلى :

« حورس ... المولود من الحياة ملك الشمال والجنوب ، « خبر ــ كا ــ رع » سيد نخبت وواجبت المولود من الحياة ابن رع «سنوسرت» المحبوب من أرواح « أون » معطى الحياة الى الأبد حورس الذهبى المولود من الحياة الاله الجميل (خبر ــ كا ــ رع) أقام هذه المسلة فى اليوم الأول لاحتفال اليوبيل معطى الحياة يعيش الى الأبد » .

والآن تزخر المناطق المحيطة بعين شمس بالمقابر القديمة التى ترجع الى عهد الدولة القديمة وغيرها من العهود وقد عثر أخيرا على آثار كثيرة من عهد الدولة الحديثة ، وهذا يدل على ازدهار المدن هنا فى العصور المختلفة ولا شك فى أن البلدة كانت متسعة بحيث كانت تصل حدودها الى الجبل الأحمر حيث محاجر الكوارتزيت ، كما كانت تمتد الى المناطق المسماة الآن باسم الحلمية والزيتون .

تمثل أرض النعام ومنطقة المطرية والزيتون والحلمية وجزء من منطقة العباسية ، أحياء متعددة من مدينة الشمس

القديمة التى كانت متسعة العمران وتقع مدافن العصور التالية لعظماء المدينة على حوافها الصحراوية . ولهذا فلا عجب أن يكشف بين الحين والآخر عن آثار لمبان دنيوية أو مقابر هنا وهناك ، اما عن طريق الكشف المنظم واما عن طريق الصدفة ، وعلينا أن نسلم بواقع الأمر من حيث طغيان المساكن فى الأحياء الأثرية لمدينة عين شمس ويصعب بطبيعة الحال ازالتها فى سبيل الكشف عما تحتها ، ولا سيما اذا قدرنا أن هذه المنطقة « عين شمس » باتساعها الكبير هى المنطقة الأثرية الوحيدة التى تقع فى نطاق محافظة القاهرة ، فى حين تقع منطقة الأهرام ضمن نطاق محافظة الجيزة . واذا اهتمت الجهات المعنية باحياء آثار مدينة عين شمس بمحافظة القاهرة ، أمكن أن تصبح بعد أن يتم الكشف عن آثارها مناظرة لمنطقة الأقصر الشهيرة فى الصعيد ولو بصورة مصغرة . وهذا يفسح المجال لاجراء حفائر أوسع لكى نكشف الغامض ونزيح الستار عما تحتضنه تلك المنطقة من الحضارة المصرية .

ومع أهمية ما يكشف فى المنطقة من معابد ومساكن ومقابر ، فان الأمل الأكبر هو فى العثور على بقايا معاهد العلم والمعرفة فى عين شمس وهى التى كفلت لها شهرتها الضخمة فى داخل مصر من ناحية بحيث سميت المدينة فى النصوص المصرية «سماء مصر، وموطن ميلاد كل معبود» أما فى خارج مصر فكانت الشهرة أوسع حتى فى العصور المتأخرة، بحيث يروى أن « استرابون » المؤرخ الرومانى ، وفيلسوف

الاغريق الأشهر أفلاطون وتلميذه يودوكسوس قد تعلما في هذه المعاهد التي كانت تقوم مقام الجامعة في حينها، بل وقبل أفلاطون بنحو قرنين من الزمن قيل ان أقدم فلاسفة الاغريق « طاليس » قد تعلم فيها ونصح خير تلاميذه بأن يواصل تعليمه بها ·

(١٩)

على بابا والأربعون « حرامى »
بدأت عند الفراعنة

وردت هذه القصة المثيرة من مصر القديمة فى عصر الدولة الحديثة ، الأسرة الثانية عشرة (١٤٩٠ ــ ١٤٣٦) قبل الميلاد واعتبرت فيما بعد من القصص الشعبى وانتقلت بدورها الى آداب شعوب أخرى متاخمة ، ولعلها الأصل للقصة الشعبية المعروفة « على بابا والأربعون حرامى » ٠

القصة المثيرة هنا ارتبطت بشخصية تحوتى أحد قواد الملك تحوتمس الثالث (نابليون مصر القديمة كما يطلق عليه المؤرخون) ، كما ارتبطت بتحوتمس الثالث نفسه ٠

تتلخص قصة تحوتى القائد فى أنه فشل فى الاستيلاء على مدينة يافا بعد حصار وعناء شاق فلجأ الى الحيلة والخديعة ، وأوهم أمير يافا بأنه يريد المهادنة من وراء ظهر سيده فرعون مصر وبعد أن صدقه الأمير قبل أن يذهب ومعه زوجته وابنه

الى معسكر القائد تحوتى المصرى للاتفاق على تفاصيل الاستسلام الموقعة بين الطرفين وأثناء الحديث ، أسرع بعض من الضباط المصريين بتكبيل أمير يافا بالاغلال، ونفذ تحوتى القائد المصرى حيلته بأن وضع مائتى جندى مدججين بأسلحتهم فى مائتى غرارة ، واختار خمسمائة جندى لحملها الى داخل المدينة مدعيا أنها جزية يقدمها الى أمير المدينة ۰ وسار الموكب يتقدمه سائق عربة الأمير حتى دخلوا المدينة وهنا هاجموا أهلها واستولوا عليها وأسروا أعدادا كبيرة منهم وأرسل تحوتى الى مليكه تحوتمس الثالث رسالة يقول فيها : فلتهنأ ۰۰ لقد سلم اليك والدك آمون العظيم ـ أمير يافا وكل قومه ومدينته ۰ كذلك أرسل رجالا ليحملوهم أسرى حتى تملأ معبد أبيك آمون ملك الآلهة بالعبيد ذكورا واناثا أولئك الذين أصبحوا صرعى تحت قدميك الى أبد الآبدين ۰

وقد ورد هذا النص على بردية هاريس رقم ٥٠٠ المحفوظة الآن بالمتحف البريطانى ۰۰ ثم تصف القصة كيف تمكن القائد قبل ذلك من اغراء أمير يافا بالخروج من مدينته وذلك ليأمن جانبه ، كل ذلك فى أسلوب روائى قوى ومثير ، فقد دعاه للمفاوضة فى خيمة القائد المصرى المنصوبة أمام المدينة وقدم له النبيذ بوفرة فلما ثملوا طرب أمير يافا وقال لتحوتى تحت تأثير الخمر : أود أن أرى الصولجان العظيم للملك تحوتمس ، إنى أقسم بحياة الملك تحوتمس آن الصولجان عندك اليوم وأنك تحضره الى فهما باحضار الصولجان الخاص بالملك تحوتمس ، ثم وقف أمامه وقال : انظر الى يا أمير يافا ، هذا هو صولجان الملك تحوتمس الثالث الأسد الذى يكشر عن أنيابه ابن «سخمت» الذى أعطاه له أبوه

آمون ثم رفع الصولجان وهوى به على جبين آمير يافا فسقط مغشيا عليه وبذلك أمكن تقييده ٠

وتدل نهاية هذه القصة المثيرة على أن الغرض منها تمجيد الملك الفاتح العظيم الذى استطاع صولجانه فى غيبته أن يؤدى هذا العمل المجيد ٠ ويهيمن على الانسان ، الشعور بأن كهنة طيبة كان لهم نصيب فى تأليف الجزء الأخير من هذه القصة ٠

وعلى أية حال ، فان مثل هذه القصص المثيرة التاريخية كانت كثيرة أيضا فى العصور المتأخرة لأن ما نسمعه من الاغريق عن التاريخ المصرى القديم يبدو كأنه صدى لمثل هذه القصص ٠ وفى معبد الكرنك وعلى جدران الردهات الواقعة خلف المدخل السادس لمعبد الكرنك حول المحراب الجرانيتى نقش احد كتاب البطل تحوتمس الثالث ؛ اذ كان يصحب معه فى حملاته الحربية كتابا لكتابة تقارير حربية لكل ما يقع من حوادث على ملفات من البردى ثم يسجلون أهم ما فيها على جدران الكرنك تسجيلا مفصلا لحملاته الحربية التى أثبت فيها براعته وحزمه كقائد حربى فريد فى قيادة جيشه وشدة بأسه وشجاعته النادرة وعدم مبالاته بالخطر حتى أصبح مرهوب الجانب ٠ كما وصف الكاتب كيف تجمع الأعداء فى مدينة «مجدو» تل المتسلم التى ذكرتها التوراة باسم سهل جزريل الذى يقع فى الناحية الشمالية من جبل الكرمل بقيادة أمير قادش ، وكيف سار القائد العظيم تحوتمس بسرعة عجيبة حتى انه قطع الطريق الذى يبلغ طوله ١٧٥ ميلا أى ٢٨٠ كيلومترا بين مدينة ثارو على حدود مصر قرب القنطرة ومدينة غزة فى تسعة أيام ، رغم أنه لم تكن

لديه وسائل نقل آلية ، ثم تابع سيره فى طرق ودروب وعرة صعبة • وقد ذكرت النقوش والكتابات الآتى : «حترام ساحتر» وباللغة المصرية القديمة أى أن كل حصـــان كان يسير خلف الآخر بينما سار الملك على قدميه فى طليعة الجيش •• بمعنى كل عجلة حربية وراء الأخرى رغم نصيحة قواده له بالســير فى طريق أكثر أمانا حرصا على سلامة الجيش وفاجأ الأعداء على حين غرة ففروا الى الحصن مذعورين وبعـــدها حاصر المدينة على شكل نصف دائرة وضيق الخناق على من فيها حتى كادوا يهلكون جوعا قائلا لجنــوده الذين انهمكوا فى جمع الاسلاب والغنائم : « ان الاستيلاء على مجدو يعادل الاستيلاء على ألف مدينة » ؛ لأن جنوده اهتموا بنهب معسكر العدو بعض الوقت ؛ مما كلفهم زمنا طويلا فى الاستيلاء على المدينة • ثم أخضع جميع الأمراء الذين جاءوا يقبلون الأرض فى حضرة تحوتمس الثالث •• انه ابن مصر الحرة •• ابن النيـــل الخالد •

(٢٠)

السيناريو .. فن فرعونى

الدراما ولدت فى مصر .. واستفاد منها الاغريق .

المصريون القدماء .. أصحاب أول كراسة مسرحية .

ليس هناك أدنى شك فى أن المصريين القدماء كانوا أول رواد الفن المسرحى . وكان لهم السبق فى وضع أسسه وقواعده التى نمت وتطورت بتأثير الحضارات المختلفة وانتقال البشرية من طور الى آخر . وعنهم أخذها الاغريق وعن طريقهم التقطها الغرب وعرفتها الشعوب الأخرى .

نجد أن الارديس نيكول مؤرخ الدراما المعروف يميل فى مستهل كتابه « المسرح التاريخى» الى أن القدامى من المؤلفين الاغريق فى مجال المسرح قد استفادوا الكثير من حيث المحتوى والشكل من الطقوس الدينية التى كانت لكهنة

مصر في هذه الأزمنة الموغلة في القدم . ويرى « نيكول » أن الطقوس الدينية للفراعنة في ذلك الوقت لم تكن الا مثلا أو شكلا من أشكال العروض الدرامية ، وان كان يشير الى أن مسرحيات «العقيدة الأوزيرية» التى كانت تمثل فى ابيدوس كانت تتميز أكثر من غيرها عن سائر الاحتفالات الدينيـة القديمة بالرقة والشاعرية ، واجتذاب الجماهير . والى جانب العقيدة الأوزيرية ذات الطابع الدينى البحت كانت هنـاك تمثيليات أخرى تعرض على الجمهور يقوم بأدائهـا ممثلون عاديون ليسوا من رجال الدين ، غير أن مضـامينها لم تكن مغرقة فى الرمز وأقرب الى الواقع والصدق بالحقيقة وأكثر صلة بالحياة على عكس المسرحيات الدينية .

ولقد عثر المنقبون فى « أدفو » على نصب صغير يرجع تاريخه الى أوائل الأسرة الثامنة عشرة ، وكان لـواحد من الممثلين ويدعى «ايمجب» منقوش عليه حياة صاحبه ويسجل نصا لعرض مسرحى أدواره موزعة بين مدير الفرقة فى دور (الاله) ومساعده فى دور (الأمير) وعـدد من المشـاركين فى العرض ممن نطلق عليهم الآن « الكومبارس » وكانت مهمة هؤلاء أن يؤدوا أدوار من يميتهم الاله ثم يردهم الأمير الى الحياة من جديد .

ومثل هذا النصب الصغير لا يمكن الا أن يكون أساسـا حقيقيا لاحدى المسرحيات ، وأصـول الفن المسرحى ، كمـا أنه يلقى الضوء على ما يجرى فى ريفنا الى اليوم .. من قيام الفرق المتجولة بأداء بعض المواقف التمثيلية على مشهد من جموع الفلاحين فى الأعياد والمناسبات .

وبهذا الدليل الذى يكشف لنا عن وجود ذلك « الممثل المصرى القديم » نستطيع أن ندحض دعوة الاغريق بأنهم أرباب المسرح الأول .. ورغم قلة ما بين أيدينا من معلومات فى هذا المجال ، فانها تزودنا بالكثير من تلك الارشادات التى تضمها بعض البرديات الى جانب نواح ايزيس ونفتيس خلال أيام الحداد على أوزيريس فهى وان لم تكن نصوصا مسرحية بالمعنى والأسس المتعارف عليها ، الا أن الحوار الموجود فيها يتصل أكثر بالفن المسرحى ، من اتصاله بالطقوس الدينية بالرغم من أن هذه البدايات المسرحية قد نمت وتدرجت تحت سقوف المعابد ومن خلال الكهنة ليس بالنسبة لمصر الفرعونية فقط ولكن بالنسبة لشعوب هذا العصر كلها ، فما من مسرح قام فى أى مكان الا وكانت له بالدين صلة وخاصة المسرح فى آسيا والشرق الأقصى . كما اننا نجد أن العروض الدرامية الاغريقية موصولة الصلة كلها بالدين حيث لا نجد انفصاما بين الرقص والأداء الدرامى والطقوس الدينية . وكان الأمر على العكس من ذلك فى المسرح اليونانى الذى لم يلبث بعد فترة أن استقل عن الدين والمعبد وأصبح فنا قائما بذاته ؛ ولهذا لم يتأثر به وامتدت به الحياة بعده .

لقد كانت أول مأساة « تراجيديا » ظهرت على المسرح المصرى القديم تتناول شخصية أوزوريس وما قاسى من عذاب ، وكانت تؤدى فى أبيدوس وسايس وغيرها من مدن مصر القديمة الرئيسية . وفى هذا نجد أن الكاتب اليونانى بلوتارخوس قد استعان بأسطورة أوزوريس بل وساقها كاملة فى كتابه عن « ايزيس وأوزوريس » ومنها أيضا استنبط كهنة مصر القديمة الدراما التى كانوا يؤدونها

في المعابد ومزجوها بالطبيعة وظواهرها ، فاذا أقبل الربيع واخضرت الأرض كان ذلك رمزا لبعث أوزوريس وانتصار حورس ، واذا ما جفت الزروع في الخريف والشتاء كان ذلك علامة وايذانا بغلبة « ست » ٠

ومن خلال هـذا المزج استمد اليونانيون بعضـا من عقيدتهم فاتخذوا ديونيسوس الها للكروم، كما نصب المصريون أوزوريس الها للقمح وهكذا ، كما كانت مناحتهم على اله الكروم ٠٠ نفس مناحة ايزيس على زوجها أوزوريس اله الخير والعطاء ٠

ومن هنا أجمع النقاد عـلى أن مصر كانت مهـد الفن المسرحي ، وأن الدراما ولدت على أرضـها وأن الاغريق أخذوها عن شعب وادى النيل ٠

ففي ربيع عام ١٩٢٨ ، نشر عالم المصريات الألمـاني « كورت زيته » بعض الوثائق بعنوان « نصوص درامية » وعلق عليها بما يؤكد وجود المسرح في مصر القديمة،كما أعاد نشر نص كان قد أعيد نقشه على حجر من الجرانيت الأسود في القرن السابع قبل الميلاد بأمر من الملك شبكو عن مخطوط قديم سبق ترجمته دون أن يلتفت اليه أحد حتى سلط زيته الأضواء عليه ٠ وقد أكمل زيته عمله بعد شهور ، حيث نشر في عام ١٩٢٩ للمرة الأولى بردية عثر عليها « كويبل » في حفائر الرامسيوم سنة ١٨٩٦ تحتوى على تفاصيل مسرحية مقدسة كانت تمثل في مناسبة تتويج الملك سنوسرت الأول عام ١٩٧١ ــ ١٩٢٨ قبل الميلاد ، كما نشر العالم ع٠ ده بوك عام ١٩٣٣ نصا منقوشا في مقبرة الملك سيتي الأول ١٣٠٩ ــ

١٣٩١ ق٠م فى أبيدوس ، يتضمن حوارا مسرحيا أشبه ما يكون بالنصوص الدرامية ٠

ولقد أتاحت لنا هذه النصوص وغيرها التأكد من وجود فن درامى فى عصر الدولة القديمة ، كما كشفت لنا عن وجود « الكراسات المسرحية » التى تضم النصوص وأمدتنا بكثير من الجمل الحوارية ٠

وأكد هذه الحقيقة العلمية « بنيديت » سنة ١٩٠٠ حين ذهب الى أن مصر الفرعونية شهدت تطورا فى المسرح الدرامى كان سابقا على الدراما الاغريقية ٠ أيضا نجد أن المقطوعات الموسيقية كان لها دور فى ذلك المسرح ، فنقوش لوحة أدفو ٠٠ تشير الى أن العرض لم يكن مقصورا على أداء مقطوعة موسيقية منفصلة ، ولكنها كانت جزءا من العمل والمحاكاة التى كان يقدمها ٠ وعلى هذا الأساس فان لوحة أدفو أثبتت أنه كانت هناك عروض مسرحية فرعونية لها طابعها الدرامى المتميز باحتوائها على الحدث ومجمل العناصر الرئيسية للعمل الفنى ٠٠ وهكذا أصبح من المقرر الآن أن مصر القديمة كان لها مسرحها الذى انفصل عن المسرح الدينى وعاش مستقلا عنه ٠ كذلك نجد أن المصرى القديم قد حرر معايير النص الدرامى كالآتى ٠٠ اثبات أسماء الممثلين قبل الجمل الحوارية ٠٠ وصف الحدث المسرحى والارشادات الخاصة بحركات الممثلين ٠٠ ثم الطابع الدرامى للنص ٠

وفى نص الملك « شبكو » نجد الدليل على أن ثمة كراسات خاصة بالمخرجين المسرحيين فى ذلك الزمان ٠٠

تشرح بالتفصيل الخطوط الرئيسة للعمل الدرامى المؤدى وما يعرف اليوم « بالسيناريو » كما يثبت نص ميلاد حور وتأليهه ويرجع الى نهاية العصر نفسه ، وجود مثل هـــذه الكراسات بالنسبة للممثلين تتضمن نص الحـوار بالـكامل وتحتوى على بعض الارشـــادات ، وفى هـذا تعتبر مكملة لكراسات المخرجين ·

ومن بين هذه الأنماط المسرحية المتعددة نشير الى نوع من المسرحيات التاريخية الكبرى مثل « ميلاد حور وتأليهه » و « معركة تحوتى ضد أبوفيس » كما نجد مسرحية «ايزيس وعقاربها السبعة » وتقوم على فكرة أخلاقية ، أما مسرحية أبوفيس الشاملة فهى ملهاة صريحة بينما نجد « عودة ست » مسرحية سياسية لاذعة ·· لا يمكن لأية رقابة أن تســمح بمثلها فى أى بلد فى عصرنا الحاضر ·

(٢١)

هـــل القطط بســـبع أرواح

قبل أن أجيب على هذا السؤال ٠٠ نطرح سؤالا آخر : هل للقطط علاقة بالفراعنة ؟ ٠٠ للاجابة لابد من هذه المقدمة ٠٠

القط حيوان مدلل ، يميل الى الراحة والحياة المرفهة الخالية من التعقيد ، عقد أواصر الصـــداقة مع الانسان ٠٠ عنـــدما وفر له أســـباب « التنبلة » والاسترخاء اللذيذ على وسادة لينة أو بجوار مدفأة يتمدد لساعات يحلم ٠٠ ويقـــرأ ٠٠ ويغلق عينيـــه حتى لا يقتحم تأملاته أحد ٠٠ و «بوسى» من أنظف الحيوانات تتميز بالذوق والاحســـاس المرهف ٠٠ مهذبة عندما تتناول طعامها ، كالطفل الذى أحسنت تربيته ، لا تحدث ضجيجا ولا تلوث نفســـها وهى أيضا سيدة أنيقة تعنى بمظهرها فتقضى الساعات تلعق معطف الفرو الذى ترتديه ٠

هناك أكثر من ٣٠ نـــوعا من أنـــواع القطط

لكنها تنقسم فى الأصل الى نوعين من حيث فارق طول الفراء والنوع الأول له فراء غزير وطويل يلامس الأرض منها على سبيل المثال « بلاك ويت » ويتميز بعينين زرقاوين أو برتقاليتين و « وايت » بعينين برتقاليتين ـ اسجوك سيلورتاجى ـ جين جيلا ـ توركيش • أما القطط ذات الفراء الفقير فهى : « وايت » بعينين زرقاوين ـ جش نت براون ـ س سياجى ـ تورينش ركس ـ ودى ركسى • وقد ازداد اقبال الناس على تربية القطط السيامية ؛ مما أدى الى ارتفاع أسعارها الى أرقام خيالية • والطريف أن غرور القطط لا يسمح لها بالانزواء ؛ لذا فهى تحاول دائما أن تجذب انتباه الحاضرين بعرورها أمامهم أو اتخاذها أوضاعا مختلفة تجذب الانتباه لها •

وثمة معلومة قد لا يعرفها الكثيرون •• هى أن القطط مصابة بعمى الألوان ورغم ذلك فهى تحسن انتقاء الأماكن التى تبرز جمال فرائها وألوانه وعندما يحاول أحد المصورين التقاط صورة لها تعمد الى الجلوس فى مكان مناسب يبرز جمالها متخذة أوضاعا مغرية كأى أنثى معتزة بنفسها •

والقطط تلك الحيوانات الجميلة •• ألفت البشر منذ ٣٢٠٠ عام قبل الميلاد وعرفوا عنها الكثير ، وقل من لا يعرف عودة القطط الى ملاجئها حتى ولو نقلت الى مسافة عشرات الكيلو مترات أو انها ان سقطت من مكان مرتفع سرعان ما تتخذ من الأوضاع المرنة ما يتيح لها أن تطأ الأرض بأقدامها • ولكن يندر من يعلم كيف تهتدى هذه الحيوانات الى ملاجئها ثانية أو كيف تدور بجسمها فى الهواء لتهبط على

أقدامها ٠ ولم يتسن للانسان حتى الفترة الأخيرة أن يجد الجواب المقنع لهذه الظاهرة التى تتميز بها القطط ، ولكن تحقيقا علميا أجرى من قبل علماء أمريكان وألمان يعتقدون أنهم قد اكتشفوا الأسرار التى تكمن فى هذه الظاهرة ٠ ان النتائج المذهلة التى نشرها هؤلاء العلماء بهذا الصدد ساعدت رواد الفضاء على الانتفاع بحركات هذا الحيوان فى الاستدارة فى الفضاء خارج جو الأرض فى حالة انعدام الوزن ٠ ومن ناحية أخرى تتمتع القطط بقوة سمع حادة جدا تساعدها على سماع ما لا يتسنى للانسان سماعه من الأصوات ، كما أن في عيون القطط أسرارا غامضة مجهولة تساعدها على انجاز أغراضها أو هكذا يعتقد العلماء ؛ اذ يقولون ان بامكان القطط استقبال الموجات الصوتية الموجهة اليها من خلال شبكة أعصاب في عيونها تتأثر ببعض الأمواج الصوتية فتعرف مصدرها ومن خلالها تتمكن من تحديد مسارها ، فتصل الى النقطة المقصودة دون أن تقع فى خطأ أو تشتبه عليها الأشياء ، وعندما تقترب من مصدر الصوت تستعين بسمعها وبصرها، وهكذا بامكانها العودة من مسافات بعيدة الى ملاجئها ٠

وبمقدور الانسان أن يختزن فى ذاكرته مشاهداته البصرية الا أن القطط تلتقط اشارات صوتية معقدة تهتدى بها فى الظلام وأثناء العواصف الشديدة ، وهناك العديد ممن يعتقدون أن بامكان القطط رؤية كل شيء أثناء الظلام كما تراه أثناء النهار ولكن التحقيقات العلمية الدقيقة التى أجراها علماء متخصصون أكدت بطلان هذه النظرية ، اذ ان بامكان عيني القطة رؤية الأشياء فى الظلام أفضل من

مشاهدة الانسان لها ولكن ليس بمقدور القطة مشاهدة هذه الأشياء بعينيها في الظلام الدامس وانما تستعين بقوة سمعها الخارقة ، بشاربيها اللذين يعملان كما يعمل الرادار . وتتمتع القطط بظاهرة أخرى يعرفها الجميع، وهي سقوطها على اقدامها كيفما ترمي نفسها وتوضح الأفلام السينمائية كيف تدور القطط حول نفسها في الهواء أثناء سقوطها على الأرض فتقع على أقدامها .. وشوهد في جميع هذه الأفلام أن القطط في هذه الحالة تستعين بذيولها فان سقطت من مكان ما سرعان ما تنصب ذيولها وتحركها الى احدى الجهات حتى تسيطر على توازنها حينذاك تدير جسمها ليستقر باستقامة الذيل في حركات متعاقبة وهي بذلك تستفيد من ذيولها كما يستفاد من المقود ، وهكذا حتى تلامس أطرافها الأرض . وقد أجريت هذه التجارب من قبل متخصصين في وقت كان علماء الفضاء يجرون التجارب لمعرفة مشاكل ضغط التوازن في ظروف انعدام الوزن فجاءت نتائج التجارب التي أجريت على القطط بمكاسب كثيرة انتفع بها علماء الفضاء فقام رواد الفضاء باجراء تجارب على هذه الظاهرة في احدى السفن الفضائية وكانت نتائجها ايجابية نافعة ، بالنسبة لاستدارة أجسامهم في الفضاء بأطرافهم السفلى وجعلها مقودا لهم ليتجهوا حيث شاءوا .

وهكذا علمت القطط الانسان ما لم يكن يعلم به من قبل وخدمت بذلك رواد الفضاء أفضل خدمة ومازالت توجد أسرار مهمة ونافعة لم يكتشفها الانسان في القطط بعد . كما لا نعرف بعد طريقة تفاهم هذه الحيوانات على الرغم من معرفة بعض حركاتها وأصواتها التي يفهم

الانســـان أو الحيوان منها ما تبغى .. فمثلا ثنى الظهر وانتفاش الشعر والكشف عن الأسنان والنفخ فى وضع معين يشير الى غضبها أو استعدادها للنزاع ، والقطط التى تتودد وتموء مواء معينا فانها تريد بذلك اظهار حبها وحينما ترفع ذيلها وتموء مواء قصيرا متقطعا وتتجه نحو الانسان ، فانها تطلب الطعام . وعندما يبدأ موسم تناسل القطط تأخذ الاناث بالمواء بطريقة أشبه ما تكون بالبــكاء والعــويل ويرتفــع صوتها حتى يصل الى مسافة ميل .. أما القطط السيامية فقد يصل صوتها الى أميال لارتفاعه ، غير أن القطط الفارسية تموء بصوت خافت وهــذا ما يؤكد طبيعتهــا الشرقية .. وعندما تسمع ذكور القطط مواء الاناث تأخذ فى التجمع حولها ويبدأ صراع شرس تسيل له الدماء والمنتصر هو الذى يفوز بالقطة أولا . ثم يتوالى الصراع من جديد بين الذكور الأخرى . وهكذا كلما انتصر حظى برضاء القطة . وهنا نجد صغارها متعددة الألوان والأشكال بالنسبة الى آبائهــا ومدة حمل الاناث بين ٥٧ أو ٦٩ يوما .

ولعلى أضيف شيئا الى هــذا الموضوع .. فكثيرون منا يذكرون تحذير آمهاتهم لهم من ضرب القطط ليلا فيقلن فى هذا الصدد : « اوعى تضرب القط بالليل » لأن له سبع أرواح وان اهانته تعد أذية كبيرة .. لماذا يخشى الناس اذن القط بالذات ويتجنبون اهانته ويحسنون معاملته !

لعلنا نكشف الستار الآن عن هذا الغموض .. كل هذا راجع الى آن قدماء المصريين عبدوا القط منذ آلاف السنين تحت اسم « باست » واذا تناولنا هذا الاسم بالتحليل اللغوى المصرى نرى أن « ب » كلمة تعنى الروح وكلمة « است »

تعنى ايزيس والمعنى الكامل لهذا الاسم «روح الالهة ايزيس» .. وعبد القط في بلدة تل بسطة بالقرب من الزقازيق .

وأضيف أيضا شيئا غاية في الأهمية ألا وهو « متون الأهرام » التى تخبرنا أن الاله « رع » اله الشمس كان له سبع أرواح تمثلت في القط الذى اعتبر مظهرا من مظاهر الاله رع اله الشمس على الأرض . كما لاحظ المصرى ـ القديم كذلك أن حدقة عين القط تتسع رويدا رويدا مع دورة القمر اليومية حتى ليلة نصف الشهر القمرى ثم تأخذ فى الانكماش الى آخر الشهر وهكذا .. لذلك اعتبر المصريون القط رمزا للقمر أيضا .. ولعلنا بهذا قد أزحنا الستار الغامض عن التحذير من ضرب القطط والذى نسجته التكهنات عبر آلاف السنين .

(٢٢)

اعيـــاد الربيع ٠٠
بين العود ٠٠ والرباب
٠٠ والطنبـــور

كان ولا يزال عيد شم النســيم عيــدا للطبيعة والربيع قائما من عهد قدماء المصريين حتى اليوم ، أستقبله المصريون بكل أنواع الحفاوة والمرح فكانوا يغنون ويطربون بالموسيقى والأغانى الفرعونية ــ هــكذا صــورت لنا النقــوش التى تركها القــدماء وصورت حياتهم خير تصوير ٠

اعتاد المصريون القــدماء أن يحــددوا ســنتهم الشمسية طبقا لظواهر فلكية رصدوها ، وكانت السنة عندهم تبدأ بعد اكتمال البــدر الذى يقــع عند الانقلاب الربيعى وهــو الذى يتساوى فيــه الليل والنهار « وقت حلول الشمس فى برج الحمل ويقع فى ٢٥ برمهات » وكانوا يتصورون أن ذلك اليــوم هــو بدء خلق العــالم الذى اعتبروه أول الزمان ٠

وعيد شم النسيم وثيق الصلة بعيد الفصــح اليهودى ٠ فان بنى اسرائيل حين خرجوا من مصر فى عهد موسى عليه السلام كان ذلك اليوم يناسب موعد احتفال المصريين ببدء الخلق وأول الربيع ٠

واعتبروه رأسا لسنتهم الدينية وسموا يوم خروجهم « الفصح » وهى كلمة عبرية من « فصح » أو « فسخ » بمعنى اجتاز أو عبر • واشتقت منها كلمة « بصخة » اشارة الى نجاستهم وتحريرهم عندما ذبحوا خروف الفصح ورشوا دمه على بيوتهم وكانوا يحتفلون به فى فصل الحصاد ويسمونه « شمو » وقد حرف هذا الاسم على مر الزمن الى « شم » وأضيفت اليه كلمة النسيم حتى تصبح علما عليه •

وهكذا اتفق عيد الفصح العبرى بعيد الخلق المصرى ثم انتقل الفصح بعد ذلك الى المسيحية لموافقته موعد قيامة السيد المسيح ، ولما انتشرت المسيحية فى مصر أصبح عيدهم يلازم عيد المصريين القدماء ويقع دائما فى يوم الاثنين أى اليوم التالى لعيد الفصح « القيامة » •

وقد جاء فى كتاب مختصر الأمة القبطية « أما شم النسيم فهو عيد وطنى قديم اتخذه القبط فى أول فصل الربيع ليكون رأس سنتهم المدنية غير الزراعية » •

وكان المصريون القدماء يحتفلون بعيد الربيع كما نحتفل بعيد شم النسيم اليوم ويشترك فيه الفرعون والوزراء والعظماء ، فهو العيد الذى تبعث فيه الحياة ويتجدد النبات وينشط الحيوان لتجديد النوع ، أى أنه بمثابة الخلق الجديد فى الطبيعة • وكان سرورهم بالغا بحلوله ، يحتفلون به احتفالا شعبيا رائعا ، ففيه تزدهر الخضرة وتتفتح الأزهار ويخرج الناس أفواجا وجماعات الى الحدائق والمتنزهات والحقول للتريض ويستنشقون أريج الزهور ويستمتعون بالورود والرياحين تاركين وراءهم متاعب الحياة وهمومها •

واعتـاد القـوم أن يسـتيقظوا مبـكرين حفزا للهمم والنشاط ورمزا لأولئك الذين أطاعوا الالهة « حات حور » ، وخرجوا عند الفجر يحملون اوانى البيرة ونونها يشبه الدم المسفوك ليسكبوها قبل فتكها واهلاكها البشر أجمعين • وقد اعتادوا أن يحملوا معهم طعامهم وشرابهم ويركبوا الزوارق الخفيفة على صفحة النيل ويغنوا عـلى أنغام النـاى والمزمار ويرقصوا ويصفقوا ويقضوا يومهم فى لهو ومرح وسرور • أما أحب الأطعمة لديهم فى ذلك اليوم فكان البيض والسمك المملح والبصل والخس والملانة ولحم الاوز المشوى ، كان البيض يرمز لخصب الطيور وموعد ظهور جيل جديد منه ، ويبدءون فى التقليل من آكله بعد فصل الربيع ؛ لأنه بعد هذا الموعد يصبح غير مقبـول • واعتادوا أن يجففوا السـمك ويملحوه كما هو الحال اليوم• ويذكر هيرودوت : أن المصريين كانوا يأكلون السمك ويجففون بعضـه فى الشمس يأكلونه نيئا ويجففون بعضه الآخر في الملح ، ولا شك أنه يقصـد الملوحة والفسيخ ، حيث كانوا يرون أن أكلهما مفيد أثناء تغير الفصول ، أما البصل فقد عثر على بعض النقوش التي تشير الى تقديسة ، وكانوا يعلقونه حول أعناقهم وبخاصة في عيد « نتريت » ويقع مع عيد الربيع فى ٢٩ كيهك فيطوفون حول الدار البيضاء «منف» تبركا بها ، ومن العادات الشائعة لدى بعض الناس أن يعلقوا البصـل فوق أسرة نومهـم ثم يشموه فى الصباح الباكر ويعلقوا حزما منـه عـلى أبواب دورهم اعتقادا منهم أنه يطرد الأمراض ، كما اعتادوا أن يقربوا البصل من أنف الطفل عند ولادته ليشمه لما له من رائحة نفاذة ، ومن ثم أصبح البصل تقليدا ، حيث يؤكل مع

الفسيخ فى عيد شم النسيم وكان أكل الخضر وبخاصة الملانة يفيد فى هذا الفصل من السنة ٠

فقد أجمع العلماء على أن الخس البلدى يحتوى على مادة زيتية تجلب الخصب والقوة والحيوية ، لذلك بلغ عندهم مرتبة التقديس وخصص للاله « مين » عندهم ٠ أما الأزهار والرياحين والخضرة فترمز الى بعث نبات جديد وكانت بشيرا ببدء موسم الحصاد حيث يملأون مخازنهم بالغلال ويقيمون حفلا آخر بهذه المناسبة يقدمون فيه بواكير « الخلق الجديد » من سنابل القمح الخضراء ٠

ولقد وضع المصريون القدماء أساس التقويم الذى يسير عليه الفلاح المصرى حتى اليوم يسترشد به فى أعماله الزراعية على مدار السنة وكانوا يحتفلون بهذا العيد بين مظاهر الغبطة وتعم الحفلات أنحاء البلاد ٠

ولما جاء الفرس مصر دعوه « نيروز » أو « نوروز » ومعناه بالفارسية « يوم جديد » وظلت مصر تعترف به عيدا قوميا حتى العهد الفاطمى ولا يزال المسيحيون يحتفلون به حتى اليوم ٠ ولقد ظل عيد شم النسيم عيدا للطبيعة والربيع قائما من عهد الفراعنة حتى اليوم ولم تأت عليه الأديان التى اعتنقها المصريون الا وأصبح عيدا قوميا يحتفل به المصريون على اختلاف طبقاتهم ودياناتهم فيخرجون كما اعتاد الفراعنة الى الحقول والحدائق يلهون ويمرحون ويأكلون البيض والفسيخ والبصل والملانة ٠٠ انه العيد الذى أوحت به طبيعة بلادنا الزراعية ٠٠ عيد بعث الحياة وأول الزمان ٠

(٢٣)

لغـة الأزهار ..

فى عيد أول الزمان

عيد الربيع .. عيد أول الزمان .. هـكذا عبر المصريون القدماء عن شم النسيم فكان بمثابة بدء الخلق وتجديد الحياة عندهم ، انتقل منهم الى اليهودية فصار عيـد الفصـح العبرى .. والى المسيحية فصار رأسا لسنتهم المدنية والى الفرس فصار نيروزا .

ولم يكن عيـد الربيع .. عيـد أكل وشرب ورقص ، بل كان مجالا أيضا للتراشق بالأشـعار المتغنية بمباهجه وجماله :

ترى كيف صـور الشـعراء والمحبون هـذا العيد .. ؟!

كان المصرى القديم يعتبر بدء كل فصل من فصول السنة الثلاثة عيدا فكان « آخت » فصـل الفيضان عيدا ، وال « برت » فصل الشتاء عيدا ، و « الشمو » فصل الصيف عيدا . وكان يحتفـل

فى نهاية فصل الشتاء وبداية فصل الصيف بعيد الربيع ٠ وكان المصريون القدماء يحتفلون به وسط مظاهر الغبطة والفرح التى تعم أنحاء البلاد واعتبر المسيحيون أول فصل الربيع رأسا لسنتهم المدنية غير الزراعية لأنه يوافق موعد قيامة السيد المسيح ، ولما جاء الفرس مصر دعوه نيروزا ومعناه باللغة الفارسية « يوم جديد » ٠ وظلت مصر تعترف به عيدا قوميا حتى العهد الفاطمى ٠ ولا يزال المسيحيون يحتفلون به حتى اليوم وكذلك اليهود ؛ لأنه كان يوافق يوم خروجهم من مصر فى عهد موسى عليه السلام ٠

كان الربيع عند المصرى القديم بمثابة الخلق الجديد فى الطبيعة وعلى ذلك كانوا يحتفلون به احتفالا شعبيا رائعا ويتغنون بجماله على أنغام الناى والمزمار ، وكذلك كان مجالا للتراشق بالأشعار التى تتغنى بالأزهار ، سواء بين المحتفلين أو بين العاشقين ٠٠ مما قد يدل على أن المصريين القدماء كانوا أهل مزح ومرح ٠٠ بحق كانوا مولعين بالتمتع بكل نواحى الحياة ، فمن بين طيات الأشعار التى تراشق بها المحبون متغنين بجمال الأزهار والطبيعة الممزوجة بوصف الحبيبة ، يقول المحب المصرى القديم :

تأمل انها كالزهرة عندما تطلع

فى باكورة سنة سعيدة

ضياؤها فائق وبشرتها وضاءة

وانها تفتن بلحظ عينيها

والسحر فى حديث شفتيها
فرعاء العنق
شعرها أسود لامع
وذراعاها تفوقان الذهب حلاوة
وأصابعها كأنها زهر البشنين هيفاء مقبلة
لها ساقان تفوقان ما فيها من جمال
رشيقة الحركة عندما تتبختر على الأرض
تجعل أعناق كل الرجال
تنثنى لتشـــاهدها
سـعيد من يقبلها
فانه يكون على رأس الشباب القوى

وترد عليه المحبة فاستمع وهى تناجيه
ان المحبوب ينشرح قلبى بصوته
وقد جعل المرض يتملك منى
وانه جار بيت والدتى
ومع ذلك ليس فى استطاعتى أن أذهب اليه
وجميل يا والدتى أن تهاجمينى فى ذلك
قائلة : اقصرى عن التفكير فى ذلك

تأمل : فان قلبى يتوجع عندما يتحدث أحد عنه
وحبه قد أسرنى .
الأم : هاك انه مجنون .. مجنون

البنت : ولكنى مثله ·

وانه لا يعرف مقدار شغفى بتقبيله

والا لكان فى استطاعته أن يرسل لوالدتى ··

تعالى الى حتى أشاهد جمالك ·

وسيفرح بك الناس

وسيسرون بك أيها المحبوب ·

هـذا نـوع من الأغانى المصرية ورد فى مجمـوعة تشستربيتى المصرية ، وهناك أغنية رشيقة تحض الانسان على التمتع بمباهج الحياة :

استمتع بيومك وضع العطور

وتزين بتيجان الأزهار

وضع أزهار البشنين حول عنق

اختك التى تحبهـا

وليكن الغناء والموسيقى أمامك

واترك كل الآلام وراء ظهرك

وفكر فى السرور الى آن يأتى

ذلك اليوم الذى تصل فيه الى

أرض السـكون ·

والغريب فى بعض الأغانى المصرية التى تتغنى بالربيع والتى وردت على لسان المحبين ، ان كل أغنية تبتدىء باسم زهرة ، وكل أول بيت شعرى يحتوى على كلمة فيها تورية باسم الزهرة ··

الأغانى المفرحة أمامك يا أزهار قلبى
ما ألتمسه هو الكحل لعينى
ومشاهدتى لك نور لعينى
انى لك كحديقة غرست فيها الأزهار .

كانت السيدات يقدمن الى بعضهن البعض الأزهار لاستنشاق عبيرها أو يمسكن بأكاليل الزهور وكل ما طاب وأقداح النبيذ ويدعون الضيوف مناديات :

احتفلوا باليوم السعيد ..

يحثونهم على الاستمتاع بالوقت الحاضر السعيد ويكرر المغنون النداء نفسه بلا انقطاع كختام لأغانيهم :

احتفلوا باليوم السعيد بنفس مرحه
وقلب مفعم بالفرح والسرور
وضع العطور على رأسك
وارتد ما خف وهف من قماش رقيق
زين نفسك بأجمل ما تستطيع
واحتفل باليوم السعيد
لأنه ما من أحد أخذ معه ما يملكه
وما من أحد عاد ممن ذهبوا

وبطبيعة الحال لم يوافق أحد من الحكماء والحفظة على الاطلاق فى مصر القديمة على شرب الخمر ، فنرى « آنى » الحكيم المصرى يقول : « لا تفرط من شرب الخمر فاذا رآك أحد ليسدى لك النصيحة وجدك ملقى على الأرض كطفل صغير » .

هكذا كان عيد الربيع .. عيد أول الزمان في مصر الفرعونية عيد الخصب والنماء ، أخذته اليهودية ثم أخذته المسيحية التى أخذت الكثير من علم الكهنوت المصرى القديم تشهد بذلك عاداتهم وجريهم فى ذلك الوقت وراء تقليـد كل شيء مصرى فى بيت الكهانة .

وظل العيد الذى أوحت به الطبيعة المصرية .. عيـد بعث الحياة ، عيدا يحتفل به منذ آلاف السـنين مخلدا فى ذكراه أولئك الذين أفنوا أعمـارهم من أجـل بنـاء صرح شامخ حفظته كل حبة رمل بنور العلم والمعرفة .

(٢٤)

عازف قيثارة فرعونى ..

وأغـرب حفلة فنيـة ؟!

سعادة الحياة على ضفاف النيل جعلت قلوب المصريين تفيض اعترافا بجميل الآلهة ، سادة كل المخلوقات ، فأقاموا الأعيـاد ، وقد دفعهم هـذا السبب نفسه الى الامعـان فى الاستمتاع بأطيب ما فى الحياة ، حتى وهم فى القبور ، وقد اعتقدوا أنهم حققوا هـذه الغاية عنـدما غطـوا جـدران مقابرهم بالنقوش الغائرة والرسوم الملونة المختلفة .. فـكان من أكبـر دواعى سرور المصريين فى أعيـادهم أن يجمعـوا عـددا كبيرا من الأقارب والأصدقاء حول الموائد لتناول طعام الغـداء أو العشـاء ، وقد وجدت مناظر كثيرة على جدران المقابر تمثل مآدب فى المنازل أو القصور أو فى المقابر . وكان المصريون لا ينضب معينهم حين يتبادلون التحيات ، ففى الوقت الذى يجلس فيه المدعوون فى أماكنهم لتنـاول الطعـام .. كان

الموســيقيون يدخلون ومعهم آلاتهم ٠٠ فالمصريون كانوا فى كافة العهود مولعين بالموســـيقى حتى قبل اختراع أية آلة موســـيقية ٠٠ اذ كانوا وقتذاك يصــفقون بالأيدى لدعم الغناء ٠٠ فالمزمار ٠٠ والقيثارة ٠٠ والقانون ٠٠ كلهــا آلات كانت معروفة فى عهد الأهرام وكانت تشترك آلتان فى العزف معا وأحيــانا ثــلاث آلات ٠٠ أما الصلصـــالة فكانت عبارة عن رأس حات حور مركبــة فوق مقبض وقد استبدلت بالقرون زائدتان طويلتــان من المعــدن وبينهما خيوط معدنيـــة مشـــدودة تخترق صنوجا صـــغيرة من المعــدن أيضـــا ، وعندما تتحرك أو تهتز هذه الصــلاصل يصـــدر عنهـــا صـــوت يدعم الغناء ويضبط الايقاع ، وتشبه هذه الصناجات المصفقات الخشبية الاسبانية المعروفة اليوم ، والذين شاهدوا راقصا أو راقصة اسبانية يرقصان على أنغام الصناجات وصفقوا لهما ، يمكنهم أيضـــا أن يتصوروا بسهولة الدور الرائع الذى كانت تؤديه الصلاصل والصناجات فى عهد قدماء المصريين ٠٠ فكان الرقص يكمل الاستعراض ويشترك أحيانا مع الرقص احدى البهلوانات التى كانت تميل الى الخلف فيتدلى شعر رأسها حتى يلامس الأرض ٠٠ وفى أعيــاد قدماء المصريين يطــول الاجتمــاع وتستمر الأغانى والموسيقى والرقص وكان المغنون ينشدون الأشعار التى يتغنون فيها بكرم الداعى أو بنعم الآلهة ٠٠ «انه ليوم سعيد هذا الذى نشيد فيه بجمال آمون ٠٠ ما أحلى التهليل بأصوات عالية تصل الى عنــان الســماء فكان من الأوفق تقديم الشكر للمعبودات ولكن لا يجهل أحد أن المدة التى يقضيها الانسان على الأرض ليســتمتع فيهــا بخيرات المعبودات قصيرة الأمد ٠٠ فلننتفع اذن بهذا اليوم الســعيد

الذى تتحد فيه رحمة الآلهــة بكرم الراعى ويكمــل بعضها بعضا » ..

وعازف قيثــارة يقول : « اتبــع قلبك طالما أنت فى قيد الحياة .. ضع البخور فوق رأسك .. البس الكتان .. تطيب بأفخر أنــواع عطــور الآلهة .. اتبع قلبك وهيىء لنفسك السعادة أطول وقت مستطاع تقضيه عــلى ســطح الأرض .. لا تســتهلك قلبك الى أن يوافيك اليــوم الذى لا ينفع فيــه التوســل فالآلهة الذين توقفت دقات قلوبهــم لا يمكنهم أن يستمعوا الى أولئك الذين يتوسلون اليهم » ..

من هذه الأعياد المصرية .. عيــد « أوبت » الخــاص بالاله آمون والذى يفوق الاحتفال بالمعبود «مين» .. ويعتبر هذا العيد احتفالا شــعبيا ضخما .. فمن معبــد « أوبت » بالكرنك تبدأ احتفالات العيد فيتخــذ البــاعة الجــائلون أماكنهم حول الأعمدة الضخمة للمعبد ، حيث كانوا يعرضون على المارة البطيخ والرمان والتين الشوكى والطيور المذبوحة .

والهدف من الرحلة النيلية فى هــذا العيــد هى اوبت القبلية ، حيث يكون آمون معبود الكرنك ضيفا على مدينة الأقصر لبضعة أيام . وليس لدينا معلومات دقيقة عن الطريقة التى كان يقضى بهــا آمون وقته .. فلم يكن آمون الا الها حديث عهد ضمن مجموعة المعبودات المصرية .

وعلى كل .. كانت تقام فى الأعياد حفلات فنية ، تمثل فيها بعض فصــول من أســطورة آمون أمام فرعون .. عن المساعدة الفعالة التى قدمها آمون لرمسيس الثانى عنــدما أحاط به أولئك الجنود اللئام من الحيثيين .

علاوة على هذا هناك عيد آخر يطلق عليه «عيد الوادى» حيث يقلع مركب آمون المقدس من مرساه للاحتفال بعيد الوادى ، عابرا النيل الى الوادى ·· ويستمر هذا العيد عشرة أيام فقط ·· يخرج فيه الملك من القصر حيث يقود هذا الاحتفال المهيب ·

ومن ضمن فقرات الحفلات الفنية فى الأعياد المصرية بعض التمثيليات كان أكثرها شهرة واثارة تمثيليات أوزيريس ·· وهى تلك التى كانت تمثل أبيدوس و « أبو صير » ·· حيث يبذل المخرجون مجهودا عظيما فى أدق التفاصيل سواء أكان فيما يختص بالملابس أم الاخراج ·· وكافة ما يلزم للتمثيلية ·

وفى سايس شاهد هيرودوت تمثيليات ليلية على حافة البحيرة المستديرة مثلت فيها قصة المعبود أوزيريس بكل تفاصيلها ·· وما جرى فيها من آلام وعذاب وما تضمنتها تلك الرحلة العجيبة من حلقات حتى وصلت الى « جبيل » بلبنان وتحول المعبود الى شكل عمود ·

وفى كوم أمبو فى مصر العليا كان « جوفينال » قد شاهد تمثيلا مشابها ولكنه لم يكن بصيرا كهيرودوت ·

فهناك مسرحيات شعبية تدل على ذلك بردية « الرمسيوم » التى أعاد نسخها الملك « شباكا » · على أن وجود هذا المسرح يمكن أن يعتبر أمرا مؤكدا خاصة بعد أن عثر المعهد الفرنسى فى أدفو على لوحة تذكارية لممثل هزلى

مصرى محترف يقول فيها : « كنت أصحب سيدى فى كل جولاته دون أن أكل أو أمل من القاء أدوارى ·· وكنت أرد على سيدى فى كل ادواره ·· فان كان معبودا كنت ملكا ·· واذا قتل أحد كنت أعيد الحياة للقتيل » ·

وكانت هذه التمثيليات المسرحية دون شك من أهم مميزات تلك الاحتفالات والأعياد التى كانت تظل ممتدة أياما كثيرة دون أن يعترى الشعب المصرى الملل أو السأم ·

وفى الأعياد أيضا كان المصريون حريصين على التردد على المساكن الأبدية ،وذلك اما بدافع الرهبة أو بدافع التقوى ·· فكان أهل الميت ·· أبواه والأطفال والأرامل يصعدون الى التل أو المقبرة ويحضرون معهم بعض الأطعمة وقليلا من الماء ليضعوها فوق مائدة القرابين بجوار اللوحة التذكارية أو بين شجر النخيل الذى يظلل فناء المدخل ·· ثم يرتلون الصلوات تلبية لرغبة المتوفى ·· فيقولون : « ألوف من أرغفة الخبز وجرار من الجعة ·· وثيران ·· وطيور ·· وشحوم ·· ودهون ·· وبخور ·· وأقمشة ·· وكل ما يجلبه النيل من خيرات وما تنتجه الأرض وما يعيش منه الاله ·· نقدمه لروح فلان ·· المبرور ·· المرحوم » ··

ومهما بلغت درجة تقوى المصريين نحو موتاهم فانها لم تكن تكفى لارضاء جحافل من كانوا يرقدون فى الجبانات وما كان يفعله انسان لوالديه أو لجدوده ·· يستلزم منه أن يؤديه لأسلافه·· لأنه لا توجد تهديدات ولا لعنات يمكن أن تلزمه بذلك ·· وقد أتى اليوم الذى تنبأ به عازف

القيثارة المصرى .. وقد تنبأ به من قبل أحد حكماء العهد القديم حين تحدث قائلا : « .. أولئك الذين شيدوا هنا أبنية بحجر الجرانيت .. وأقاموا قاعة داخل الهرم تصبح موائد قرابينهم خالية من كل شىء مثلها مثل موائد البائسين الذين يموتون على شاطىء النهر دون أن يتركوا ذرية » ..

(٢٥)

٧٠٠ ألف رجل وامرأة فى

أغرب عيد فرعونى !!

تعـددت الأعياد فى مصر القـديمة واختلفت أسبابها فمنها ما كان يحتفل به فى طول البـلاد وعرضـها ومنهـا ما كان يحتفـل به فى مدينـة بعينها • ومنها الأعياد السنوية والأعياد الدينيـة والأعياد الجنازية والأعيـاد الرسـمية والأعيـاد السنوية ، تعتمد أساسا على التقويم فهناك على سبيل المثال عيد رأس السنة وعيد فيضان النيل وعيد الحصاد وعيد ظهور نجم الشعرى اليمانية بشيرا بالفيضان وأعيـاد فصـول السنة الثلاثة وعيد أيام النسىء الخمسة وعيد آخر السنة الى جانب الأعياد الشـهرية ، مثل عيد ظهور الهلال وعيد اكتمال القمر •

وتذكر قائمة الأعياد فى مدينة هابو •• أن الفرق الزمنى بين العيد والعيد فى بعض الأحيان كان لا يتجاوز ثلاثة أو أربعـة أيام ، كمـا كان

يحتفل بأعياد أوزوريس فى أبيدوس ، حيث تمثل فى كل عام أسطورة بعثه • وهناك عيد الالهة حات حور فى دندرة وكانت خلاله تقضى خمسة عشر يوما عند زوجها حورس فى أدفــو •

أما الأعياد الدينية ، فهى التى تتصل بالآلهة ومعابدهم وقد اختلفت مواعيد هذه الأعياد باختلاف الآلهة واختلاف أماكنها فهناك مثلا •• « عيد أوبت » وهو العيد الذى يزور فيه الاله آمون الحرم الجنــوبى أى معبــد الأقصر وكانت الزيارة تستمر أحــد عشر يوما فى بداية الأمر • أما فى الأسرة العشرين فقد أصبحت ٢٧ يوما • ويذكر «هيرودوت»: أن عيد الالهة « باستت » كان يحتفل به نحو ٧٠٠٫٠٠٠ رجل وامرأة يرقصون ويضحكون ويتمتعون كما يريدون • ومن أهم الأعياد الجنازية « عيد الوادى » فيه يزور الاله آمون الوادى فى الضفة الغربية أمام الاقصر ، وقد بدأ من الأسرة الحادية عشرة وأصبح فى الدولة الحديثة من أهم الأعيــاد الجنــازية ، حيث يأتى أقارب الموتى لزيارتهم مقدمين لهم القرابين والصلوات •

أما الأعيــاد الرســمية •• فهى التى تتعلق بالدولة والملك مثل عيد التتويج وعيــد ميــلاد الملك أو الاحتفــال بعيده الثلاثين المعروف باسم عيد « الحب سد » • وتسجل لنا حوائط معبد الأقصر يوم العيــد الذى يعتبر من أهم أفراح طيبة ، ويسجل بهو الملك «أمنحتب الثالث» سلسلة من النقوش من عهد الملك توت عنخ آمون تبين بكل جلاء ما كان يتبع فى هذا العيد ، حيث يبدأ بموكب نهرى يسير الى الجنــوب عــلى

وجه الماء الفضى الهادىء متجهـا نحو معبـد الأقصر حيث يقضون يومهم فى فرح وغناء ورقص •

وتصف لنا النقوش أحد هذه الأعياد بأن : آلهة السماء صاحت سرورا والكاهنات يضربن على دفوفهن ، وتصـور الناس وقد تزينوا بأكاليل الأزهار والورود يسيرون فرحين معطرين بأطيب العطور ، والأطفال يمرحون فى لعبهم من شروق الشمس وحتى غروبها •

ومن الطريف أن المصرى القديم كان ينتهز من الأعياد فرصة لاحياء ليال موسيقية وغنائية رائعة • ومن الطريف أيضا أن المصرى القديم فى حفـلاته هـذه كان يفرق فى المقاعد بين المتزوجين وغـير المتزوجين كما توضـح لنـا النقوش ، فكانت الألحان من موسيقى وغناء عونا على الحياة الجادة ثم زخرفا للحياة الناعمة فى بيوت السراة المترفين • وكان الناى والمزمار بحـكم ما كان ينبت فى منـاقع مصر وغدرانها من البوص وغـيره أقدم آلات المصرى القـديم وأبسطها ، ثم لم تلبث الموسيقى أن تغلغلت فى كل مرافق الحياة فى مصر حيث كانت لها منزلتها من محاريب العبـادة ومصليات القبور وفى الحفلات والأفراح، وسرعان ما تطورت فى هذه الأعياد الآلات وأنواعهـا • وقد عـرف المصريون الآلات الوترية ومنهـا الجنك ثم اصـطنعوا منـذ الدولة الحديثة حين اتصلوا بمن جاورهم من شعوب آسيا العـود والربابة والطنبور وذلك فضلا عن الصـلاصل والطبـول والدفوف وأبواق الحرب ، وكانوا يعزفون على مختلف الآلات فى أعيادهم رجالا ونساء فرادى وجماعات وفى فرق مختلطة متكاملة مع الرقص والغناء ويضبطون الايقاع بالطبـل أو

الصلاصل أو فرقعة الأصابع أو بتصفيق الأيدى أو بأيد من خشب أو عاج .

وكان من بين المصريين من يحترف الموسيقى فلقد كانت وسيلة يكسب بها المكفوفون عيشهم، كما كانت هواية لأصحاب الترف يحبونها لذاتها كمثل ما نراه في مقبرة « مرورركا » في سقارة ، وقد صور في صحبة زوجته وهي تطربه بعزفها على الجنك .

وفي أسطورة أوزوريس ما يدل على ايمان المصريين بأثر الموسيقى في تهذيب المشاعر وترقية الأحاسيس ، ومع ذلك فانهم لم يسجلوا آثارهم في بردياتهم من ألحانهم وأنغامهم شيئا وذلك لعدم وصول اثباتها الينا . وان غلب على الظن أن الكنيسة المسيحية ما تزال تحتفظ ببعض ما انحدر اليها من أنغام أجدادنا الأقدمين .

ولم يقتصر الاحتفال بالعيد عند قدماء المصريين على الموسيقى والغناء فحسب ، بل شملت ترديد بعض نصائح وحكم الأولين التى كانت تحض النشء على الرفعة وحسن المعاملة ضمان حقوق الغير وعدم العبث بحاجات الناس فكانوا ينتهزون الأعياد لاثارة الأحاسيس بالحب والألفة . ومن ذلك نعلم أن الشفقة عرفت طريق قلوب هؤلاء القوم وكان للذين عليهم سلطان كبير نافذ على عقولهم فكان يدعوهم الى التدين والتقوى والصلاح والاحسان الى الغير والعمل الصالح . فكانوا ينتهزون أعيادهم لرفع شعار الصلاح كفضيلة ومد يد العون لغير القادر اذ اعتقدوا أن الانسان

لا يمكنه الوصول الى جنات الخلد والنعيم الدائم فى السماء الا اذا أظهر الحساب عند وزن القلب أن روحه طاهرة نقية ، وأنه لم يأت شرا ولا اثما ولم يسبب فى حياته ضررا أو قسوة لأحد من الناس وأن صفحة أيام حياته على الدنيا كانت ناصعة البياض خالية من الآثام والسيئات وأنه لم يعتد قط على أحد ولم يتدخل فى شئون الغير • وانى لأذكر بعض ما جاء فى كتابات القدماء التى ترجع فى تاريخها الى عهود مختلفة ؛ كى يقف القارىء على ما كان عليه أجدادنا الفراعنة الأمجاد من شفقة ورفق مما لم يحدثنا به التاريخ عن أمة سبقتهم أو عاشت فى عهدهم فهم الذين وضعوا أساس المدنية والتشريع فى العالم الذى سار فى اثرهم فى الحضارة والرقى ، واقتفى خطواتهم فى المدنية • فهذا نص يقول فيه صاحبه :

« لم أرتكب اثما ضد أحد ولم يشعر أحد بالجوع ولم أسبب بكاء أحد وما أمرت بقتل نفس ولا ارتكبت جريمة القتل بنفسى ولم أسرق أى شخص وما جعلت الناس تخافنى ولم أك جبارا عاتيا ولم أك قاسيا فكنت أمد الجائع بالخبز وأروى العطشان بالماء وكنت أكسو العراة » •

هذه الكلمات كتبها صاحبها يرجو عليها من الله ثوابا وجزاء طيبا فى جنات الخلد ، لأنه كان محبا للناس مشفقا عليهم وأنه كان يعمل الخير بدافع من نفسه •

كان اعتقادهم فى الحياة بعد الموت أكبر وازع لعمل الخير وطهارة الذمة ، فقد تخيلوا أن نفس الانسان يحل بالقبر

بعد وفاته ويتمتع بكل ما كان يحظى به المتوفى فى حياته من طعام وشراب ولا يكون ذلك الا بتقديم الأحياء له من قرابين وصلوات • فكيف يكون ذلك ، لا يكون الا اذا كان المتوفى قد أحسن فى حياته معاملة الناس والتقرب اليهم بالاحسان والشفقة والخير حتى اذا ما توفى حفظ لنفسه ذكرى طيبة فيذكر دائما بالخير والترحم عليه والصلاة لروحه فيعيش سعيدا فى آخرته •

ولم يكن الاحتفال بالعيد بهذا فقط ، بل تعداه الى نواح أخرى كالنهى عن بعض الأشياء مثل الزجر والنهى عن الخمر فأهل الصلاح فى مصر القديمة كانوا ينهون عن الخمر « لا تؤذ نفسك بشرب الخمر انك اذا أردت الكلام فان ألفاظا تخرج من فمك ، واذا سقطت وكسر أحد أعضائك فلن يمد أحد يدا اليك ويصرخ أعز أصدقائك قائلا : « احمونى من هذا الرجل عندما يشرب » واذا ما حضر اليك شخص ليبحث عنك ويوجه اليك سؤالا يجدونك ملقى على الأرض كطفل صغير » •

وها هى بعض نصائحهم التى كانوا يرددونها فى الأعياد والمناسبات الأخرى والتى تحض على كرم الأخلاق وحسن الطوية والمعاملة :

يذهب الشر بالخير

فم الانسان ينجيه

اعطف على من هو أقل منك

لا تقل الكذب

العدل باق الى الأبد

اصنع المعروف

خير للانسان أن يبقى سره فى بطنه

لا تجعل الطمع رائدك فى جمع الثروة

خيرللانسان أن يعيش على خبزوماء مع راحة الضمير

من أن يعيش على لحوم وهو منغص البال

تأن أمام متطفل وأعرض عمن يهاجم

قارب الرجل الرزين يقلع مع النسيم

ضع طيبتك فى جوف الناس وفى أعماق نفوسهم

احفظ لسانك تجد مكانك بين الناس .

لا تضرن رجلا بجرة قلم

لا تسخرن من أعمى ولا تهزأن من قزم

ان الله يحب سعادة المتواضع .. أكثر من احترام الشريف .

هدىء من روع الباكى .. ولا تظلم أرملة .

ولا تحــرم انســانا .

ومن المناسبات والأعياد تعرفنا على بعض حكماء مصر القديمة الذين كان لهم صولات وجولات بين الحكمة والنصيحة منهم « أمنموبى » الذى حمل الى العالم رسالة خاصة تعكس تدين هذا الشاعر واعتداله . وتعتبر حكم « أمنموبى » من أمتع وأعظم التعاليم تلك التى تدعو الى أن الصــلاح كان

★ ★ ★

فضيلة وان التفكير فى الموت والأبدية كان حافزا يدفع الانسان الى آن يسلك الصراط السوى فى الحياة الدنيا مخافة الله ٠

والمثل الأعلى بين الناس فى نظر « أمنموبى » هو الرجل الرزين المتواضع المعتدل فى حياته فهل يستخلص الانسان من هذا التواضع الذى أظهره لنا الشاعر المصرى وهو على طرفى نقيض من حكماء العصور الماضية اذا قسناه بهم ٠٠ انه يصور لنا العقلية المصرية فى العصر الذى أخذت فيه البلاد تنحدر طبقا لضروريات السياسة التى فرضت عليها فى ذلك العهد ٠

وهكذا كان للشعر مجال أيضا فى الأعياد والمناسبات ٠ يقول أمنموبى الشاعر المصرى القديم :

تأن أمام متطفل وأعرض عمن يهاجم ٠٠
أما الرجل الأحمق الذى لا يخدم الناس ٠٠
فمثله كشجرة نبتت فى الغابة ٠٠
أما الرجل الحليم حقا فهو الذى يضع نفسه جانبا حيث يجب ، فمثله كشجرة باسقة فى الحديقة ٠

★★★

احفظ لسانك سليما من الألفاظ الشائنة
وبذلك تصبح المفضل عند الآخرين
وستجد مكانك بين الناس ٠
لا تصيحن : جريمة فى وجه انسان
عندما يكون سبب فراره خفيا !!

★★★

لا تصافحن قرنك الأحمق على الرغم منك
ولا تحزنن قلبك من أجل ذلك
ولا تفصلن قلبك عن لسانك
حتى تكون كل طرقك ناجحة .

***

لا تزحزحن انسانا بلسانك
ولا تؤدين شهادة .. زورا
ولا تجهدن نفسك لتبحث عن ...

***

لا تصغين الى أجوبة شريف فى بيت
ثم تنشره الى آخر فى الخارج
ولا تجعلن كلامك يذاع فى الخارج
حتى لا يتألم قلبك
وقلب الرجل هو صميم ضميره
فاحذر أن تهمله .

***

احذر أن تسلب فقيرا بائسا
وأن تكون شجاعا أمام رجل مهيض الجناح
ولا تمدن يدك لتمس رجلا مسنا بسوء
ولا تسخرن من كلمة رجل هرم
ولا تجعلن نفسك رسولا فى مهمة ضارة

***

وهناك شيء آخر محبب الى قلب الاله
هو التأنى قبل الكلام ٠

★★★

لا تفسدن قصد رجل أعرج
ولا تكونن عابس الوجه حينما يكون
قد تعـدى الحدود ٠
اذ الواقع أن الانسان من طين وقش
والله هـو مسـويه
وهو يهدم ويبنى كل يوم
ما أسعد الذى مات
وهو آمن فى يد الله ! ٠

★★★

لا تمرن على غريب باناء زيتك ٠
بل اجعله يتضاعف أمام اخوانك
ان الله يحب سعادة المتواضع
أكثر من احترام الشريف ٠

هكذا كانت أعياد المصريين : مساجلات ورقص وغناء ومرح وحكمة وفكاهة ٠٠ وكانت خير وازع من الحـكماء لابداء الرأى وتوجيه الأمة الى الصواب وخلق جو تحابيـه الحكمة والنصيحة وتؤصله الأخلاق والسلوك ٠

★★★

(٢٦)

صفحات حب عمرها ٧ آلاف سنة

بين مجنـــون ليـــلى •• ومجنـــون الجميزة ••

رسالة غرام

رأى المصريون القـــدماء فى الحب عاطفـة مرهفة يجب التعبير عنهـا •• فتغزلوا ووضعوا فى غزلهم القصائد والأغانى •• فماذا قالوا فى قصائدهم هذه وكيف صوروا الحب •• ؟ وهـل وصل الينا شىء منها ؟ نعم ، وصل الينا شىء هـو قطع بعضها كامل ، وبعضها مبتور •• عبروا عن عاطفة الحب بالشعر والغناء والموسيقى واشتهرت بعض الأشـــعار التى تغزل بهـــا المحب المصرى القديم •• وانتقلت أول رسـالة غرام من مصر القديمة الى شبه الجزيرة العربية فزادت الصلة بين الشعر المصرى القديم والشعر العربى ••

فتـــاة وقمـــرية

تأتى القمرية « طائر منتشر فى مصر » فى وقت الفجر حيث الفتاة نائمة ‥ فتغرد بالقرب من رأسها حتى توقظها فتهب الفتاة وتقول :

غردت القمرية ‥ وحدثتنى فقالت :

هو ذا الفجر يلوح ‥ ألا تخرجين !

قلت : كلا لست خارجة

قالت : أتنفريننى ؟

قلت : خففى عنك ‥ خففى

لقد وجدت أخى ‥ فى سريره

فابتهج قلبى ‥ برؤيته

وقد قال لى ‥ أخى

‥ لم أفارقك

وهذه يدى ‥ فى يدك

وسأتنزه ‥ معك

وسنرتاد معا ‥ جميع

أمكنة البهجة ‥ والسرور

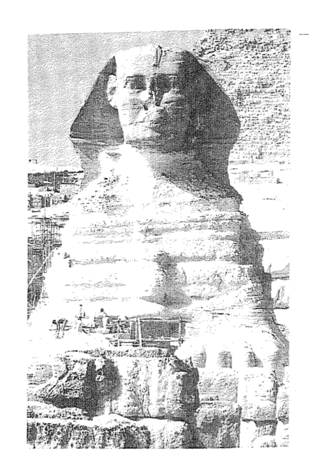
ألا ‥ فاسمعى ‥ يا قمرية

لقد جعلت ‥ أخى ‥

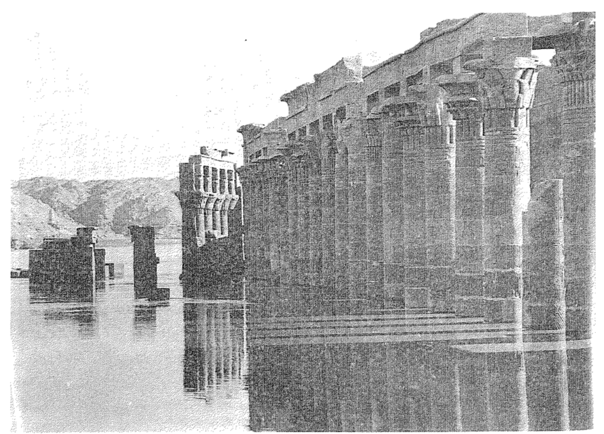
أول الفتيان ‥ فى العالم

لأنه ‥ يحبنى ‥

ولا يرضى ‥ أن يسوءنى



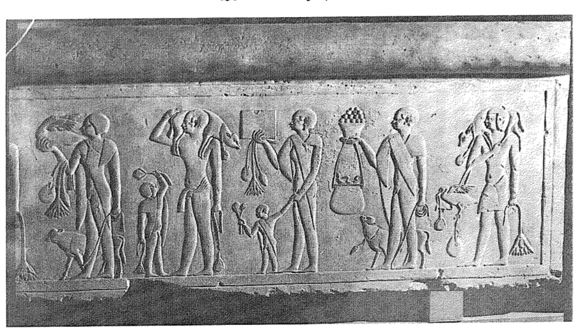
تمثال أبى الهول أثناء ترميمه



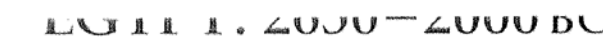
فيلة تغزوها المياه.



معابد فيله، أعمدة حتحورية.



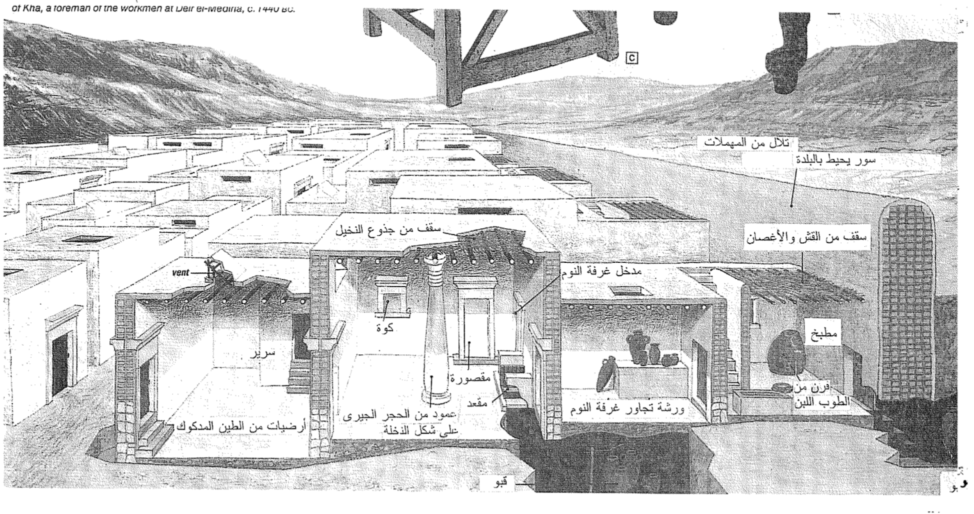
صورة لعملية السعى وراء الغذاء، تمثل اللوحة، السوق وقد رجع الناس منها محملين بمختلف أنواع الغذاء، فنشاهد علاوة على الخضراوات أن المصرى حمل معه بعض الطيور وبعض الخراف الصغيرة التى حملها على كتفيه. وعلى أقصى يسار اللوحة يجر المصرى وراءه جاموسة. وتعتبر من أروع اللوحات التى تمثل السوق المصرية القديمة وبعض مناظرها الفريدة.



مجموعة من المواد التى كانت تستخدم فى طقـوس الجنـازة وحمايـة المتوفى لدى انتقاله إلى العالم الآخر :(١) تمثال الشوابتى الذى كان مـن المعتقد أنه سيحل محل المتوفى فى أداء أى عمل يُكلف به فـى الـدار الأخرة. (٢) إناء كان يستخدم فى عملية التحنيط. (٣) كتلة من الشـمع محفور عليها رمز العين المقدسة كانت تغطى فتحة التحنيط التى تنتزع منها أحشاء المتوفى عند تحنيطه.(٤)صينية من المرمر عليها مجموعـة من الأدوات السحرية التى كانت تستخدم فى طقسة فتح الفم التى كـان من المعتقد أنها سترد للمتوفى حواسه. (٥) نموذج للمنحات الذى كـا يستخدم فى الطقسة سابقة الذكر.(٦) رأس من الحجـر الجـيرى كـا يوضع فى المقبرة لإرشاد روح المتوفى إلى قبره.(٧) أوانـى التحنيـ التى كانت تحفظ فيها أحشاء المتوفى.(٨) توابيت مشكلة علـى هيئـ مومياء المتوفى.

attend-

RURAL LIFE



منازل العمال فى قرية دير المدينة بالقرب من وادى الملوك



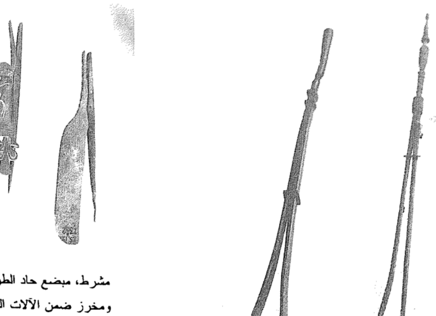
رأس أشهر فراعنة مصر، كان له صولات وجولات مع الحيثيين وبرز كقائد حربى عظيم على مستوى الشرق الأدنى القديم.



سقننرع.. أعلن حرب الجهاد ضد الهكسوس واستشهد فى إحدى معاركها وعثر على موميائه وبها آثار جروح مميتة فى صدره ورأسه ووجهه كما تشير لنا الأسهم المبينة.وقد خلفه ابنه كامس ومن بعده أحمس الذى تمكن من طرد الهكسوس. (المومياء بالمتحف المصرى).

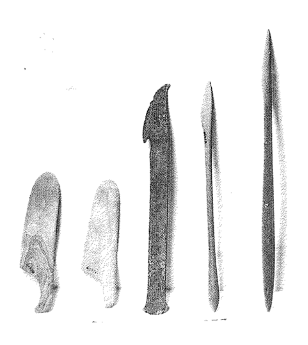


حسى رع يجلس أمام مائدة قرابين غنية، وفوقها بعض النقوش الهيروغليفية، ويظهر الطبيب ممسكا عصاه فى يده اليسرى وأدوات الكتابة على كتفه اليمنى.

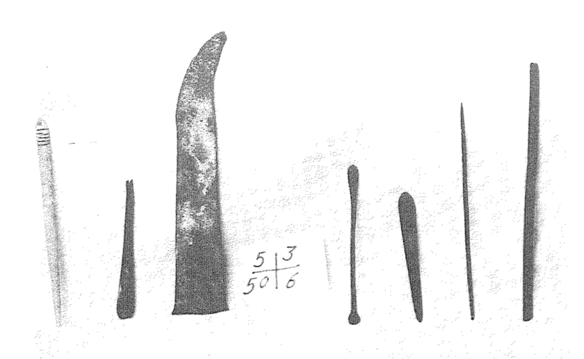


مشرط، مبضع حاد الطرفين ومخرز ضمن الآلات الجراحية.

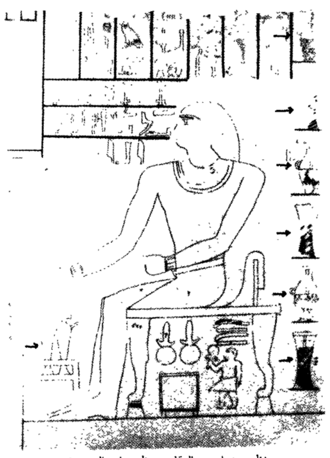
ملقطان أحدهما ممسنن والآخر حاد الطرفين كانا يستعملان فى العمليات الجراحية.



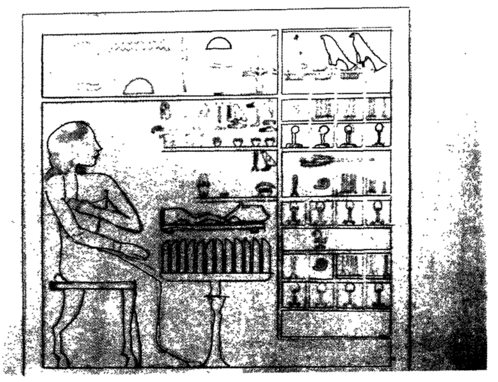
مشرطان ـ قرن للحجامة ـ محرز ـ مبضع كبير
بحدين وآخر صغير ويد بميزاب أسفله هاون.



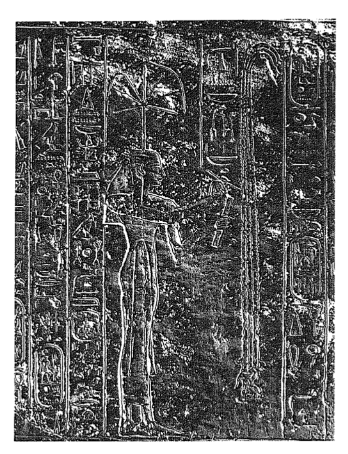
مجموعة إبر : جفت ـ ميزان ـ مخرز ـ آلة كي ـ مجس ـ قسطرة ـ قرنان يستعملان للحجامة.



منظر من إحدى المقابر ويظهر فى الصورة
بعض الأجهزة والدوارق الطبية.



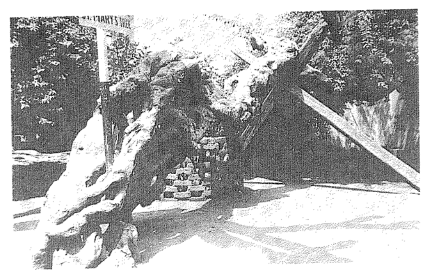
- منظر يمثل أميرة وقد جلست على المقعد على هيئة أرجل الغزال، وأمامها مائدة جميلة عليها أرغفة الخبز وفوقها نرى فخذ حيوان بجانبه إوزة مشوية. (الصحة تاج على رؤوس الأصحاء).



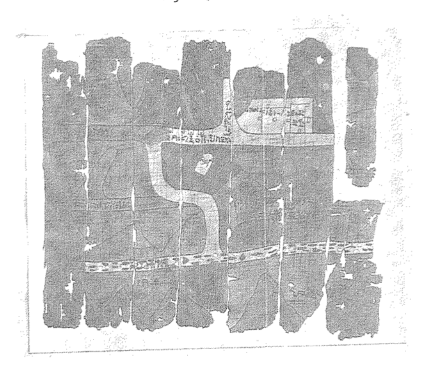
"سشات" ربة الكتابة والتعليم.



ـــ مناظر الختان كما صورتها بعض نقوش المقابر.



شجرة العذراء.



ـ أقدم خريطة جيولوجية فى العالم

ـ بردية تورين ـ توضح أقدم مركز لتعدين الذهب من عهد الملك سيتى الأول فى الأسرة التاسعة عشرة. وتاريخ الخريطة من ١٣٥٠ ـ ١٢٠٥ ق.م

ـ توضح الخريطة مجموعة من سلاسل الجبال لمركز لتعدين الذهب يُعتقد بأنه في منطقة الحمامات، وفى الغالب لمنجم الذهب بالفواخير بالصحراء الشرقية.

ـ يوجد طريقان موضح عليهما الاتجاه إلى ساحل البحر، ومن ثمّ يمكن استخدامها لوضع الخريطة فى الاتجاه الجعرافى الصحيح.

ـ فى وسط الصورة المسلة المرسومة هى من عهد الملك سيتى الأول ويمكن استخدامها كدلالة على مقياس الرسم للخريطة، وتحيط بها منطقة استخلاص الذهب من خاماته وبجوارها بئر للمياه.

ـ العروق الحاملة للذهب موضحة باللون البنى الداكن، والجبال الحاملة لعروق الذهب ملونة باللون البنى الفا

ـ منازل العمال موضحة فى منطقة سكنية بالركن الشمالى الشرقى.



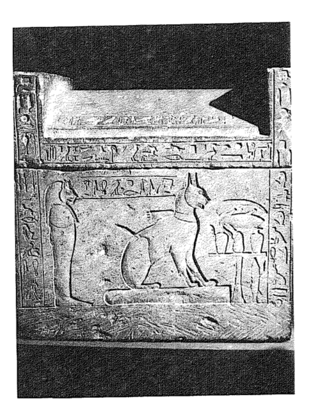
عازف مصرى قديم ـ كهف



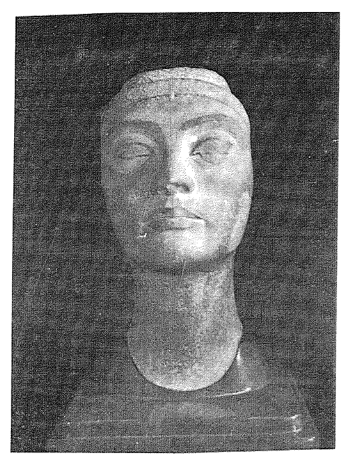
الباروكة.



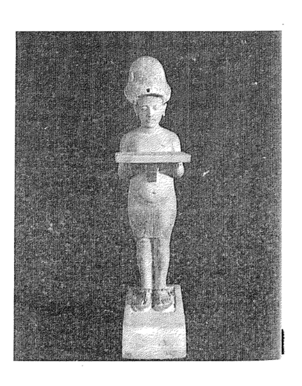
أمنحتب الثانى ــ المتحف المصرى ــ فى ظل حماية الكوبرا.



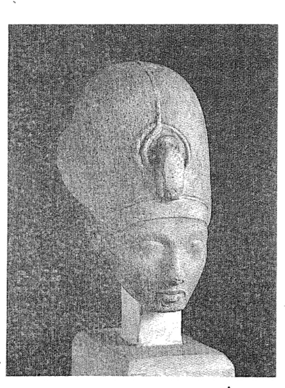
نقش رائع لتابوت القطة التى عُبدت فى تل بسطة ويظهر أمامها مائدة قرابين، ومن خلفها وقفت الآلهة سخمت التى اعتقد المصرى القديم أنها المتوحشة في الحروب، وأنها تمنع الشرور عن المعابد، ورمزوا إليها بجسم سيده ورأس لبؤة.



نفرتيتى، عاصرت الأحداث بين مصر والشرق القديم.



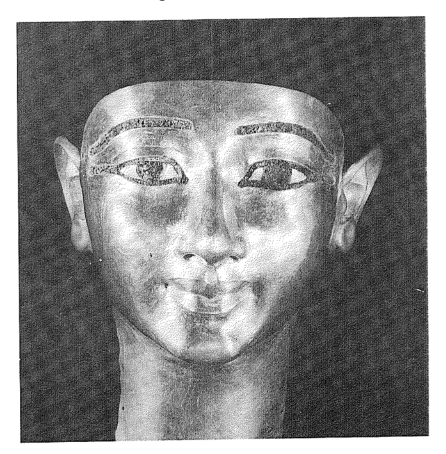
أخناتون، فى عهده عاش الشرق القديم فترة هدوء نسبى



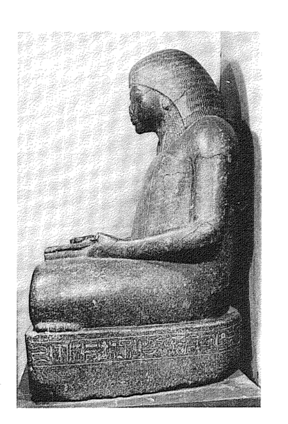
أخناتون، فضل العبادة عن السيطرة.



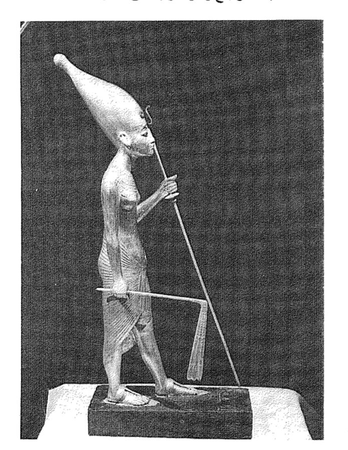
مروحة خاصة للملك توت عنخ آمون.



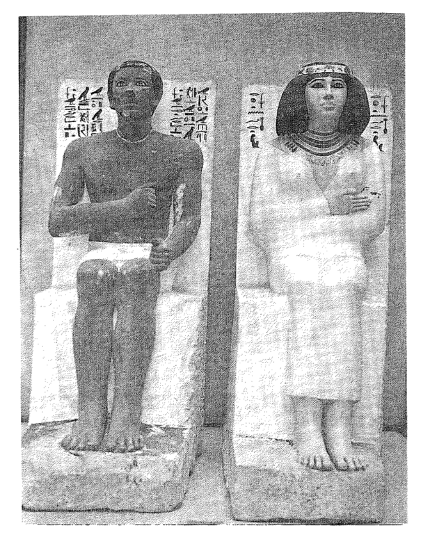
قناع الملك بسوسنس، الأسرة ٢١



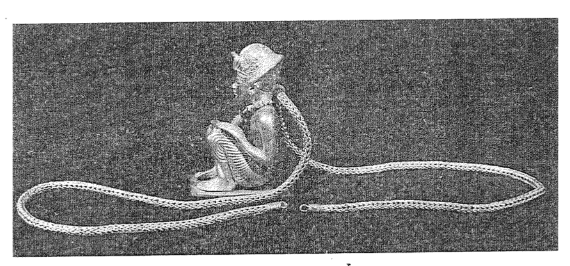
. الكاتب ماحر باع ومنزلة رفيعة فى مصر الفرعونية.



- تمثال فريد لتوت عنخ آمون.



تمثال جميل من الدولة القديمة لرع حوتب وزوجته نفرت، المتحف المصرى.



سلسلة بها تمثال فريد للملك توت عنخ أمون.

صفحات حب عمرها ٧ آلاف سنة

والعربى فى ميزان العاطفة

هذه محاورة مع القمرية ، ولا شك أنها خيـال جميـل وفى هذا دليل على أن المصريين تفننوا فى التعبير عن عاطفة الحب حتى بلغوا حد الابداع .

وهنا أيضا كان من الطبيعى أن يدخل تغريد الطيـور فى الشعر العربى وأن ينتزع الشعراء منه صورا ساحرة ؛ ولكنهم فى الغالب يذكرون الحمام بدل القمرى « عنـــد المصريين » لأن هذا الطير الأخير قليل فى بلاد العــرب .. كثير فى مصر ..

قال « نصيب » :

لقـــد هتفت فى جنح ليل حمـامة
عـــلى فنن وهنـا وانى لنـــائم
أأزعـــم أنى هـــائم ذو صـبابة
لسـعدى ولا أبكى وتبكى الحمائم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشـــقا
لمـــا سـبقتنى بالبـكاء الحمـــائم

وقال عبد الله بن الدمنية الخثعمى :

أآن هتفت فى رونـــق الضـــحى
عـلى فنن غض النبـات من الـرند
بكيت كمـا يبـكى الوليد ولم تكن
جيلدا وابديت الذى لم تكن تبدى

وقال مجنون ليلى :

ألا يا حمـام الأيك مـا لك باكيـا
أفارقت الفـا أم جفـاك حبيبه

حتى شجرة التين .. تتكلم

وتتكلم شجرة التين .. فتخاطب الفتاة ، قائلة « على لسان شاعر مصرى فرعونى » :

هـل وجدت فى العـالم
سـيدة مثـلى ..
اذا لم تكن لك أمة
فانى .. أمتـك .

أما شجرة الجميز الصغيرة التى غرستها الفتاة بيـدها فانها تبوح بحبها :

تفتح فمهـا لتتـكلم ..
ما أجمـل .. أغصانها .. !
انهـا موقرة .. بثمار ..
هى أشد حمرة من حجر الدم ..
وأوراقها تشبه .. حجر الدهنج
وخشبها .. لونه كلون حجر النشمت .
وهى تجتذب الناس الى فيئها
لأنه .. ذو نسـيم عليل ..

رســـالة غـــرام

وهنا يمعن الشاعر المصرى القــديم فى الخيــال ··
فيروى أن شجرة التين هذه تضــع رسالة فى يد بنت صغيرة للبستانى ·· تعدو بها الى الحبيبة ·· فتأخذها وتقرأ :

تعالى ·· واقضى الوقت فى ··
فالحديقة رفافة ·· نضرة
وفيها جواسق ·· لك
والبستانيون ·· يسرون ·· ويطربون
حــين يرونك ··
·· ان المرء ليســكر ··
حين يسرع اليك ··
من قبل ·· أن يشرب شيئا ··
ها هم أولاء ·· الخدم
يأتون ·· من عندك ··
بأزهار ·· الأمس واليوم
وبكل صنف ·· من الفاكهة المنعشة
تعالى ·· واقضى اليوم فى حبور ··
غدا ·· وبعــد غد ··
ثلاثة ·· أيام كوامل ··
واجلسي في ظلى ··

تلقت الأخت الحبيبة هذه الرسالة التى بعثت بها اليها شجرة الجميز فلم يسعها الا أن تجيبهــا ·· فجــاء الخــدم بالشراب والطعام والفاكهــة والأزهار ·· ثم جاءت وجاء

الأخ وجلسا فى ظل الشجرة فابتهجت ·· هذه ·· وصارت تقول :

الأخ ·· يجلس على يمينها فتسكره ··
وتصغى ·· الى كل ما يقول ··
وقد اضطرب الحفل من السكر ··
وبقيت هى ·· مع أخيها ··
يتمشون ·· فى البستان ··
ويرقدون ·· تحت الأغصان ·

هذا مجلس طاب فيه الأكل والشرب ·· وشاعت النشوة بين النسيم والأغصان والأزهار فانتشر الحفل تحت كل غصن وفوق كل مرقد ·· الا ·· الأخت وأخاها ·· فقد بقيا حيث هما ·· وقد رأت شجرة الجميز من ذلك كله ما رأت ·· وسمعت ·· ما سمعت ·· فماذا تراها ·· فاعلة ؟

أتصون السر ·· أم تفشيه ·· ؟ ستصونه بالطبع ·· لأنها تنظر اليهم باسمة وتقول :

ولكني ·· أمينة ··
ولا ·· أتكلم بما أرى ··
فلن أقول ·· كلمة !

وأخيرا غنت شجرة الجميز

هكذا ·· غنيت شجرة الجميز الى الفتاة الجميلة ·· غنت وكلماتها تتساقط كقطرات الشهد ·· فأصبح الثمر الذى تحمله بلون الياقوت الأحمر ، قالت :

ان أوراقى ·· تزدان بلون خضرة البردى
وفرعى ·· وجزعى لهما بريق عين النهر
تعالى ·· تحت ظلى الرطب
ليستريح ·· حلم قلبك ·· الذى به تحلمين ·
سترسل ·· فتاتى الجميلة ·· رسالة غرام
الى أخيها ·· الذى سيكون سعيدا
احضر ·· الى حديقتى قليلا
واجلس معى ·· فى ظلى ··
سأجنى لك الفاكهة ·· لسرورك
وسأقطع الخبز ·· وأصب النبيذ ··
سأقطف ·· لك الأزهار ·· العاطرة ·· النضرة.
فى هذا ·· اليوم السعيد
ستكون ·· فتاتى ·· وحدها مع حبيبها
آه : سأصمت ·· عما أرى ··
ولا أتفوه ·· بما سمعت ·

هكذا غنت شجرة الجميز الى المحبين اللذين يتسامران تحت ظلها الرطب كم هى مسرورة بذلك ·· ولكن ·· بعد كل هذه القصائد الشيقة التى تغزل فيها المصرى ·· ترى ماذا نقول عن الشعر المصرى القـديم الذى مر عليـه آلاف السنين ·· لعل المدة نفسها سبب خلود هذا الشعر والأسلوب. والتعبير والخيال سبب عظمته ·

لغـة الحب

التعبير عن عواطف الحب من قلب فتاة ··

أخى الحبيب ··

أن قلبى معلق بحبك ..
فاسمع لما أقول ..
وانظر ماذا فعلت ؟
لقد ذهبت أنصب فخى بيدى ..
وأنت تعرف أن جميع طيور بونت
تحط فى مصر معطرة برائحة المر
فأول هــذه الطيــور ..
هو الذى حط على فخى ..
وضرب فى طعمى ..
بينما كانت تفوح منه روائح بونت ..
وكانت مخالبه مغطاة بالصمغ الزكى
أفيكون لى أن تقتنصه من الفخ معى
معى أنت وحدك !
كى تسمع شكوى طيرى المعطر برائحة المر
وأية غبطة لى ..
أن تكون معى اذ أنصب فخى .

★★★

لقد صاح الطير وهو فى الفخ ..
ولكن حبك ملك على مذاهب ..
فلم يدعنى أفكر فى أخذه ..
فسأجمع فخى وأدوات صيدى
لأنى .. لن أصيد شيئاً
رب .. ماذا أقول لأمى ؟
اذ أعود اليها خالية اليدين ..

وقد ألفت أن ترانى أحمل اليها الطيور ..
كـــل يـــوم ..
ستقول أمى .. ماذا فعلت بفخك ؟
فهل من جواب أجيب به . !
غير أنى كنت أسيرة حبك !!

★★★

انها القبلة منك ..
هى التى يحيا لها قلبى
فان أنا ظفرت بها
فليكتب آمون أن تكون لى الى الأبد .

★★★

آخى الحبيب .. اليك أفضى بذات نفسى
ان الأمنية التى يخفق بها قلبى ..
هى أن أصبح قوامة على شئونك
وربة لدارك ..
وأن تستند ذراعك الى ذراعى

★★★

أخـــى ..
اذا تحول حبك عنى ..
فسأقول لقلبى ..
أين أخى .. بعيد الليلة عنى
وسأكون كأننى دفنت فى قبرى
لأنك أنت العافية وأنت الحياة

★★★

هكذا غرم المصريون بالصيد فى كل مناظرهم .. فنجد قيس بن ذريح بعد آلاف السنين يقول :

برت بنبلها للصيد لبنى وريشت
وريشة أخرى مثلها وبريت

فلما رمتنى أقصدتنى بسهمها
وأخطأتها بالسهم حين رميت

ويقول عمر بن أبى ربيعة :

خليلى ما كانت تصاب مقاتلى
ولا غرتنى حتى وقعت على نعم

خليلى حتى لف حبلى بخادع
موتى اذا يرمى صيود اذا يرمى

فتى يتغزل

الآن تسمع ماذا يقول أحد الشعراء المحبين ، يبدأ هذا المحب فيشكو اعراض المحبوبة عنه وصدها له ، ثم يفكر فى ألوان من الحيل عسى أن يظفر برؤيتها فيقول :

سأرقد فى سريرى متمارضا ..
فيعودنى جيرانى ..
وتعودنى أختى معهم ..
وتضحك أختى من أطبائي ..
لأنها تعرف دخيلة مرضى .

وتمنى المحب أن تزوره حبيبته اذا رقد فى سريره مريضا أو متمارضا .. وهذا نوع شائع فى الشعر العربى ..

نذكر منه قول الشاعر قيس بن ذريح :

عيـــد قيس من حب لبنى ولبنــى
داء قيــس والحــب داء شـــديد

واذا عــادنى العـــوائد يــوما
حـــاكت العـين لا أرى من أريد

ليت لبنى تعــودنى ثــم أقضـى
انهـــا لا تعــود فيمن يعـــود

ثم يستمر المحب والشاعر المصرى القديم فيقول ، انه اذا لم ينجح فى حيلته تلك فسيحتال ليدخل عند حبيبته مع زوارها ، ثم وكأنه لم ولن ينجح فى هذا ٠٠ فيقول :

دار أختى ٠٠
ليتنى أكون على بابها ٠٠
فان أغضب ذلك أختى
فانى على الأقل سأسمع صوتها الغاضب
وسأكون أمامها كالطفل يرتعد خوفا ٠

وها هو عمر بن أبى ربيعة بعد آلاف السنين يقول :

ليت حظى كطـرفة العـين منهـــا
وكثير منهـــا القليـــل المهنـــا

أو حـــديث عــلى خــلاء يســلى
ما يجن الفـــؤاد منهـــا ومنـــا

كبرت رب نعمـــة منــك يـــوما
أو أراها قبـــل الممـــات ومنـــا

وها هو جميل بن معمر يتمنى الكلمة الواحدة .. ولو كانت (لا) أو الأمل الخائب او النظرة العجلى ينقضى عليها حول كامل :

وانى لأرضى من بثينة بالذى
لـو أبصره الـواشى لقـرت بلابله

بـلا وبـأن لا أسـتطيع وبالمنى
وبالأمـل المرجـو قـد خـاب آمله

وبالنظـرة العجلى وبالحـول تنقضى
أواخـره لا نلتقى وأوائلـه

ثم يقـول :

الا ليتنى أعمى وأصم تقـودنى
بثينـة لا يخفى عـلى كلامهـا

ثم يقـول :

مـن حبهـا أتمنى أن يـلاقينى
من نحـو بلدتهـا ناع فينعـاها

كيمـا أقـول فـراق لا لقـاء له
وتضـمر النفس يأسـا ثم تـلاها

ثم يقـول :

لـو تمـوت لراعتنى وقلت آلا ..
يا بؤس للموت ليت المـوت ابقاها

ولكن شاعرنا والمحب المصرى بعد آن كان يكتفى بأن يكون بوابا عاديا يترقى فى تمنياته .. فصار سماعه صوت حبيبته لا يكفيه ، فهو يقول :

ولكن يا رب ..
لم لم تجعلنى رفيقتها السوداء
تلك التى تقيم معها
فانى اذن كنت أمتع عينى
برؤيتها ورؤية جمالها وندرة جسدها

وهنا يقول عمر بن آبى ربيعة ، انه عندما نظر فى الطواف الى امرأة وقعت من نفسه فكلمها .. فلم ترد عليه ورأى الهواء يلاعب أذيال ثيابها فقال :

الريح تسحب أذيالا وتنشرها
يا ليتنى كنت ممن تسحب الريح
كيما تجر بنا ذيلا فتطرحنا
على التى دونها مقبرة شوح

ثم يقول المحب المصرى القديم ..

سأركب النيل نازلا مع التيار
وسأمضى مسرعا
وباقة من الريحان على كتفى
وسأصل الى مدينة حياة الأرضين
وهناك أقول للاله بتاح رب العدل
هيىء لى أن أرى الليلة حبيبتى

ان النهــر لخمــر !
وان بتاح لغابة !
وان سخمت لبردية !
وان نفرتوم لأزهار !

وهنا يسبح المحب فى بحر من الخيال لأنه ركب النيــل الى حبيبته فأخذته نشوة الفرح فصار النيل فى نظره خمرا وصارت المناظر الطبيعية تشبه ســحرا صنعته الآلهــة ٠٠ فالغاب المنتشر على ضفاف النيــل والبردى والأزهار كلهــا ليست نباتا انما هى آلهة تجمل الطبيعة فى عينيه وتشترك فى تحريك النشوة فى نفسه ، ويجيب الاله رجاءه وتأتى حبيبته فى موعد يضربه لها فيقول :

حينما أرى حبيبتى قادمة
يخفق قلبى
وتتحرك ذراعاى لتطويقها
وأحس فى أعماق نفسى
كأن السعادة الأبدية تشملنى
ثم اذا دنت منى حيتنى ولمستنى
وفتحت ذراعيها لى ٠٠
شعرت كأن أزكى روائح بلاد بونت
تغمــــرنى
ثم اذا انفرجت شفتا حبيبتى
وقبلتنى
فذلك لى هو السكر من غير مسكر ٠٠

هذه المعانى كلها كثيرة فى الشعر العربى مع تنوع فيها .. فالشاعر المصرى يقول ، ان قبلة من حبيبته تسكره من غير مسكر .. **وقيس بن ذريح** ينهج مثل نهجه فيقول :

وللحائم العطشان رى بريقها ..
وللمرح المختال خمر ومسكر

وعمر بن أبى ربيعة يحوم حول هذا المعنى فيقول :

من يسقى بعد الكرى بريقها
يسقى بكأس ذى لذة خمر

ويقول :

فلثمت فاها آخذا بقرونها
شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

وبشار بن برد يقول :

حوراء ان نظرت اليك
سقتك بالعينين خمرا

وكأن رجع حديثها
قطع الرياض كسين زهرا

وكأن تحت لسانها
هاروت ينفث فيه سحرا

فهو يرى فى نظر حبيبته خمرا مسكره وحديثها سحرا ، بينما الشاعر المصرى القديم قيس بن ذريح وعمر بن أبى ربيعة يرون الخمر والاسكار فى العناق والريق .

هذه الامثلة من الشعر العربى لم نوردها الا لنداول بها على أن كثيرا من المعانى التى وضعها الشـاعر المحب فى قصيدته ترددت من بعده بزمن لا يقل عن الفى سنة أو اكثر ومازال يتردد الى اليوم فى الشعر الحـديث بحيث لو أن شاعرا عصريا جعل من قصيدة شاعرنا المصرى قصيدة عربية لما احتاج الا الى أن يخرج منها الآلهة وتسمية الحبيبة اختا ، لكى تكون قصيدة عصرية ، كما أن مخاطبة الحبيبة بكلمـة « الأخت » أو « شقيقة الروح » لا تنبو عن الذوق العصرى اذا وضعت فى صيغة فنية مقبولة ٠

هناك حقيقة لابد من الاعتراف بها هى أن سكان شبه الجزيرة العربية كانوا على اتصال دائم بمصر فى كل وقت فلابد أن يكونوا قد تأثروا بمدنيتها وآدابها ، كما لابد وأن يكونوا قد تأثروا بالمدنيـة الكلدانيـة وآدابهـا وبالمدنيـة الأشورية وآدابها وآثر المدنية الفارسية والأدب الفارسى فى المدنية العربية والأدب العربى معروف ومشهور ، والمدنية اليونانية والأدب اليونانى كذلك له أثره فى الغرب ، أما المدنية المصرية والأدب المصرى فهو الذى أثر على الكل فهـو زارع المدنيات فى كل الحضـارات يشـهد بذلك كل ما بين أيديهم حتى لغتهم ٠

(٢٧)

أغانى الحب ·· عند قدماء المصريين

سأرقد فى غرفتى
فانى مريض مما أقاسيه
سيحضر الجيران لزيارتى
فاذا حضرت محبوبتى معهم
ستخجل المداوين
لأنها تعرف سر مرضى

غـرام الحب

آه عندما تأتى سيدتى
وبعين الحب أنظر اليها
فانى أضمها الى قلبى الخافق
وبين ذراعى أطوقها
لأنى لها ولأنها لى ··
آه ·· ان عناقها الحنون
يشبع غرامى
وعطور بلاد بونت
تعطرني بحلاوتها

ولما تطبق شفتيها على شفتى
اثمل ولا أحتاج الى خمر

أغنية الشباب

آه ! ليتنى كنت جاريتها التى تقوم بخدمتها
حتى اشاهد لون أعضائها كلها
آه ! ليتنى كنت خاتمها الذى تلبسه فى اصبعها ٠

أغنية غرامية

انه صوت البلبل الذى يتكلم
انه يقول : تشرق الأرض أينما حللت
آه ! لا أيها الطائر ، انك تسبب مرضى
لقد وجدت حبيبى فى فراشه ففرح قلبى
ويقول هو لى : سوف لا أبعد نفسى عنك
وتسكن يدى فى يدك
أسير هنا وهنـاك
وأنا معك فى كل مكان بهيج
ويجعلنى هو رئيسة السيدات
ولا يسبب لقلبى المرض

سيدتى الجميلة

غنت شجرة الجميز الى سيدة جميلة
وكانت كلماتها تتساقط كقطرات الشهد
فأصبح الثمر الذى أحمله بلون الياقوت الأحمر

وكل ما فى تعريشتى لأجلك .
ان أوراقى تزدان بلون خضرة البردى
وفرعى وجزعى لهما بريق عين الهر
تعال تحت ظلى الرطب
ليستريح حلم قلبك الذى به تحلمين
سترسل سيدتى الجميلة رسالة غرام
الى الشخص الذى سيكون سعيدا
قائلة : احضر الى حديقتى قليلا
واجلس معى فى ظلى
سأجنى لك الفاكهة لسرورك
وسأقطع الخبز وأصب النبيذ
سأقطف لك الأزهار العاطرة النضرة
فى يوم هذا العيد السعيد
ستكون سيدتى وحدها مع حبيبها
آه ! سأصمت عما أرى
ولا أتفوه بما سمعت

مـــع الأزهـــار

الورد الخجلان فيها
والمرء يخجل أمامك
أنا أختك الأولى
أنا لك كالحديقة
التى غرست فيها الأزهار
وكل الأعشاب ذات العطر الزكى
وبالجمال قناة الماء فيها

التى حفرتها يداك
لما يهب ريح الشمال رطبا
فى المكان الجميل الذى آسير فيه
ويدى فى يدك
قلبى يفيض سرورا
لأننا نسير معا
ان سماع صوتك يسكرنى
وانى أحيا لأنى أسمعه
وعندما أراك
يكون ذلك أشهى
من الطعام والشراب •

(٢٨)

النكتة فى دم المصريين القدماء

كن باسم الثغر ·· ما دمت حيا ·

هكذا قال الوزير المصرى القديم « بتاح » منذ آلاف السنين ، أيام كان ظرفاء مصر القديمة يجندون النكتة ضد كل سلب ونهب وقهر وعنف وقوة واغتصاب ·· والآن نسمع صدى النكتة المصرية بين أبهاء المعابد ودهاليز القبور شاهدا على براعة نجوم ومحترفى الفكاهة والنكتة المصرية القديمة ··

نحن نضحك كى نجعل الناس والمجتمع اكثر خصوبة وأقل عقما ، وتتصارع المبادىء صراعا باردا مرة وساخنا مرة أخرى ، بل ان حقائق الآمس تصبح خرافة اليوم فتنهال النكات من كل جانب ويصبح المرء مجبرا على الضحك من جراء هذه المفارقات ·

والنكتة سلاح مؤثر ولا سيما عندما تكون مبتكرة مرحة · ويرجع سبب انتشارها بسرعة الى

أن كل من يرويها ينسبها الى نفسه أو أنه يريد أن يضحك كل من يرويها له • وليست النكتة دلالة على الضعف بقدر ما تدل على أنها عملية تجميل وتصفية ضد السلبية والبيروقراطية ، ونستطيع أن نعرف ما يعانيه شعب ومدى ثقافته وتطلعاته من النكتة التى يبتكرها ويضحك لها •

وعلى ذلك فالنكتة صديقة كل شعب ، فالشعب الذى يشعر بالرخاء والأمان يطلق النكتة كى يروح بها عن نفسه ويزيد متعته فى التسلية والمرح ، والشعب فى الدول النامية مازال يجاهد فى سبيل لقمة العيش ، فنراه يستعمل سلاح النكتة بين يديه كمقص يقص به ما لا يروقه فى مجتمعه من عجز وتخلف وتقاليد بالية • وقد تهزنا نكتة بعنف لأنها تصطدم بتقاليدنا وعاداتنا التى نؤمن بها فتوقظ أحاسيسنا الى آفاق جديدة وتفتح شهيتنا لتقبل الحياة ، بل ربما كانت قادرة على غسل روحنا مما قد يلم بها من الملل • وفى كل العصور حاربت النكتة القهر والبطش والتراخى والترهل وهاجمت كل الذين يشوهون الطبيعة الانسانية بدعوى أنهم يقومون معوجاتها •

النكتة عند العرب

واذا طرقنا باب النكتة والفكاهة عند العرب رأينا أنهم تركوا لنا مصنفات عربية تفيض بالمتعة والرواء ، ومعظمها لا يخلو من نادرة أو نكتة •• لقد وضع الجاحظ أسس الفكاهة والنكتة فى كتابه « البيان والتبين » •

وعرف عن الرسول ﷺ أنه كان يمزح مزاحا رقيقا في بعض الأوقات ويتذوق النكتة والفكاهة ويبتسم لها ٠

فقد روى أن عجوزا من الأنصار رآته فقالت : يارسول الله ادع لى بالمغفرة فقال : « أما علمت أن الجنة لا يدخلها العجائز ! فصرخت المرأة ، فتبسم الرسول ﷺ وقال : أما قرأت فى القرآن الكريم قول الله عز وجل ٠٠ « انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا » » ٠ وجاءته امرأة أخرى فى حاجة لزوجها فقال لها : « ومن زوجك ؟ فقالت : فلان ، فقال لها : الذى فى عينيه بياض ٠ فقالت : لا فقال : بلى ، فانصرفت عجلى الى زوجها تتأمل عينيه فقال لها : ما شأنك ؟ فقالت : أخبرنى الرسول عليه الصلاة والسلام أن فى عينيك بياضا ، فقال : أما ترين بياض عينى أكثر من سوادهما » ورواية أخرى عن مهيب بن سنان المشهور بمزاحه ٠٠ قال له النبى ﷺ : « أتأكل تمرا وبك رمد » فقال :

انما أمضغ على الناحية الأخرى !

من بين الشخصيات الضاحكة عند العرب شخصية جحا ٠ لقد كان أشبه بمن يحمل سلة فكاهية يجمع فيها فكاهاته ونوادره ٠

أصبح جحا هذا يمثل مزاح الشعب العربى العام ووجد فيه متسع لكل نكتة أو نادرة مجهولة ينسبها الراوى اليه ، ونوادر جحا عديدة ، فقد حمل كل بلد عربى جحا شيئا من نوادره وضحكاته ٠

جحا هذا قابله رجل فى الطريق وبيده عصا فسلبه كل شىء وأخذ حماره وثيابه ورجع الى البلد على هذا الحال فقيل له ما هذا يا جحا ؟ فقص القصة من أولها لآخرها ، فقيل له : يا جحا كيف يسلب رجل بيده عصا راكبا بيده سيف وبندقية ·· ؟ فأجاب : احدى يدى كانت مشغولة بالسيف واليد الأخرى مشغولة بالبندقية ، فهل كنت أضربه بأسنانى وهو يسلبنى ، لكنى أحرقت قلبه كما آحرق قلبى ·· فقيل له : ماذا فعلت لتحرق قلبه ، فأجاب : انه بعد ان صار بعيدا عنى بمسافة شتمته شتما قبيحا وما تركت شيئا فى الدنيا الا قلته له ·

وفى ليلة تسلل اللصوص الى بيت جحا فسمعهم هو وزوجته فلزما الصمت ، وفى تلك اللحظة أحدث خروف جحا صوتا ·· فقال أحد اللصوص : اذا لم نجد شيئا نسرقه فلندخل هذا البيت ونقتل صاحبه ونذبح خروفه ونأكله ونأخذ زوجته · فخاف جحا وأخذ يسعل بشدة ويحدث جلبة وضوضاء فخاف اللصوص وفروا فقالت له زوجته ·· أظنك خفت فأخذت تسعل ، أما أنا فلم أخف فقال لها : طبعا أنت لا يهمك شىء ·· والمصيبة على أنا والخروف ··

المجتمع الفرعونى ·· والنكتة

واذا تأملنا روح الفكاهة والنكتة فى المجتمع المصرى نرى أن روح النكتة المصرية تعود الى عشرات القرون حينما ساد الدنيا أول حضارة ترجع جذورها الى أعماق ضاربة فى التاريخ ، فعندما زادت مصادر القوة والأمن فى مصر القديمة

انبثق المسرح والضحك من نفس المصرى وبدأت فكاهاته ونكته الجميلة الرقيقة التى تخلو من العنف والخشونة وهو بذلك يكون قد رفع مرحه الى حيث المعنويات الدقيقة وأدخل فكاهته آفاقا كان يجهلها الآخرون • ويرجع ذلك الى تحضر المجتمع المصرى وسمو طبيعته الانسانية واعتزازه بمدنيته فقضى على أساليب القسوة والعنف والانتقام وأحل محلها الضحكات والسخرية • وكان المصرى متفائلا دائما فلم يحترق بنار الشك • فمنذ بداية تاريخ الحضارة المصرية وهو يعتقد أن هناك عالما آخر يخلد فيه العمل الصالح ودرجة الايمان • بل ان المصرى منذ عهد بعيد وهو يسلم نفسه ويوكل كل أمره الى الله فيقول الحكيم المصرى القديم أمنموبى:

«انك لا تدرك الغد •• فضع نفسك بين يدى الاله» •

واعتنق المصرى المسيحية عندما لاقت فى نفسه بعض القبول فرأى فيها تأثرها بأغلب مجريات الأمور فى المعبد المصرى القديم وكهانته ، فأخذوا بعض الألقاب كما هى كلقب « شمس » وبعض الترانيم بل أكثر من ذلك ، فان لغة الكنائس تأثرت بنسبة كبيرة جدا بلغة المصريين وعاداتهم ، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل ان لغة الكنائس المعمدانية فى أمريكا معظمها ترانيم من بيت العلم والكهانة فى مصر القديمة •

ولم يقف المصرى عند هذا الحد وهو الذى ظل قرونا طويلة يفتش عن معانى البعث والخلود والثواب والعقاب يريد أن يرسو على شواطىء الوحدانية ، فجاءه ما كان يتمناه ويبحث عنه ــ الاسلام ــ فرأى فيه الايمان والصدق ورأى

فيه الملاذ الذى كان يبحث عنه منذ بدأ معرفة الحضارة بكل معانيها .. الوحدانية والايمان بالله الذى لا شريك له .

عاش المصرى حلو الحياة ومرها ومرت عليه أحلك الساعات فاجتازها وخرج منها وعلى شفتيه ابتسامة مفعمة بالاشراق والضياء .

وانقلبت الفكاهة والنكتة المصرية الى خشونة وعنف وتهكم ومرارة عندما هاجمت مصر جحافل الهكسوس .. قبائل الرعاة ، ولما جاء الفرس لم يرض الشعب المصرى عنهم مع ما أصاب الحضارة من وهن ، ولكن المصريين أحاطوا أنفسهم بدروع التقاليد ولم يخدع الشعب المصرى لتقريب البطالمة لبعض من أفراده ولم يسلموا من ألسنة المصريين وسخريتهم ونكاتهم . وظهر تهكم المصريين بالرومان سافرا فى قاعات المحاكم ، حتى ان الرومانيين أمروا بعدم مرافعة المصريين أمام القضاء الرومانى ، فلقد خشوا من ألسنتهم الساخرة التى تندد بالحكم الرومانى البغيض .

وشاهد المصرى حكام الأمويين والعباسيين والطولونيين والأخشيديين والفاطميين والأيوبيين والعثمانيين والفرنسيين والانجليز . ووضع المصرى على قلبه ما يحصنه ضد كل مغامر ومقامر ، فنحى بعض هؤلاء الحكام بعيدا عن نفسه وروحه ، وما دام الشعب قادرا على الضحك فانه يدرك أن الأمور سوف تتحسن . وأصبحت الفكاهة فى مصر ليس مجرد أسلوب سطحى خفيف ، وانما أصبحت سلاحا نافذا من أسلحة الأفئدة الواعية فكان يضحك رغم كل الأزمات .. والضحك

فى الازمات ظاهرة صحية لا يعرفها غير الشعب العريق العتيق ·· والمصرى كان يضحك ناقدا نفسه كى يعلو على نفسه ·

هيرودوت ·· والنكتة المصرية

يذكر هيرودوت أن المصريين كانوا يتمايلون من نكتة طريفة أو حكمة مأثورة ، وكان المصرى من قديم الزمان يبحث عن سعادته فى خضم الحياة ·· يقول الوزير المصرى القديم بتاح :

« كن باسم الثغر ·· ما دمت حيا » ·

وفى أغنية يفوح منها عشق الحياة والاعتراف بمباهجها يقول الكاهن المصرى « نفر حتب » :

احتفل بيوم المرح ·· يا أيها الوالد المقدس
وضع أحسن العطور عند أنفك
وضع الغناء والموسيقى أمامك
ولا تذكر الا ما يبهج قلبك ·

وفى أنشودة على مزار الملك «انتف» من ملوك الأسرة الحادية عشرة :

زد كثيرا من مسراتك ··
ولا تجعلن قلبك يبتئس ··
واتبع ما تشتهى ويطيب لك ··
حسبما يمليه عليك قلبك
الى أن يأتى يوم نعيك

حينما لا يسمع صاحب القلب الساكن نعيهم
أغتنم التمتع بيوم سعيد
ولا تجهدن نفسك فيه
فلم يأخذ انسان متاعه معه
ولم يعد انسان ثانية ممن رحلوا

هذه الترنيمة تذكرنا برباعيات عمر الخيام وما يفيض بها من حب الحياة ومباهجها ، بل ما أشبهها بتلك الأغنية التى يغنيها الشاعر « لالان جيتسبرج » :

قبل أن أبكى على قبرى
وأيامى التى تموت
دعينى أعانقك يا حبيبتى ٠

الفاشوش فى حكم قراقوش

وفى العهد الايوبى عرض قراقوش بعض العروض الفكاهية وبعض النكات ، أراد بها أن يحرج الدولة الأيوبية وأن يفضح ما تصطنعه من الأجانب وقد ذكر ٢٢ حكاية فى كتابه « الفاشوش فى حكم قراقوش » ٠

على أن الفكاهة والنكتة المصرية وصلت فى هذه العصور المغرقة فى الجهل والظلام الى الحضيض ، بحيث يذكر يوسف الشربينى فى كتابه ٠٠ « هز القحوف فى شرح قصيدة أبى شادوف»، كثيرا من النكات والفكاهات التى تصور الجهل الذى كان متفشيا بين الطبقات ٠ بعد ذلك يأتى أحد النكاتة المصريين بمقطوعة خفيفة الظل «هو » ابن سودون»:

البحر بحر والنخيل نخيل ..
والفيل فيل والزراف طويل
والأرض أرض والسماء خلافها ..
والطير فيما بينهما يجول
فى الشام أقوام اذا ما رأيتهم ..
ترى ظهر كل منهم وهو من ورا

ولم يفقد الشعب المصرى ابتسامته فى أحلك الظروف. ويذكر المقريزى أنه عندما انتشر الوباء وغاض النيل وغلت الأسعار سنة ٧٠٩ هـ كان العامة يقفون فى شوارع القاهرة وهم يسخرون من السلطان ونائبه : « سلطان ركين .. ونائبنا دقين .. يجينا الماء منين .. جيبوا لنا الأعرج يجى الماء ويتدحرج » .

وعندما اجتاح الوباء مصر سنة ٨٥٣ هـ كان يحصد من أهالى القاهرة فى اليوم عشرة آلاف شخص ، وعلى الرغم من هذا شوهد الناس فى شوارع القاهرة وهم يضحكون ويهزلون :

«حمدا لله الذى جعل فى المزاح سلوة الهم والارتواح».

وعندما زار ابن بطوطة مصر ، وصف أهلها بأنهم ذوو طرب وسرور ولهو ، وذكر الجبرتى أن المصريين كانوا يستعملون العبارات المرحة والأزجال الضاحكة فى الهجوم على الحكام الأتراك فكانوا يقولون :

« ايش تأخذ مع تفليسى يا برديسى » ..

ولما غضب الشعب المصرى على الوالى العثمانى تجمعوا وأخذوا يهتفون :

يا باشا يا باشا يا عين القملة ..
من قال لك تعمل دى العملة

يا باشا يا باشا يا عين الصيرة ..
من قال لك تعمل دى التدبيرة

ومن أبرز ظرفاء مصر فى هذا الوقت عبد الله النديم خطيب الثورة العرابية ومحمد البابلى والشاعر السودانى امام العبد وشاعر النيل حافظ ابراهيم وعبد العزيز البشرى الأديب الصحفى .

وانتهى العصر الذهبى للنكتة المصرية أيام أن كانت النكتة والفكاهة تجند ضدكل سلب ونهب وقهر وعنف وقسوة واغتصاب ، فنامت الأعين ولم تنم النكتة والفكاهة ، ولم تذهب أدراج الرياح ، ومات فنانو ومحترفو النكتة القدامى والأوائل .. ولم تمت روح النكتة المصرية ..

(٢٩)

الفرعـــــون

كان الفرعون منذ عصر بداية الأسرات ــ فى أواخر الألف الرابعة ق٠م ــ هو رأس الدولة قولا وعملا ، تركزت السلطات العليا كلها فى قصره الذى كان يسمى « برعو » و « برنيو » وبلغ من سلطانه الرسمى ما يمكن التعبير عنه بمثل تعبير لويس الرابع عشر ملك فرنسا فى عهد مجد الملكية المقدسة فيها : أنا الدولة والدولة أنا ، عـــلى أن القول بمثل هذه السلطة الرسمية الواسعة للحاكم المصرى الأعلى ليس من الضرورى أن يؤدى الى الاسراف فى الربط بين سلطاته وتسميته بالفرعون وبين ربوبية لازمة ادعاها لنفسه ، أو حكم جائر وسلطة غاشمة تصرف بمقتضاها ، فلفظ «فرعون» لم يكن فى بدايته أكثر من لقب اصطلاحى ادارى كتب فى صورته المصرية « برعو » بمعنى البيت العالى أو القصر العظيم ، أى قصر الحكم المركزى

الرئيسى فى الدولة والذى كان يتجه الجميع اليه فى حالات الرهبة والطاعة والاستشارة جميعا ، ثم امتد مدلول «برعو» فأصبح يطلق على القصر وساكنه ، كما أصبح عليه الحال خلال الحكم العثمانى بعد آلاف السنين من حيث التعبير بلفظ « الباب العالى » عن قصر السلطنة وبالتالى عن السلطان نفسه ، بل ولا يزال هذا حال لغة الصحافة حين تتحدث عن سياسة البيت الأبيض الأمريكى مثلا وتعنى به سياسة حكامه .

ومع الزمن اعتاد المصريون على أن يطلقوا لفظ « برعو » على كل ملك مصرى الى جانب اسمه الشخصى ، بما يشبه لقب قيصر عند الرومان والبيزنطيين ولقب النجاشى عند الأحباش ، وحرف العبرانيون لفظ « برعو » الى « فرعو » لاختلاط الباء بالفاء فى اللهجات القديمة ، ثم أضافت اللغة العربية اليه نونا أخيرة .

وهكذا لم يكن لفظ فرعون وجمعه فراعنة يدل على جنس معين من السكان كما يشيع خطأ ، واذا كان القرآن الكريم قد وصف الفرعون الذى عاصر موسى عليه السلام بأوصاف التجبر والطغيان وادعاء الربوبية فعلينا أن نصدق وأن نؤمن بكل ما وصف به ، ولكن ليس علينا بطبيعة الحال أن نعمم صفاته على كل الفراعنة لا سيما وأن القرآن الكريم لم يأب أن يصف عزيز مصر الذى عاصر يوسف عليه السلام بأوصاف أخرى طيبة ، فالحكام فى كل مجتمع وكل زمان وأيا كانت ألقابهم يتعاقب منهم العادل والظالم والصالح والطالح وهكذا كان شأن الحكام المصريين وغير المصريين .

وتلقب فرعون بعدة ألقاب وأسماء وصل بين نفسه عن طريقها وبين مقدسات قومه ، واستهدف منها أن يؤكد

سلطانه الديني والدنيوى فى حكم بلده ، واستقر من هـذه الأسماء والألقاب خلال عصر بداية الاسرات ثلاثة قد يختارها الفرعون فى صورة واحدة ، او يجعل كل اسم منها مختلفا عن الآخر وهى •• الاسم الحورى : وهو اسم كان يؤكد صلة الفرعون بالمعبود حور ويجعله وريثا له يحكم باسمه ويجسد شخصيته • والاسم النبتى : وهو اسم كان يؤكد صلة الفرعون بالربتين الحاميتين القديمتين ، « نخابة » حامية الصعيد التى كانوا يرمزون اليها بأنثى العقاب ، « وواجة » حامية الوجه البحرى التى كانوا يرمزون اليها بحية ناهضة ، ثم الاسم النسوبيتى : وهو اسم كان يؤكد صلة الفرعون بالشعارين المقدسين القديمين : « سو » شعار مملكة الصعيد القديمة ، و « بيت » شعار مملكة الدلتا القديمة ، ويؤكد بالتالى اعتباره الوارث الشرعى لكل من المملكتين القديمتين صاحبتى الشعارين •

وأدى تعدد أسماء الملوك وألقابهم الى صعوبة تعيين تتابعهم وصعوبة التثبت من شخصياتهم عن يقين • فقد تحتفظ قائمة من قوائم الملوك بأسمائهم الحورية وحدها وتذكرهم قائمة أخرى بأسمائهم النبتية وحدها ، بينما تهتم الآثار القائمة بذكر أسمائهم النيسوبيتية أكثر من غيرها • وتشتد هذه الصعوبة فى عصر بداية الأسرات بالذات ؛ نظرا لقدمه البعيد وقلة الآثار المتبقية منه •

العقيـــدة

على الرغم من النقوش والكتابات الدينية الكثيرة التى تركها لنا قدماء المصريين على جدران المعابد وعلى المدارج

البردية من أقدم العصور ، فاننا لا زلنا نجهل هـذا الدين ولا نعرف عنه الا النزر اليسير ، وقد تمكنا من معرفة الآلهة الكثيرة التى عبدوها أو رمزوا اليها بأسماء معينة والمناطق التى كانت تعبد فيها ، لكننا لم نستطع الوصـول الى السر الخفى لهذه الآلهة والصفات التى نسبها لها الكهنة والشعب ، وكل ما وصلنا من هذا القبيل جاءنا عن الأساطير التى كتبت عنها فى العصور المتأخرة ، وذلك لأن قدماء المصريين أنفسهم لم يبسطوا لنا شيئا واضحا تماما عن دينهم . ففى عهـــد ما قبل الأسرات لا نعرف الا بقايا عبادة الحيوان ؛ مما يجعلنا نعتقد أنه مرت على مصر فى فجر التاريخ عبادة الرموز فى أشكال مختلفة ترجع بنا الى الوثنية القائمة الآن بأواســط أفريقيا ، ثم عبدوا قرص الشمس لما تبينوه فيها من قـوة وعظمة تساعد على نمو الحيوان والنبات ، فعبدوها بأشكال مختلفة وتخيلوا أنها أعظم الآلهة وأنهـا الخالق الواحد ، وتصوروا أنها تعبر السماء فى مركب من الشرق الى الغرب وأنها تولد فى الصباح وتهرم فى المساء ، وكان مركز عبادتها مدينة « أون » ـ عين شمس ـ « وبهدت » ـ أدفو .

ولما ابتدأ عهد حكم الأسرات فى مصر سميت العقيـدة الدينية ، واعتقد الكهنة أن هناك قوة خفيـة هائلة مقـرها السماء هى التى كونت هذا العالم ثم خلقت الآلهة والبشر وأنعمت عليهم بالنعيم . ووجد الكهنة أن هذه العقيدة فوق ادراك الشعب فذللوا هذه الصعوبة بتصوير الآلهة متجسدة على هيئة الحيوانات والطيور المختلفة ؛ حتى يستطيع تفهمها وتقديسها ثم تدرجوا الى تشخيص هـذه الآلهة بتماثيل من الأحجار لها جسم انسان ورأس حيوان أو طائر الى أن تطور

الحال فأظهروها فى شكل آدمي يرتدى ملابس ملوكهم وأمرائهم وتحمل التاج فوق رأسها وتقبض فى أيديها على الرموز والشارات المقدسة المختلفة • وكانت لهم عقائد غريبة فى خلق العالم وتكوينه ، ومثلوها فى أن الأرض كانت عبارة عن جسم بيضى عائم على سطح مياه الاله « نون » المحيط ، وتخيلوا أن نهر النيل يخترقها ، وكانت تحيط بالماء جبال شاهقة وترتكز السماء على هذه الجبال وتتدلى منها النجوم والسيارات فتنير لهم • وتخيلوا كذلك أن السماء مثل الأرض يخترقها نهر كبير وبها قنوات تعبرها النجوم فى قوارب وأنها محمولة على جبال خيالية بمثابة الأعمدة • واعتقدوا أن السماء بقرة تحمل بين قرنيها قرص الشمس ليضىء العالم ، وتصوروا أن اله الشمس يسبح فى مركبة على ظهر هذه البقرة ويقف تحتها الاله «شو» ـ الهواء ـ ليرفعها عن الأرض • وتخيلوا كذلك السماء سيدة منحنية بأيديها وأرجلها على الأرض يرفعها « شو » اله الهواء وعلى ظهرها يسبح «رع» اله الشمس فى مركبه ، وتصوروا أن تحت الأرض التى يسكنونها أرضا أخرى تشابه أرضهم لها سماء وأنهار ويسكنها الموتى وأسموها « دوات » وغير ذلك •

وكل ما وصلنا عن الديانة المصرية مأخوذ من ثلاثة مصادر :

النقوش الدينية المكتوبة على الجدران الداخلية لأهرام ملوك الأسرتين الخامسة والسادسة وهى ما نسميها « متون الأهرام » وقد ترجمها « زيته » العالم الأثرى الألمانى فيما

يقرب من ألف صفحة ٠٠ والنقوش المكتوبة بالهيراطيقية على التوابيت الخشبية الكبيرة من عهـد الدولة الوسـطى ٠ ٠ والكتابات التى على مدارج البردى الجنازية التى وجـدت فى مقابر الامبراطورية ، وهى تحتوى على فصول بها تعاويذ سحرية هى ما نسميها « كتاب الموتى » ٠

هذا خلاف ما تركه لنا كتاب الاغريق والرومان من الأساطير والخرافات التى تشرح الديانة المصرية القديمة فى العصور المتأخرة ، وهذه الديانة المعقدة التى أظهرتها لنـا هذه الطقوس الأخيرة لم تكن معروفة لدى سكان مصر قبـل التاريخ ٠

ولا نزاع فى آنه كان لكل اقليم معبـوده الخـاص ، اعتقدوا فى أنه يملك الخير والشر ، وكانوا يقـدمون له القرابين وكان سيد الجهة :

بتاح ٠٠ كان يعبد فى منف
خنوم ٠٠ كان يعبد فى أسوان « الشلال »
ست ٠٠ كان يعبد فى كوم أمبو
مين ٠٠ كان يعبد فى قفط
شبك ٠٠ كان يعبد فى الفيوم
حتحور ٠٠ كانت تعبد فى دندرة
نيت ٠٠ كانت تعبد فى صا الحجر
سخمت ٠٠ كانت تعبد فى منف
باستت ٠٠ كانت تعبد فى الزقازيق
تحوتى ٠٠ كان يعبد فى هرموبوليس
أوب واوات ٠٠ كان يعبد فى أسيوط ٠

وقد اتخذوا اعمدة خشبية رمزا لأوزريس اله الموتى وكانت الآلهة « نوت » السماء تظهر لهم في شجرة الجميز والاله « نفرتوم » يظهر فى شكل زهرة اللوتس ، واعتقدوا أن بعض الآلهة تتجسد على الأرض فى شكل حيوان كالعجل « أبيس » الذى كان مقر عبادته فى مدينة منف .

وبجانب هذه الآلهة المحلية التى كان نفوذها فى مناطقها التى تعبد فيها فقط ، تخيلوا أن هناك بعض آلهة عالمية ، مثل : «جب» اله الأرض و « نوت » السماء و « شو » الهواء و « تفنوت » الندى و « رع » الشمس و « أوزيريس » الخضرة والخصوبة و « حابى » النيل و « نون » المحيط .

واعتقدوا أن لكل اله قوة سحرية عظيمة يستطيع بها مساعدتهم ونسبوا لكل اله قوة خاصة فتصوروا أن :

مونت .. اله يساعد فى الحروب ويمدهم بالانتصارات

مين .. اله التناسل والخصوبة

بتاح .. اله الفن والفنانين

تحوتى .. كاتب الآلهة ومقسم فصول السنة ومعلم العلوم

حور .. يطير فى السماء وينير لهم بعينيه ممثلا الشمس والقمر

سخمت .. آلهة الرعب والفزع تلقيه فى قلوب الأعداء

حتحور ·· السماء

سيشات ·· الهة الحكمة والعقل

وجعلوا لكل اله أسرة مكونة من الزوج ومن آلهــة هى الزوجة ومن ابن ، فتشأ من ذلك الثالوث ، فمثلا كان ثالوث منف مكونا من « بتاح » زوجته «سخمت» وابنه «نفرتوم» ، وفى طيبة « آمون » وزوجتــه « موت » وابنــه « خنســو » و « أوزوريس » وزوجته «ايزيس» وابنهما «حورس» ، وفى منطقة الشلال « خنــوم » وكان له زوجتــان « ســـاتت » و « عنوقت » ·

ولما كان « رع » اله الشمس هو الاله الرسمى للدولة ، فقد جرى أهالى البلاد الأخرى التى يعتبر الهها أقل أهميــة من « رع » الشمس ، عــلى أن يدمجوا اسم الههم باسم الاله الأقوى مثل « آمون » اله الأقصر فقد أدمجوه على هذا النحو « آمون رع » ·

(٣٠)

عـودة قمبيز !

في أواخر القرن العشرين تم كشـف أثرى وتاريخى مهـم عن بقايا جيش قمبيز الذى هاجم مصر فى الفترة « ٥٢٥ ـ ٤١٥ق٠م » حيث عثرت عليه البعثة العلمية المصرية تحت رمال الصحراء الغربية ، بعد أن عثروا عـلى الآلاف من الأزياء الفارسية والمعدات الحربية والهياكل القديمة على حافة بحر الرمال الأعظم ، حيث دفن جيش الفرس بأكمله ٠

وقد استطاعت البعثة المصرية أن تكشف للعالم ولأول مـــرة ـ عن بقـــايا جيش قمبيز الملك الفارسى الذى غزا مصر وأغرقتـه العـــواصف الرملية تحت رمال الصحراء الغربية ، وهـــو فى طريقه الى واحة سيوة ـ مقر الاله آمون ـ وضاع جيشه كله فى بحر الرمال عند جبل «أبو بلاحة»٠ وقبل الحديث فى أمر هذا الجيش أشير الى التمثال

المحفوظ حاليا فى متحف الفاتيكان وهــو لشــخص يدعى « وجا ــ حر ــ سنت » وقد أشــار عــلى تمثاله : انه كان مرعى الجانب فى بلاط قمبيز وأنه كان أميرا على الأسطول المصرى وأنه استطاع أن يجعل قمبيز ذا عواطف طيبة نحــو مصر وآلهتها وبخاصة مدينة صا الحجر التى قامت فيهــا ثورة ضد الأجانب ، ويرى هيرودوت ــ بل ويعزو إليه ــ أنه قتل العجل أبيس ، واساءة معاملة المصريين وتخريب المعابد كان صحيحا فى البداية • فسواء أكان هــذا أم ذاك ، فانه لا يغيب عن أذهاننا أن العــداء كان مســتحكما بين الفرس واليونان ولسنا نتوقع من يونانى أن يكيل المدح لعــدوه أو يغمطن العين عن مساوئه •

أما عن الجيشين اللذين خرجــا من طيبة الى اثيوبيا والى الصحراء الغربيــة فان قمبيز نفســه كان عــلى رأس أولهما • وقد بالغ هيرودوت فى رواية قصــة هــذا الجيش وما لقيــه من صعاب ، ثم جاء استرابون فزاد فى الرواية وتفنن فيها •

وعــلى أية حال ، فان هــذا الجيش قد ذهب حقيقة الى الجنوب ووصل الى مروى ولكنه أصيب بهزيمة كبيرة عــلى أيدى ملوك نباتا الذين التقوا بهذا الجيش بعد أن خارت قواه وأصابه الجوع والخوف والتعب • أما الجيش الآخــر فكان نصيبه أسوأ من نصيب الأول ، اذ أنه خرج من طيبة فوصل الى الواحات الخارجة ــ بعد سبعة أيام ــ وهنــاك مكث بعض الوقت وأخــذ معــه ما يلزمه من مؤونة وأدلاء وذهب فى طريقه الى واحة سيوة •

ولكن هذا الجيش بأكمله هلك فى الصحراء ولم يعد شخص واحد منه الى الواحات الخارجة أو يصل جندى واحد الى سيوة ، وظل هـذا الجيش مطمورا تحت رمال الصحراء الغربية الى أن حان الوقت وكشفت عنـه البعثـة العلميـة المصرية . ولعل السبب الذى دعا الى غزو اثيوبيا كان دون شك الطمع فى ثروتها وذهبها وحب الغزو والفتح .

أما سبب ارسـال جيش الى واحة سـيوة فكان له دافع آخر .. كان العالم القديم ـ ابتداء من القرن السابع قبل الميلاد ـ يؤمن ايمانا كبيرا بنبوءات الوحى التى تأتى من بعض المعابد ، واشتهرت فى بلاد اليونان وعلى ساحل البحر الأبيض المتوسط بعض مراكز للنبوءات كان يؤمن بها الناس ايمانا أعمى ، واشتهرت من بينها شهرة كبرى « نبوءة آمـون فى سيوة » والتى كان يحج اليهـا حـكام وقواد بلاد اليـونان يسألونها عن المستقبل فتحققت نبوءتها وسئل كهنـة آمون سيوه عن قمبيز وغزو الفرس لمصر فجاء الجواب بأن الفرس سيرحلون وأن قمبيز سيلاقى سوء المصـير فى القـريب العاجل. ومن ثم كان التنافس شديدا بين الفرس واليونان ؛ ولهذا كان رد نبوءة آمون مشددا للعزائم وداعيا الى اتحاد الاغريق فأراد قمبيز أن يثبت تفاهة هؤلاء الكهنة فأرسـل عليهم الجيش لهدم المعبد وقتل كهنته .

ويؤكد هيرودوت الذى كتب تاريخه وزار مصر بعـد خمسة وسبعين عاما من هـذه الحوادث أن كهنـة آمون فى سيوه سئلوا عن مصير هـذا الجيش ، فقالوا بأنه حدث فى اليوم الرابع بعد أن تركوا واحة الخارجة عندما استراحوا

فى منتصف النهار ليتناولوا طعامهم ، أن أرسل عليهم آمون غضبه وانتقامه فقامت زوبعة رملية شديدة ردمتهم تحتها ، وسواء أصح ما ذكره هيرودوت بأن قمبيز أصابه الجنون عندما رأى فشله واقترف فظائع كثيرة أم أنه لم يجن ، فان ما نعرفه أنه لم يبق فى مصر كثيرا بعد فشله فى السودان ومات فى سوريا وهو فى طريقه الى بلاده .

أما عن وجود واحة « زرزورة » فانها لم تذكر لا فى النقوش ولا فى النصوص المصرية القديمة . فمثلا الواحات الخارجة ذكرت فى الوثائق المصرية ، حيث كانت تسمى « هبت » ، اى المحراث فى العصر الفرعونى وهيبس فى اليونانية كما كانت تسمى مدينة الميمون بالواحات الخارجة فى العصور الاسلامية . وأما الواحات البحرية فكان قدماء المصريين يطلقون عليها اسم « واحة زسزس » وان اسم هذه الواحة ورد فى نصوص الدولة الوسطى « القرن العشرين ق.م» ، وتوجد بها مقبرة من الدولة الحديثة لحاكم هذه الواحة وكان يسمى « أمنحوتب » الذى كان من أهلها وحكمها فى الفترة بين أواخر الأسرة الثامنة عشرة وأوائل الأسرة التاسعة عشرة . «الواحات الداخلة» وكانت تسمى «كتحت» فى أيام الفراعنة ويرتبط تاريخ الواحات الداخلة فى العصور القديمة بالواحات الخارجة ؛ لأنهما تكونان وحدة ادارية واحدة .

وتكرر ذكر الداخلة فى النصوص الفرعونية لجودة نبيذها ووفرة كروم الاله آمون فى هذه الواحة وفى الواحات الخارجة والبحرية وواحة الفرافرة ، وقد ورد ذكرها فى

الوثائق المصرية القديمة منذ الأسرة العاشرة «القرن الحادى والعشرين قبل الميلاد » وكانت تسمى « تا ــ أحت » أى أرض البقرة · وواحة « سيوه » وتسمى واحة آمون ، وهى أقرب الواحات الخمس الى حدود ليبيا وأقربها الى شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، وهى التى كانت تربطها عدة طرق صحراوية بالواحات البحرية وجغبوب والسلوم والحمام وكرداسة والفيوم ، لكن أهم طريق بينها وبين غيرها من البلاد كان مازال حتى الآن الدرب الذى بينها وبين مدينة مرسى مطروح وطوله ٣٠٢ كيلو متر وهو الطريق الذى كان يسلكه من يريد زيارة هذه الواحة فى العصور القديمة من بلاد اليونان أو غيرها · وهو الطريق الذى سلكه الاسكندر الأكبر عندما ذهب اليها فى زيارته الشهيرة عام ٣٣٢ ق·م ويرجع تاريخ سيوة القديم الى عصور أقدم بكثير من زيارة الاسكندر ، اذ كانت سيوة مركزا لأحد مراكز النبوءات الخاصة بالاله آمون الاله الرئيس لطيبة ومصر كلها فى الدولة الحديثة ، وقد احتلت هذه النبوءة مكانة كبيرة فى بلاد اليونان منذ القرن السابع ق·م وأقدم أثر قائم فى الواحة هو معبد الاله آمون المشيد بالحجر فوق صخرة «اغورمى» ، اذ انه من أيام أمازيس من ملوك الأسرة السادسة والعشرين ، وهو المعبد الذى زاره الاسكندر ووقف فى هيكله يستمع الى رد الإله آمون على أسئلته · تلك الزيارة التى تركت أثرا كبيرا فى نفس الاسكندر حتى يوم فاته ·

(٣١)

أول أسطورة فرعونية درامية

لقيت الأســـطورة الفرعونيـــة أوزوريس وايزيس ترحيبا خاصا في جميع الأوساط الأثرية والفنية والأدبية العالمية ، والمعروف أن الأسطورة ذات الطـــابع الـــرمزى كانت من أوائل الآداب المترابطة ذات الفــكرة والحبكة ، لا سيما منـــذ احتضنتها رجال الدين لاتصـــالها بعقـــائدهم ، واحتضـــنها رجال الحـــكم لاتصـــالها بذكـــريات أجدادهم . ولقد ظلت الأساطير محببة إلى نفوس المصريين فيكافة عصورهم يروون بعضها ويمثلون بعضها ، ويحتفظ الكهنة بأسرار بعضها الآخـــر ، *وكان أهم ما تضمنته تسجيلاتهم منها أســـطورة أوزير وايسه التى شهرها الاغريق باسم أسطورة* أوزوريس وايزيس ، وأسطورة حورس وست ، وأسطورة هلاك البشرية أو انقاذها وأســـطورة

حوريات الماء ٠٠ وأسطورة الحق والبهتان ٠ وكانت أقدمها وأوفرها ذيوعا وشهرة أسطورة أوزوريس وايزيس ، وهى واحدة من أساطير نسب روايتها أعمال أتباع الآلهة الى شخوص أربابهم حينا وارتفعوا فيها بهؤلاء الأتباع الى مستوى الأرباب أنفسهم حينا آخر ، ثم طبقوا فيها تصرفات البشر ومشاعرهم على حياة المعبودات وتخيلوهم يحكمون ويتعاقبون ويتزاوجون وينسلون ويتعاونون ويتخاصمون ويتبادلون الحب ٠٠ والكره ٠٠ والوفاء ٠٠ والغدر ٠٠ وسجلت هذه الأسطورة أول ما سجلت فى سياق متون الأهرام عن الدولة القديمة وهى نصوص دينية وذلك ما يعنى أنها اصطبغت منذ عصورها الأولى بصفة القداسة ٠ وأنها كانت تردد فى أعياد المعابد ، أو كما اتصلت تفاصيلها بتاريخ الملكية المقدسة وذكرياتها، وذلك مما يدفع الى النطق بأنها كانت تردد كذلك فى أروقة القصور وربما تمثل أيضا ، ثم أخذت الصيغة البشرية للأسطورة تتضح بعد ذلك شيئا فشيئا ، واستمر كل جيل يضيف اليها من خياله ما يوائم تصورات عصره وما يزيد من تأثيرها فى أذهان محبيها ولكن دون التضحية بجوهر الأسطورة وقداستها ٠ ويستنتج مما أتت به صورها المختلفة أن شخوصها الرئيسية أربعة ٠٠ زوج وزوجة وولد وعم ٠٠ وتضم من نماذج الطباع والعواطف أربعة ٠٠ صلاح ووفاء وحسد وانتقام ، وبغير جهد كبير يمكن ارجاع مصادرها الى أربعة أيضا ٠٠ ذكريات قومية وتخريجات دينية وعبرة خلقية ثم صياغة فنية ٠

كان أوزوريس وايزيس أخوين وزوجين فى نفس الوقت من مجموعة رباعية يكملها ست وأخته « نبت حت »

وكان الأربعة رعيلا أول ،جمع بين الألوهية والبشرية ، في أعقاب انفصال السماء عن الأرض · وبنقلة سريعة ، اعتبرت الأسطورة أوزوريس ملكا على البشر يحكم بينهم ويهديهم الى ما يصلح أمرهم . الى أن نقم أخوه ست عليه منزلته فكاد له وقتله ثم رماه في اليم واغتصب عرشه · وأضفى الرواة صفة الواقعية على هذا القتل فروى بعضهم أنه قتله عند مياه ندية في الصعيد ، وروى آخرون أنه فتك به في أرض الغزال وهي اما في الصعيد أو في شرق الدلتا ، وحكى سواهم انه آغرقه قرب منف ، وقال آخرون بل قرب عين شمس ، وظلت ايزيس وفية لزوجها الشهيد فداومت البحث عن جسده حتى عثرت عليه واستعانت بسحرها حتى ردت روحه اليه لفترة من الوقت وحطت عليه كما يحط الطائر فحملت منه حملا ربانيا ووضعت منه طفلها حور ـ أو حورس كما شهره الاغريق ـ وربت طفلها خفية في أحراش الدلتا وعاونتها كائنات عدة على كفالته فأرضعته بقرة ورعته معها سبع عقارب · ثم عادت ايزيس فشهرت بست الغاضب القاتل بين الأرباب والناس وكادت له عدة مرات وعندما شب ولدها كما يشب أبناء الأساطير الذين لا يخضعون في نموهم لحكم المنطق والزمن ·· تعاونت هي وأختها نيت حت على تجديد المناحة على أوزوريس الشهيد واستثارة الحلفاء من أجل ثأره ·· ثم خرجت بأحلافها بزعامتهم لولدها حورس ودعوه « المنتقم لأبيه » ، وأقام حورس الدعوى باسم أبيه فأدان القضاة ست بالاعتداء على أخيه ، ولكن ست آنكر آنه بدأ بالشر وادعى أن أوزوريس هو الذى تحداه وتنزل أرضه ، فأبى القضاة الأخذ بدعواه وبرأوا أوزوريس من تهمة البدء بالعدوان واعتبروه مع

ضره .. ولما لم يكن له فى الدنيا غاية بعد أن برئت ساحته وأدين خصمه ، انتقل الى أسفل الأرض ومارس سلطانه مع ملكوت الموتى وعاود نشاطه فاستمر يدفع الماء من تحت فيظهر على هيئة النبت الأخضر فى مواسم النبات ، ويظهر على هيئة الماء الدافق فى مواسم الفيضان .

وهكذا انتهت الأسطورة بتغليب الحق على الباطل والايمان بعدالة الأرباب وتبرير أسباب تقديس أوزوريس تحت الأرض وتفسير القدرة الربانية فى دفع الفيضان وتجدد الخصب وانماء الحب والزرع .. كانت مشاهدها مما يمكن تمثيله بسهولة فى المعابد والقصور وفى مواسم معينة ترمز الى بعث أوزوريس وغلبة الخصب على الجفاف وتغلب الخير على الشر .

ويستفاد من نصوص ايخرنفرة ، أحد كبار موظفى الخزانة فى عصر الأسرة الثانية عشرة ، أن الأسطورة كانت تمثل فى العيد الأكبر للاله أوزوريس بمعبد أبيدوس وان تمثيلها كان يستغرق عدة أيام تصل الى ثمانية ويمثل فصل منها كل يوم ، ويشارك فيها جمهور من حجاج الصعيد ، وفيما يغلب على الظن أن أحداثها كلها كانت رموزا لأحداث قومية بعيدة سابقة . وتلخصت هذه الأحداث فى قيام وحدة أقاليم الدلتا تحت زعامة « جدو » مدينة أوزوريس ونجاح أهلها فى بسط نفوذهم على مصر كلها تحت راية ربهم فى فترة من فجر التاريخ ، الأمر الذى أسخط أتباع الاله ست الأشداء فى الصعيد وجعلهم يناوئون الوحدة المفروضة عليهم ويقضون عليها عنوة .. وهو ما عبرت الأسطورة

عنه بفتك ست بأخيه أوزوريس وتنحيته عن ملكه ، وبعد فترة ما عاود أتباع أوزوريس وايزيس القدامى ، تجميع صفوف حلفائهم وابتغوا القصاص لفقيدهم أو لفقيدهم نفوذهم بمعنى أصح ، وجعلوا زعامتهم لمدينة « يه » احدى مراكز عبادة الاله حورس واعتبروها وارثة للملك القديم ، وجاهدوا تحت راية ربها وطالت الحروب بينهم وبين أتباع ست دون نتيجة حاسمة ، الأمر الذى ألجأهم الى التمسك بالدين والقول بأن الأرباب أنفسهم قد جعلوا الحق فى جانبهم وبرأوا راعيهم أوزوريس من كل ما أراد أتباع ست أن يلصقوه به؛ وأنه اذا كان زمان زعامتهم قد ولى فلهم ولمعبدهم براءة الذمة وحسن العقبى •• ولا يخلو من دلالة أنه على الرغم من ضراوة النزاع بين أوزوريس وست أو بمعنى آخر بين الوجه البحرى ورب الصعيد ، فقد اعتبرتهما الأسطورة أخوين ، اعترافا فيما بعد بصلة القربى بين الوجهين وانتسابهما الى وطن واحد •

هكذا كان الاتجاه فى الأسطورة بأن رحمة الرب غلبت نقمته ، وأن ما حدث من شر فى تمرد خلقه عليه كان سببا فى عمران بقية الكون • وقد يتأتى بعض الخير من الشر أحيانا وذلك فضلا عما صورته •• ورمزت به الى أن للاناث بطشة دونها بطشات الرجال !

(٣٢)

بعـــد ٢٢ قـــرنا ..

تعـــود الحيـــاة الى لؤلؤة النيل .. « انس الوجـــود »

لا شك أن حملة انقاذ معابد فيلة تعد سابقة غير عادية فى مجال التعاون الدولى ، فقد استفادت اليونسكو من التجربة لتنظيم غيرها من الحمـــلات العالمية لحماية أى آثار يهـــددها الخطـــر فى آية منطقة فى العالم ..

فقد وفدت أربعـــون بعثـــة أثرية من خمس قارات لنقل اثنتين وعشرين مجموعة أثرية الى مـــواقع جـــديدة ، كذلك جمعت أكثر من ثلاثين مليونا من الدولارات من خلال اليونسكو لتمويل أعمال الانقاذ، التى انتهت مع أوائل عام ١٩٨٠ .
وتدل قائمة المعابد التى تم انقاذها عـــلى جانبى النهر فى مصر على مدى ضخامة ونجاح العمل .. : دابود .. طافة .. كلابشة .. وادى السبوع ..

دندور ٠٠ عمدة ٠٠ الليسية ٠٠ قرطاس ٠٠ بيت الوالى٠ الدكة ٠٠ المحرقة ٠٠ الدر ٠٠ بوهن ، كذلك أنقذت مقبرة « بنوت » وبعض لوحات معبد « جرف حسين » و « أبو عودة » ٠٠ «وهياكل ابريم» وكلل النجاح بانقاذ معبدى «أبو سمبل» اللذين تم نقلهما بعد نشرهما الى كتل بين عشرين وثلاثين طنا ٠ وأعيد بناؤهما على ارتفاع ستين مترا من موقعهما الأصلى، وقد روعى فى اعادة البناء الاحتفاظ بوضع المعبدين واتجاههما نحو الشمس المشرقة التى ترسل أشعتها كل يوم الى أعماق المعبدين كما كانت منذ آلاف السنين ٠

أيضا تم بنجاح عملية فك ونقل وانقاذ واعادة اقامة معابد ومقصورات جزيرة فيلة الى الجزيرة المجاورة لهـا ، « ايجيليكا » ٠ ومن المعروف أن عدد الكتل الحجرية لمعـابد فيلة التى نقلت الى جزيرة ايجيليكا نحو ٤٠ ألف كتلة من الحجر الرملى ٠ وجزيرة ايجيليكا تشغل مساحة حوالى عشرة أفدنة ٠

وقد لعبت ألمانيا دورا كبيرا فى انقاذ معـابد النـوبة وخاصة فى اعادة بناء معبد كلابشة ، والمندرج ضمن برامج منظمة اليونسكو آنذاك ، التى تمت بنقل معبد كلابشة أولى عمليات الانقاذ الكبرى التابعة لتلك البرامج ، حيث تكاتف لفيف من علمـاء الآثار الفنيين الألمـان يؤازرهم مئات من الخبراء المصريين على تفكيك أجزاء هـذا المعبد ثم نقلهـا واعادة نصبها فى مكان آخر ٠

وقد بدأت هذه الحملة بعد أن وجهت مصر عن طريق منظمة اليونسكو فى ربيع عام ١٩٦٠ نداءها الى العـالم لتقديم المعونات المالية والفعلية لانقاذ معابد النوبة من

الخطر الذى يتهددها بعد بناء السد العالى فى أسوان وهى المعابد الثمانية عشرة التى يرجع تاريخها الى الجيلين السابقين لمولد المسيح وترجع الى عهدى الفراعنة والبطالمة ، والتى أعيد اقامتها فى مجموعات أربع ضخمة تمتد على الحوض الجديد لنهر النيل مكونة متحفا هائلا طوله خمسمائة كيلو متر وبدايته مدينة أسوان ، أما نهايته فتقع عند معبدى « أبو سنبل » الحجريين ٠

ويرجع تاريخ معبد كلابشة الى عهد البطالمة المتأخر أو على وجه التحديد عهد القيصر الرومانى أوغسطين ، ويبلغ طول هذا المعبد مائة متر وعرضه ٣٠ مترا وعلى ذلك فهو يعد أضخم الآثار النوبية حجما ومساحة ٠

ومنذ بناء سد أسوان القديم ، ومياه النيل تغمر كل عام جزءا من معابد النوبة وقتئذ بما فيها معابد كلابشة ٠ وقد نجم عن هذا التقلب السنوى بين مياه النيل وشمس النوبة المحرقة أن ضاعت معالم ألوان معبد كلابشة وكان قد شيد هذا المعبد قديما فى نفس المكان الذى أنشأ فيه امنحتب الثانى معبد « مندوليس » وذلك حوالى عام ١٤٠٠ ق٠م وقد ولدت الالهة ايزيس طفلها حورس فى دار خاصة بهذه المناسبة ملحقة بمعبد كلابشة تبعا للتقاليد المنتشرة فى ذلك العصر ٠

أما معبد « الالهة ايزيس » الذى لا يبعد عن معبد كلابشة سوى بضعة كيلومترات أو بصورة أكثر تحديدا على جزيرة فيلة ، فقد لاقى من التمجيد والاكبار القسط العظيم أثناء المملكة الرومانية ، ويرى على الجدار

الخلفى لهذا المعبد بعض مشاهد الالهة ايزيس وهى فى معية القيصر أوغسطين والالهة « مندوليس » ٠

ويعتبر علماء الآثار جدار هذا المعبد واحدا من أثمن جدران معابد النوبة القديمة ؛ نظرا لأهمية نقوشه البارزة ٠

ولعلك عزيزى القارىء تتساءل : كيف تمت عملية نقل تلك المعابد ؟ فقد بدىء أول الأمر باجراء القياسات اللازمة لمعبد كلابشة ثم تلا ذلك تخطيط رسم هندسى له يمثل كافة أبعاده ، كما صور من كافة جوانبه وزواياه ورقمت أجزاؤه وأحجامه بدقة كبيرة استعدادا لاعادة نصبه وبنائه على نفس النمط القديم ٠ وقد تحولت الرسومات المنقوشة على جدار هذا المعبد مثلا الى معادلات رياضية بالنسبة للمهندسين المشرفين على المشروع ٠ والجدير بالذكر أنه قد ترتب على تفكيك معبد كلابشة القديم نقل ١٣ ألف كتلة حجرية يبلغ وزن كل منها حوالى الطن ٠ أما عملية النقل فقد كانت تستغرق ورديتين احداهما نهارية ومقدارها عشر ساعات والأخرى ليلية وتستغرق نفس العدد من الساعات وهكذا ظل العمل على قدم وساق حتى تم نقل المعبد الى كلابشة الجديدة ، فى نهاية أكتوبر من عام ١٩٧٩ وقد تكررت عملية تفريغ السفن النهرية من كتل أحجار المعبد عدة مئات المرات على مبعدة ٤٠ كيلومترا من المقر القديم للمعبد ، حيث كانت تحفظ هذه الأحجار فى صناديق خاصة يشرف عليها علماء الآثار ٠ ثم كانت هذه الصناديق تحفظ بدورها فى رمال الصحراء وترمم اذا ما دعت الحاجة الى ذلك ٠

والآن اذا ما قام المرء برحلة عبر نهر النيل وصعد عكس اتجاه تيار النهر، عابرا بالانشاءات الضخمة فى منطقة السد

العالى ، فانه لن يتقدم لبضعة كيلو مترات أخرى حتى يطالعه على الضفة الغربية لنهر النيل مدخل معبد كلابشة الجديد وقد ارتفع بلونه الأصفر الباهت تخيط به زرقة السماء وصفرة رمال الصحراء الملتهبة ، بحيث أصبح مركزا فى بداية الأمر للمجموعة الأولى من المعابد التى أقيمت فيما بعد على البحيرة الخاصة بالسد العالى فى مجاميع أربع ٠

وكما نرى ، فان معابد « فيلة » اكتسبت عبر القرون مكانة خاصة بالنسبة لعبادة ايزيس وانتشارها فى بلاد البحر المتوسط وتوافد الحجاج عليها والذين يؤمنون بموت أوزوريس وبعثه ٠

وقد أقام «نختانبو» ــ أحد فراعنة مصر الأواخر ــ معبدا فوق جزيرة فيلة وذلك فى النصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد ، وجاء من بعده البطالمة الذين حكموا مصر زهاء ثلاثة قرون فاعتنقوا عبادة ايزيس ومن أجلها أضافوا معابدهم فوق الجزيرة ٠ وكان الحماس لعبادة ايزيس فى جزيرة فيلة من القوة بحيث استمرت عبادتها لعدة قرون ، بل وتحدت القرار الذى أصدره الامبراطور « ثيودوسيوس » عام ٣٩١ ميلادية والذى فرض به المسيحية على الامبراطورية الرومانية ٠ ولم تأت المسيحية الى الجزيرة الا عام ٥٥٠ ميلادية وذلك فى عهد الامبراطور «جستنيان» حيث بدأ فصل جديد فى قصة فيلة ، فقد نشأ مجتمع مسيحى فوق الجزيرة وتحول بهو الأعمدة لهذه العبادة ، كما نقلت أحجار بعض المعابد واستخدمت فى بناء الكنائس فوق الجزيرة ونشأت قرية حول معبد ايزيس ٠ وفيما بعد ترك المسلمون أيضا آثارهم فوق الجزيرة ، حيث

وجد الكثير من الشواهد الأثرية التى تحمل كتابات عربية ·
ولحسن الحظ لم يتعرض المعبد الكبير لأضرار معمارية
وبقيت لنا النقوش الأصلية التى أعانت مع حجر رشيد على
حل رموز اللغة المصرية القديمة · فى العصر الاسلامى كانت
فيلة قلعة أسطورية ، حيث ورد ذكرها فى قصة من قصص ألف
ليلة وليلة وهى قصة « أنس الوجود » بطل هذه القصة الذى
أعطى اسمه لمعابدها ·

ولما جاء العصر الحديث ذاعت شهرة « فيلة » فقد كانت
معابدها ممثلة لآثار ثقافات مختلفة توافدت عليها ، ومن
بينها النقش الذى نقشته بعثة نابليون عام ١٧٩٩ تلك
البعثة التى أعدت كتاب وصف مصر وجعلت فيلة مقصد
الرحالة خلال القرن التاسع عشر ·· ومن الرحالة
« آمليا ادواردز » التى تركت لنا انطباعاتها عن السحر
والفتنة التى تثيرها فيلة فى مشاعر زائريها ، فكتبت عام
١٩٧٤ تقول ·· « عندما تشاهد فيلة من قارب صغير تبدو
بنخيلها وأعمدتها وصروحها وكأنها تبزغ من النهر كأنما
هى سراب » · ان هذا السراب خلال القرن الحالى كان يختفى
فلا يظهر الا فى أشهر قليلة فى الصيف ·· فبعد بناء خزان
أسوان ارتفع منسوب المياه تدريجيا حتى بات يغطى المعابد
حتى قمة صرح معبد ايزيس طوال عشرة أشهر كل عام ،
وغاصت فى طى النهر أشجار النخيل والشجيرات المزهرة التى
طالما أبرزت جمال الفن المعمارى لفيلة ·

وبالرغم من النذير الذى أطلقه الكاتب الفرنسى
« بيير لوتى » فى كتاب (موت فيلة) ·· فنحن الآن يحق لنا
أن نقول له ولأمثاله ، ان فيلة لم تمت ·· ولن تموت ·

(٣٣)

مومياوات الفراعنة

شهدت أسواق التحف في مصر وأوروبا وعلى فترات متباعدة فيضا من الآثار والمومياوات المصرية خاصة فى الفترة التى سبقت عام ١٨٧٠ والتالية له ٠٠ الأمر الذى نبه الأذهان الى تقصى حركات مهربى الآثار من الوطنيين والأجانب وعملائهم المحتمين بالامتيازات الأجنبية فى المناطق الأثرية الكبرى ولا سيما فى طيبة الغربية ٠ فلم تجد التحريات البوليسية أو الشخصية شيئا فى هذا المضمار ، بقدر ما أدى اختلاف الاخوة من أسرة « عبد الرسول » الى بداية الكشف عن مخابىء أثرية ٠٠ قل أن شهد التاريخ الحديث ما يماثلها غنى وغرابة ٠٠ فقد ساهم افشاء أحد أولئك الاخوة سر اخوته الذين خاصمهم ، في الاهتداء الى بئر عميقة صعبة المنال تقع جنوب وادى الدير البحرى

وتتوسط بينه وبين « بيبان الملوك » وكانوا قد احتكروا سر هذه البئر ونزلوها خفية ثلاث مرات خلال نحو عشر سنوات حيث أخرجوا منها ما ملأ أسواق التحف من برديات وقلائد وتماثيل شوابتي وجعلان ٠٠ وما اليها ٠٠ وما ملأ بيوتهم من أموال كانت ثمنا بخسا بالنسبة الى ما ستحققه هذه الآثار من قيم تاريخية ومادية وفنية فريدة ٠ ولم يكن الفرنسى « جاستون ماسبرو » مدير مصلحة الآثار بمصر حين نم الرجل عن سر أسرته ؛ فناب عنه فى الكشف عن هذه المقبرة المعنية فى شهر يوليو من عام ١٨٨١ وكيله « بروكش » ومساعده المصرى «أحمد كمال»٠ وفى دهشة بالغة واجه العالم الحديث لأول مرة بعد أكثر من ثلاثة آلاف عام وجوه مومياوات نخبة من كبار فراعنة الأسرة السابعة عشرة حتى الأسرة العشرين، وهـم : سـقننرع ٠٠ أحمس الأول ٠٠ أمنحتب الأول ٠٠ رمسيس الثانى ٠٠ رمسيس الثالث ، فضلا عن حوالى الثلاثين من كبار كهنة آمون وكبار شخصيات الدولة الحديثة ٠ وفى عجلة وتكتم عمل « بروكش » و « أحمد كمال » عـلى نقـل ما أمكن الخروج به من المقبرة خلال أسبوع واحد والاتجاه بمومياوات الملوك وكبار الكهان الى متحف القاهرة ٠٠ وفى يوليـو عام ١٨٨٦ جرى فى القـاهرة حفـل مهيب عوض الفراعنة العظام بعض الشىء عما فاتهم من مهابة الاستقبال وحضره خديو مصر ٠٠ وقيل انه حلت أمامه أكفان فرعون مصر العظيم « رمسيس الثانى » ليطالع الجميع بوجهه العجوز الصلب المعبر ٠

ولحسن الحظ لم تشغل الكنوز الثمينـة الباحثين عن دراسة تقارير موجزة كتبت بالخط الهيراطيقى على التوابيت

وأكفان الملوك •• سجلت أسماء أصحابها وأسماء الملوك والكهان أصحاب الفضل فى اعادة دفنهم واكرام مثواهم وقد تبين منها انه بعد ان تعرضت مقابر الملوك للنهب أكثر من مرة وتعرضت جثتهم وأكفانهم للتلف ، عولجت مومياوات الملوك : تحوتمس الأول •• أمنحتب الأول •• سيتى الأول •• رمسيس الثانى •• رمسيس الثالث ، وأعيد احكام لفائفها كذلك عولجت مومياوات أحمس الأول •• والملكة سات كامس والأمير سا آمون وسيتى الأول •

وكان فى اعادة معالجة هذه المومياوات ما يعنى •• قلة العناية التى بذلت فى معالجتها أو يعنى تكرار الاعتداءات على مقابرها •• ولعله لهذا اتجهت الرغبة قديما الى تجميعها فى مقبرة أو مقابر محدودة يصعب دخولها وتسهل حراستها •

والآن يرقد فى المتحف المصرى أكثر من ٢٠٠ مومياء ملكية وغير ملكية، فهل نفعل بهم مثلما فعل الأجداد فى اعادة دفنهم واكرام مثواهم ؟! هناك من يعارض ذلك بحجة أن المومياوات كانت مدفونة وكشف عنها بسبب سرقة •• فاذا أعدنا دفنها مرة أخرى يخشى من أن يحدث لها أى نوع من أنواع السرقات وهى كثيرة لأن العالم الآن يسعى لاقتناء أى مومياوات أو آثار فرعونية ، ومهما وفرنا لها من حراسة وخلافه فان لصوص الآثار لهم طرقهم المعقدة فى سرقة الآثار •• أيضا دفعهم بأن هذه المومياوات ليست موضوع اليوم أو الأمس، بل إنها أصبحت علما وبدونها ما كان لدينا معلومات عن التحنيط وأسراره والطرق التى استعملها القدماء والتى

لا تزال ضرباً من ضروب الاعجاز العلمى ‥ فالمومياوات فى حد ذاتها تمثل العلم ‥ والقدرة ‥ والاجلال ‥ فالسائح الذى يسافر من بلده الى هنا لا يأتى الا ليرى عظمة وجلال هؤلاء القوم ‥ وحتى الآن ، لم تكف أيدى الباحثين عن الكتابة عن مومياوات الفراعنة ، فهناك آلاف من المجلدات التى تحكى عنها ‥ فاذا نحن قمنا بدفنها بأية وسيلة كانت ، فليست وسائل الدفن بالنسبة للفراعنة وسائل عادية ‥ لأن الفراعنة كانوا يغلفون موتاهم بطرق معينة لا ولن يستطيع أحد أن يدركها ‥ فقد فشل الفرنسيون فى اعادة اللفائف الخاصة بمومياء فرعون مصر رمسيس الثانى التى أرسلت اليهم ‥ الى وضعها الأول ‥ فالاقبال على دفن هذه المومياوات مخاطرة قد تؤدى بها للتلف والفناء ‥ وان هذه المومياوات موجودة حاليا بدون دفن وبالتالى يسهل مراقبتها ومعرفة ما يطرأ عليها من تغيرات من أجل حمايتها ‥ فهى ليست أجساما للفراعنة فحسب بل هى قدرتهم العلمية التى يجلها كل مصرى وأجنبى ، فكيف تدفن هذه المومياوات بأى وسيلة كانت ، فى الوقت الذى أعيت سرقة المومياوات الفراعنة أنفسهم وأعيتنا نحن أنفسنا فى القرن الماضى؛ حتى نشأت من حولها تجارة وعصابات خطيرة فى العالم كله ؟ .

من هنا فاذا كان ولابد من حجبها عن الناس فلنعد الى الوضع القديم بغلق حجرة المومياوات وفى ذلك توفير المجال لصيانتها ، وهو ما لا يتأتى فى حالة دفنها بأية صورة وهناك شىء واحد جدير بالاعتبار وهو ضرورة وقف تعريض المومياوات لأى نوع من أنواع التحاليل التى أصبح العالم يقبل عليها الآن بقصد التجربة ‥ رغم أن نتائج التجارب

معروفة مقدما على أنها لا تأتى بنتائج صحية مثل تحليل دماء الفراعنة ٠

والغالبية من الاثريين تؤيد اكرام مثواهم ، فنحن لسنا أقل من الأجداد حينما أكرموهم ٠٠ ولا جدال فى أن للموتى حرماتهم وللأجداد جلالهم ٠ ولم يكن مستغربا أن يدعو هؤلاء الى صون كرامة المصرى القديم من تلك الطريقة التى تعرض بها جثث أجدادنا الفراعنة حاليا ، وهى طريقة غير كريمة فعلا ويجب أن تغير فورا ٠ وربما لم يكن هناك اعتراض من حيث المبدأ على اعادة دفن جثث الفراعنة فى مقابرهم لو توافرت لهذه المقابر حالتها التى كانت عليها ، وأمكن تأمينها بجثثها تأميناً معنويا وماديا كاملا ٠٠ غير أن هذا يقتضى بطبيعة الحال دراسة الوضع الراهن لقاعات الدفن فى كل مقبرة على حدة ٠٠ والتعرف على مدى صلاحيتها لأداء أغراضها ٠٠ وهكذا قد يكون من المستحسن البدء باجراء عاجل وهو اعادة اسكان الفراعنة فى مساكنهم الصغرى وهى التوابيت الأصلية التى عثر عليها حتى الآن ٠٠ فالقبر فى مصر القديمة كان يعتبر البيت الكبير لجثة صاحبه وبيت الأبدية « برنخ » بالمصرية ، فى حين أن التابوت كان يعتبر مسكنه الأصغر أو الخاص ٠٠ وفى هذه الحالة يتعين تعقيم التوابيت الأصلية تعقيما كاملا قبل أن تأوى اليها جثثها وتأمينها بأغطيتها ، ولا مانع من تنظيم عرض هذه التوابيت وما تحتويه بداخلها فى نطاق المتحف المصرى عرضا كريما مميزا ، وهذا لو وضع بجانب كل تابوت تمثال أو تصوير قديم لصاحبه فى حياته وتصوير آخر حديث لما كانت عليه جثته حين الكشف عنها ، بما يعبر عن مهارة

التحنيط واعجــازه فى مصر القــديمة ٠٠ فان تيسرت بعــد هــذا اقامة ضريح خاص يحــوى جثث الفراعنــة وتوابيتها فى عرض كريم خارج نطاق المتحف فلا بأس من ذلك ٠٠ وثمة أمثلة قائمة فى الخارج لكل من الطريقتين ٠٠ فباباوات روما تعرض توابيتهم التى تحـوى جثتهم مغطاة فى كنيسة القديس بطرس فى الفاتيكان ٠٠ ويحوط كلا منهم ما هو أهل له من تقديس واجلال ٠ وهناك أيضا ضريح « الانفــاليد » فى باريس ٠ وقد خصص لدفن امبراطــور فرنسا الكبير « بونابرت » و « البانثينون » فى باريس مثل معبر كذلك ٠ وحتى يتم هذا أو ذاك يتعين اتخـاذ اجــراء عاجل يكفل المناخ الملائم ودرجات الحرارة المناسبة لحفظ المومياوات الموجودة بالمتحف المصرى بعد اغلاق قاعاتهــا ٠٠ واجراء فحص بيولوجى متكامل للموميــاوات البشرية فى المتحف المصرى ، وأعنى البشرية حتى لا يخصص الملوك دون غيرهم ٠٠ فكل المصريين فى كرامتهم سواء وذلك من أجــل تشخيص حالة كل مومياء تشخيصا كاملا وتعيين ما يناسبها من علاج ٠ ويتكفل بهذا العمل مجموعة عمــل متخصصة من أســاتذة الترميم ومركــز البحوث والصــيانة بهيئة الآثار والتخصصات المكملة لها من الجامعات المصرية ٠٠ هــذا فى الوقت الذى يطالب فيه معظم الأثريين ومنهم الدكتور عــلى رضــوان بضرورة اعادة جميع موميــاوات الفراعنــة الموجودة فى بعض البلاد الأوروبية وخصــوصا بريطانيــا وفرنسا ٠ فنحن لا ننسى العديد من المومياوات الفرعونية التى ترقد فى عديد من المتاحف الأوربيــة ، ونحن أيضا لا ننسى التابوت البازلتى للفرعون « منكــاورع » الذى نقل بمعرفة

المكتشف الأثرى «فيس» وشحن في سفينة نقلته الى انجلترا ٠٠ ولكن لسوء الحظ غرقت السفينة عقب اصطدامها عند « ايجهورن » ومازال تابوت الملك « منكاورع » مستقرا فى قاع البحر الأبيض المتوسط منذ غرق السفينة ٠ أما التابوت الخشبى أو بالأحرى الجزء الذى بقى منه ، فمحفوظ الآن بالمتحف البريطانى ٠٠ اننى أضم صوتى الى صوت الدكتور على رضوان فى ضرورة المطالبة باعادة مومياوات الفراعنة الموجودة فى المتاحف الأجنبية ، من أجل صون كرامة الانسان المصرى القديم وعدم جعله بمثابة عرض للشعوب الأجنبية جلبا للمال الغزير ٠٠

تحية لأبطال مصر القدامى ٠٠ سقننرع ٠٠ أحمس ٠٠ تحوتمس الثالث ٠٠ أمنحتب الثانى ٠٠ رمسيس الثانى مرنبتاح ٠٠ رمسيس الثالث ٠٠ وصدق الله العظيم حين يقول مخاطبا فرعون موسى :

« فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون » ٠٠

(٣٤)

سر التحنيط المصرى ..

عكف المصريون منذ أول تاريخهم علـى دفن موتاهم فى الصحراء ، فكانت ولا شك هى التى أوحت اليهم بفكرة الخلود بعد الموت .. فرمالها الجافة البعيدة عن رطوبة الوادى وحرارة الطقس على مدار السنة جففت جثث الموتى تجفيفا طبيعيا وأبقت لها المظهر الخارجى الذى جعل الانســان يرى فى الموت نوعا من الانتقال من دنيــا تمتاز بالحركة الى دنيا مماثلة، وان كانت الحركة تنقصها. ونظرا لاعتقاد المصريين بأن المحافظة على الجثــة هى الضمان الأول للتمتع بالدنيا الثانية وبالحياة الأبدية .. فقد لعب التحنيط عندهم دورا رئيسيا وأعطوه كل عنايتهم وســخروا علومهم وخبراتهم للوصول به الى حد الكمال ، ولسنا ندرى على وجه التحديد متى بدأ المصرى يحنط جثث موتاه تحنيطا صناعيا ، والأرجح أن ذلك يرجع الى أيام العصر

العتيق ، وقد بلغ التحنيط حدا كبيرا من التقدم فى الأسرة الثالثة ، ومن خير الأمثلة تحنيط أحشاء الملكة حتب حرس أم خوفو من أوائل أيام الأسرة الرابعة والتى عثر عليها فى صندوق من المرمر مقسما الى أربعة أقسام زود كل قسم منها بمادة التحنيط وهى التى عثر عليها فى حجرة الدفن بمقبرتها فى منطقة الجيزة ٠

ومما يؤسف له ٠٠ أنه لم تصلنا نصوص تسجل لنا مراحل التحنيط من العصور الفرعونية ٠٠ ولكن لدينا وثائق كثيرة من العصر الرومانى ٠٠ الا أن المؤرخ الاغريقى هيرودوت سجل لنا وصفا دقيقا لهذه المراحل وذلك عندما زار مصر فى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد وكانت مادة التحنيط لا تزال منتشرة بين الناس ٠٠ يقول هيرودوت : كلما ما مات مصرى حمل أقرباؤه جثته الى المحنطين الذين يعرضون نماذج ثلاثة مصنوعة من الخشب ٠٠ وتمثل الأنواع الثلاثة من التحنيط وأغلاها الطريقة التى اتبعت فى تحنيط جثة أوزوريس والطريقة الثانية أقل تكلفة [illegible] أما الطريقة الثالثة فهى أقل ما يمكن عمله ولا تكلف الا القليل من النفقة فاذا ما اتفق الطرفان يتسلم المحنطون الجثة ويبدأون عملهم باخراج المخ من الجمجمة بآلة معدنية [illegible] [illegible] ثم يفتحون [illegible] الجثة [illegible] الفتحة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أخرى [illegible] [illegible] الجثة [illegible] [illegible]

غسلوا الجثة غسلا جيدا ثم لفوها فى قماش كتانى بعد أن يغمسوه فى سائل لاصق ٠

ولقد أثبتت أبحاث الكثيرين من علماء الكيمياء والطب صحة ما قاله هيرودوت، وزادوا عليها أن المحنطين كانوا يلفون أصابع اليدين كلا على حدة بلفائف رقيقة جدا ، ثم يلفون اليدين والقدمين ، وبعد الانتهاء من هذا يأخذون فى لف الجثة بأكملها بكفن يصل طوله الى مئات الأمتار ٠ وفى نهاية الأمر ، يحكمون اللفائف حول الجثة بأشرطة من قماش سميك تتخذ اتجاهات متعارضة وتبدو كما لو كانت شبكة تحيط بالجثة ٠ كما يؤكد هؤلاء العلماء أن تجفيف الجثة واخلاءها من كل العناصر الدهنية ، كان يتم بوضعها فى كمية من ملح النطرون فاذا ما تمت هذه العملية ملئت جميع الفجوات داخل الجسم والرأس بمادة حمضية يستخرجها المصرى من خشب الآرز ، وكانت تملأ بلفائف من الكتان مغموسة فى مادة صمغية ٠

ومن المعروف أيضا أن المصرى اعتاد وضع أنواع مختلفة من التمائم بعضها من الأحجار نصف الكريمة وبعضها من القيشانى مع الجثة ٠ وكثيرا ما عثر مع جثث بعض الملوك على تمائم ذهبية وضعت داخل فجوة الصدر تأكيدا لضمان الحياة الثانية ولضمان الحماية من الأضرار والأخطار التى يقابلها الميت أثناء رحلته الطويلة فى العالم السفلى ٠ وكون المحنطون من أنفسهم طبقة معينة ، حتمت عليها طبيعة عملها أن تبقى منعزلة عن غيرها من الطبقات ، كما انقسمت طبقاتهم هذه الى مراتب مختلفة منها المحنط الفالى «أوت» ، ثم المحنط صاحب الختم الذى عليه أن يختم الجثة بعد الانتهاء

من تحنيطها وقبل البدء فى عملية لفها فى كفنها ، ثم المحنط كاهن «أنوبيس» ، ثم الرئيس العارف بأسرار التحنيط ، ثم فى نهاية الأمر الكاهن المرتل الذى كان من واجبه القيام بترتيل بعض الصلوات المعينة فى كل مرحلة من مراحل التحنيط المتعددة •• وكانت مهمة الكاهن المرتل رئيسية ، لأنه يقوم بأداء الطقوس الجنائزية المتوارثة والتى أجريت للاله أوزوريس عند تحنيط جثته •

واعتقد المصرى أن التقصير فى أداء هذه التراتيل يهدد صاحب الجثة فى حياته الأبدية •• الأمر الذى تجنبه كل مصرى وحاول جهده أن يؤديه كاملا حتى لا يقف شىء دون استمتاع الميت بما ينتظره من نعيم • وليس أدل على ذلك من العبارة التى يختتم بها الكاهن المرتل تراتيله •• « سوف تعيش •• سوف تعيش أبدا •• سيعود لك الشباب وسيبقى شبابك أبدا » •

وان نظرة يلقيها الزائر على مومياوات ملوك مصر المحفوظة فى المتحف المصرى تكفى للتدليل على مدى الدقة والبراعة التى وصل اليها المصريون فى تحنيطهم لجثث موتاهم •• اذ ان ملامح الكثير من الجثث لا تزال تشابه ملامح تماثيل أصحابها وصورهم ••

(٣٥)

أبو الهـول : النجـدة

عكف الأثريون الدوليون فى الفترة الأخيرة على دراسة أبى الهول جريا وراء ازاحة الستار عن الكنز المدفون تحت قدميه · وحدثت المفاجأة بعد عمليـات عنيفة استمرت أكثر من مئة عام تعرض خلالها لشق ممرات فى جسده ورأسه حتى لحيته لم تسلم من أيدى التخـريب · فطارت الى لندن ذقنه ، وبقى الجسد برأسه الملكى قابعا فى صخر هضبة الجيزة · والآن وبعـد الانتهاء من مشروع تجديد شباب أبو الهول بعد المحنة العنيفة التى كادت أن تقضى عليه بعد تحديه لكل صروف الدهر ·· ترى هل يستطيع الأثريون اعادة البسمة الى وجه أبى الهول بعد صبر ٦٠ قرنا ؟!

أبو الهول من أشهر آثار الدنيا ·· تمثـال منحوت من صخر الهضبة فى الناحية الشرقية أمام الهرم الثانى من أهرام الجيزة ·· جسمه عـلى

هيئة أسد رابض وله رأس انسان ، يرقد في وسط أحد المحاجر التي قطعت منها أحجار الهرم الأكبر ويرجح انه كان في الأصل تمثالا للملك خفرع (٢٦١٦ ــ ٢٥٧٨ق٠م) مشيد الهرم الثاني ، أطلق عليه اليونانيون اسم «سفنكس» ، كما ساووا بينه وبين أحد الشياطين في دياناتهم ٠ وبمرور السنين أحدثت الدوامات الهوائية المحملة بالرمال الحادة تشويها في الملامح وبخاصة في الرقبة والأجزاء السفلية من لبنات الرأس ٠ وفي جميع العصور كان المعتقد أن أبا الهول كما هو الحال في الآثار الشهيرة يضم كنزا ، وفي سبيل البحث عنه شقت ممرات في جسده وفي رأسه ٠ وقد حل بالتمثال كثير من التخريب على أيد مغتصبة ، وبدافع من التهور الشديد الذى اندفع اليه المماليك الذين جعلوا رأسه هدفا لنيران مدافعهم ٠ ورغم هذا التخريب الذى لحق به ، فانه لا يزال من أعظم آثار العالم روعة ٠ ومما يزيد من قيمته في الوقت الحاضر هذا الهدوء الرزين الدائم الذى يناقض صخب مدنية العصر الحديث ٠

وقصة « أبو الهول » هى قصة صراع مرير بين كفاح الانسان لاظهار هذا الأثر العظيم الذى ينم عن المهارة والاجلال ، وبين زحف رمال الصحراء التى لا تهدأ ، وأقدم بيان دون عن هذا الصراع نجده مكتوبا بين مخالب أبو الهول في لوحة هائلة من الجرانيت الأحمر صنعت كما يظهر من عتبه نهب من معبد الوادى لخفرع ٠ واللوحة تحمل نقشا يعزى الى تحوتمس الرابع من ملوك الأسرة الثامنة عشرة (١٤٢٠ ق٠م) وفيه يقص هذا الفرعون المحبوب التقى أنه أثناء رحلة صيد قام بها وهو أمير ، أخذته سنة من النوم أثناء

قيلولته تحت ظل التمثال الكبير وأثناء نومه ظهر له الاله ووعده بأنه سينصبه ملكا على القطرين اذا أزاح الرمال التى تقلقه قائلا : « أنا والدك ·· حور ماخيس خبرى ــ رع ــ أتوم ·· » سأورثك مملكتى على الأرض وأجعلك على رأس الأحياء وسوف تلبس التاج الأبيض والتاج الأحمر فوق عرش « جب » أيها الأمير الوراثى ستكون لى حاميا لأن كل أطرافى تتألم ·· فرمال الصحراء التى أربض فوقها زحفت الى فتقدم لتعمل ما أرغب فيه فأنت ابنى وحامى حماى » ··

والنقش من هذه النقطة حتى نهايته قد شوهته عوامل التعرية التى سببتها رمال الصحراء التى شكا منها الاله ويمكن استنباط اسم الملك خفرع من بين الجمل المشوهة ·

وتبدأ قصته الحافلة بالكفاح مع الحياة ·· لقد أقيمت جدران من اللبن والحجر لتسنده وتحجز الرمال العاتية عنه ·· وفى أوائل القرن التاسع عشر (١٨١٨) ، أسندت جمعية انجليزية عملية تنظيف التمثال الكبير مرة أخرى الى « فجليا » وأثناء قيامه بها كشف عن الأرضية المقام عليها المحراب واللوحة الكبيرة لتحوتمس الرابع ولوحة أخرى لرمسيس الثانى · وفى أقل من ٧٠ سنة أخرى طغت الرمال مرة أخرى فاضطر ماسبيرو الى تنظيف أبو الهول مرة أخرى عام ١٨٨٦ وقد كانت الفترة التالية قصيرة لأن مصلحة الآثار أسندت الى « ا · باريز » عملية التنظيف فى عامى ١٩٢٥ ــ ١٩٢٦ وقد رفعت الأجزاء المتآكلة خصوصا المخالب الضخمة المبسوطة · وأصبح فى امكاننا أن نرى صورة « خفرع » حاميا لـ « نفرتارى » « حورام آختى » كما أراد صانعوه الذ

يرى، بعد أن تعرض لعوامل التعرية مدة تقرب من ٦٠ قرنا٠ ومع أن « بارين » لم يحاول اجراء أى ترميم فان أجزاء من جسم أبو الهول أو لباس رأسه معرضة للضياع بسبب العواصف الجوية والأرضية التى أثرت تأثيرا كبيرا على القشرة الناعمة للحجر الرملى الأصفر ، والتى اتضح أن الرمال والدوامات الهوائية كسبت المعركة التى بدأت منذ ٦٠ قرنا للقضاء على أبو الهول الذى يكتم السر ولا يريد أن يبوح به٠

ويرى البعض أن وراء مأساة علاج أبو الهول عدم توافر المواد الكيماوية اللازمة لحقن أبو الهول من الداخل والخارج حسب المواصفات العالمية ، وذلك بمادة هيدروكسيد الباريوم ،، محاولين اكساب أبو الهول مناعة قوية ضد العوامل الجوية والأرضية ، ولقد أثبتت أخيرا بعثة الآثار الأمريكية التى قامت بعمل مجسات بالأجهزة الكهرومغناطيسية حول أبو الهول أن السطح العلوى أشد صلابة ٠٠ والخطورة التى تواجه أبو الهول هى تسرب المياه خلال مسام الحجر الجيرى لأبى الهول ثم تعرضها للبخر على سطحه ؛ مما يؤدى الى تبلور أملاح دقيقة على سطح التمثال ، ولا صحة للاسطورة التى تروج بوجود كنز أسفله٠ ودليلنا فى ذلك المجسات التى قامت بها البعثة الأمريكية تحت أبو الهول لمدة ثلاثة شهور، وأخيرا وجدوا المياه بدلا من العثور على الكنز الدفين ٠ وتشير الآثار حول تمثال أبو الهول الى تردد الأمراء والملوك المصريين على تلك المنطقة منذ مطلع الدولة الحديثة ، ومنهم أحد أبناء تحوتمس الأول وتحوتمس الثالث ، ثم ولده أمنوفيس الثانى ، ثم تحوتمس الرابع ، ثم الملك الشاب توت عنخ آمون ، ثم خليفته الملك « آى » ، ثم الملك رمسيس

الثانى ، وقد ترك آثاره فوق آثار توت عنخ آمون ، ومن الراجح أيضا أن يكون الكنعانيون من الأسرى قد أقاموا حول منطقة أبو الهول يعبدون الههم « حورون » حيثما وجدوا الصلة قريبة بينه وبين « حورام أختى » ، ثم خلع الكنعانيون عليه اسم « حور » • وأصبح المصريون والساميون على السواء يقدسون المعبود « حور » المتمثل فى ذلك التمثال المصرى القديم ، والغالب أن يكونوا قد أسموا المكان كله « برحول » بمعنى بيت الأسد ، ولعل هـذا هـو الاسم الذى حرف على مر الزمن الى كلمة « أبو الهـول » التى يحملها التمثال اليوم علما عليه •

(٣٦)

ظاهـرة فلكيـة ..

تكشف لغز أبى الهول ؟!

ظاهرة فلكية جديدة لفتت أنظار رجال الآثار في مصر . فقد اتضح أن الشـمس تشرق وتغرب عـلى وجـه أبى الهـول يومى ٢١ مارس و ٢١ سـبتمبر من كل عام ، وذلك عـلى غرار تعـامد الشمس على وجه الملك رمسيس الثانى فى معبـد أبى سمبل يومى عيد ميلاده وتتويجه على العرش فى ٢٢ فبراير ، و ٢٣ أكتوبر . ان أسباب هذه الظاهرة غير معروفة ، ولكنها تثبت خطأ نظرية علماء الآثار عندما أكدوا أن تمثال أبى الهـول نحته الفنان المصرى القديم عنـدما وجـد صخرة ضخمة بالمصادفة فحولها الى تمثال لتجميل المنطقة بين هرمى خـوفو وخفـرع . وتجىء الظاهـرة الفلكية الجديدة لتؤكد وجود سـبب فلكى ودينى لنحت التمثال فى هذا الموقع تحديدا ، وأن أبا الهول كان الها للشمس يشرق ويغرب بين أفقى خوفو

وخفرع ·· وهذه الظاهرة الجديدة مثيرة وتستحق المزيد من الدراسة ·· وتؤكد انتفوق العلمي الهائل للمصرى القديم · فيما يطالب البعض بتنظيم احتفـــال سـياحى كبير أمام أبى الهول لمشاهدة شروق الشمس على وجهه يومى ٢١ مارس و ٢١ سبتمبر من كل عام ، وذلك عـلى غرار الاحتفال الذى يقام أمام معبد أبى سـمبل يـوم تعـامد الشمس على وجه رمسيس الثانى ·

أوديب ·· وأبى الهـول

« أبو الهول » عجيبة رابعة خلفها الدهر على أرض هذا الوطن ·· أثار دهشة الناس فى العالم القديم ·· والحديث ·· فتى القديم غدا مهبطا لوحى الخيـال الخصب ومعينـا فياضا للقصص والأساطير ، فهو ما يزال فى تصور كثير من الناس لغز الدهر وسره الغامض ، رآه الاغريق فأعجبوا به وحملوه اسما لا يتصل به من قريب ولا من بعيد ·

اذ خلع عليـه الاغريق اسم Sphinx سفنكس وهو اسم لماردة معروفة فى الأساطير الاغريقية ، تتمثل فى هيئة كائن نصفه الأعلى نصف امرأة ، ونصفه الأسـفل نصـف سبع · وتقول الأسـطور ان تلك المـاردة كانت ابنـة Typhon تيفـون من زوجه اشيدنا Echidna ، وان Hera هيرا قـد بعثت بها الى أهل طيبة وكانت غاضبة ساخطة منهم أرسلتها لتفتك بهم فربضت لهم فى بعض الطريق تمتحنهم بألغاز ، فأما من فهمها منهم فقد أمن مكرها وعذابهـا ، وأما من عجز فأمه هاوية ·· ثم يمر بها « أوديب » الملك فتطلعه بلغز

يوفق الى حله فيفتك بها ويخلص منها أهل طيبة التى أحسنت جزاءه .. وظاهر أن الاغريق قد خلعوا اسم Sphinx سفنكس على التمثال المصرى ؛ لما بينه وبين الماردة من شبه خالوه فى ذلك الهيكل المزدوج . ومن الراجح ان يكون الاغريق قد وجدوا شبها بين لفظ اسم ماردتهم المعروفة وبين ذلك الاسم الذى عرف لابى الهول ، فقد كان الاسم «شبس عنخ» أى « مانح الحياة » علما على تماثيل الكباش الرابضة على جانبى الطريق الى المعبد المصرى منذ أيام الأسرة الثامنة عشرة على الاقل كما نرى بين الكرنك والأقصر مثلا .. وكانت هذه لا تخرج فى وضعها عن شكل ابى الهول، بل وهى كلها صور متأخرة منه ، والغالب أن يكون الاغريق قد أطلقوا هذا الاسم على أبى الهول الكبير . وغالب التشابه بين الاسمين المصرى والاغريقى قد أعانهم فوق التشابه فى الهيئة على الخلط بين الاثنين فخلعوا اسم ماردتهم على تمثال أبى الهول .

وقد كان من عادة الاغريق أن يخلعوا على ما يرون فى مصر أسماء اغريقية ، فهم قد أسموا العمد المدببة الرؤوس من أمام المعابد المصرية Oblisk أبلسك بمعنى السفود ، لأنها تراءت لهم كذلك، ولعل هذا يكون السبب فى اطلاق كلمة مسلة على ذلك الأثر، وهم قد أسموا المحاجر المصرية من شرق النيل تجاه منف « طروادة » التى خفف لفظها فيما بعد الى طرة ، وهم قد أسموا معبد «أمنمحات الثالث» الجنازى « اللابيرنت » بمعنى التيه ؛ لأنهم قد رأوا فيه بعض الشبه باحدى عجائب البناء فى جزيرة كريت . وهم قد أطلقوا على القبر الملكى فى صخور طيبة اسم Syrinx سرنكس بمعنى

المزمار ؛ لأنه تراءى لهم كالمزمار الاغريقى لـكثرة ممراته الطويلة الضيقة والتى تختلف طولا وقصرا ، وهم قد أسموا الاهـــرام Pyramid بيراميد تشبيها لها بنوع خاص من الخبز الأبيض عندهم يقال له Pyramos براموس •

والواقع ان ذلك الاســم الاغــريقى قد ألبس تمثــال ابى الهول ثوبا حالكا من الغموض ، ومازال التمثــال حتى يومنا هذا محاطا بسياج من السر الرهيب •• وقد استطاع الفنان المصرى القديم أن يخرج ذلك الأثر البديع الذى يمثل هيبة فرعون وجلاله • منهيبته فى قوة بدنه التى تتمثل فى هيكل السبع وجلاله يتمثل فى سلطان عقله الذى يشير اليه ذلك الرأس الآدمى البديع • عــلى أن ذلك الأثر الخــالد لم يبهر عقول القدماء والغرباء وعقول المصريين انفسهم فهــو قديم وعظيم، وهو قد تفرد بين الآثار بعظمته وقدمه وشكله وطريقة نحته •• وللقديم فى نفوس الناس قدســية وجلال وللماضى فى قلوبهم حنين ورحمة •• وللعظمة فى نفــوس الناس جلال واحترام، ولجمال الفن فى نفوس العارفين تقدير واكبار ، والقدم والعظمة وجمال الفن قد اجتمعت كلهــا فى ذلك الأثر الخالد ، اذا اجتمع كل أولئك فى شىء واحــد كان من شأنه أن يؤثر فى نفوس الناس وأن يهز عواطفهـم وأن يجد فى قلوبهــم أكرم منزلة وأرفع مــكانة ، فما كاد الزمن يصل بالناس الى أيام الأسرة الثامنة عشرة ، حتى بدأ التاريخ يسجل اقبال الناس على ذلك الأثر الخالد يقدسونه ويتخيلون فيه رمز الإله الشمس المعروف « جبور صاحب الأفق » •

وعلى احدى أصابع مخلبى أبى الهول كتب شخص باللغة اليونانية :

فقد هلكوا أيضا ..
وهذه الجدران فى طيبة بنتها الحوريات
ولكن جدارى لا يخشى الحروب
انه لا يعرف التعرض لهجمات الحرب أو يعرف الانتحاب
انها تجد مسرتها دائما فى الأعياد والموائد
وفى الغناء الجماعى للشباب الذين يأتون من كل مكان
اننا نسمع نغمات الناى لا نفير الحروب
والدم الذى يروى الأرض انما هو دم ثيران الأضاحى
وليس من أعناق الرجال
ان ما نتزين به هو ثياب الأعياد لا أسلحة الحرب
ولا نحمل فى أيدينا السيف
ولكن كأس الأخوة
وخلال ساعات الليل كلها
عندما تشتعل القرابين
نغنى الأناشيد للاله حورماخيس « أبى الهول »
ونزين رؤوسنا بأكاليل الزهور .

(٣٧)

•• بعد نجدة مصر لـ«السامرة وأورشـــليم» واســتقبالها لـ «أرميا» ما سر الأقليات الاجنبية في أسوان ؟!

عثر في جزيرة (آبو) أى في جزيرة الفنتين في أسوان على عدة وثائق آرامية أرجع أغلبها الى أواسط القرن الخامس ق•م ولقيت اهتماما واسعا من الباحثين في الساميات ، ومن الباحثين اليهود بخاصة لترجمتها والتعقيب عليها ، وصورت هذه الوثائق جوانب من حيــاة عــدة أقليات أجنبيــة ضمت آراميين ويهودا وسـوريين • وفي بعض الأحيــان اغريق وايجيين ثم بابليين وخوارزميين وماذيين وفرس ، عاشوا بأعداد محدودة في وسط العدد الأكبر من مواطني المنطقة المصريين • ولم تكن موارد أسوان المتواضعة تتيح لأولئك الأجانب استغلالا اقتصاديا كبيرا ، ولهـذا اكتفى أغلبهم بحرفة الجنود المرتزقة في حصــون أســوان التى مثلت حلقة الوصــل بين أقاليم مصر الجنوبيـــة والنوبة وبين ما وراءها في فترات السلم وفترات الحرب على حد سواء •

وذكرت الوثائق الآرامية من مسميات التنظيمات العسكرية التى انضوت تحتها هذه الجماعات الاسم الآرامى « حيلا » بمعنى حامية أو فرقة كبيرة واسم « دجل » بمعنى وحدة أو معسكر ، وان دل أحيانا على معنى اللواء أو العلم، وكان كل منهما يضم المجندين وأسرهم ثم تعبير المائة ليدل على سرية بنفس العدد .

وحظيت أوضاع الجالية اليهودية بالاهتمام الأكبر من الدراسة والتعقيب وتركزت هذه الجالية فى جزيرة الفنتين والى حد ما في « سونو » أى فى مدينة أسوان وكان منهم عسكريون ومدنيون . وغالبا ما وصف العسكريون منهم بأنهم « بعول دجل » أى أفراد الوحدة أو المعسكر ، ووصف المدنيون منهم بأنهم « بعول قرية » أي أفراد القرية . وقد يوصف بعضهم بالصفتين أو ينتمون الى « دجلين » أي وحدتين أو ينسبون الى مقر امامتهم ، فيقال « بعول آبو » و « بعول سونو » .

وتعددت وجهات النظر فى ظروف اتجاه هذه الجالية اليهودية الى أسوان وتوقيت بداية سكناها فيها وانضمامها الى معسكراتها . وربطت بعض الآراء بين لجوئهم الى مصر وبين أحداث التاريخ اليهودى فى فلسطين خلال القرنين السابع والسادس ق . م . فقد أدت مراحل النزاع بين يهود اسرائيل وبين يهود يهوذا ، ثم بينهم جميعا وبين الآشوريين الى نزوح جماعات من هؤلاء وهؤلاء الى أماكن قصية يلتمسون الأمن فيها . ولعل مصر الغنية القريبة من فلسطين كانت الملجأ المغرى للبعض منهم . وقد سبق ذكر المرات التى وقفت مصر فيها سندا لليهود ضد الآشوريين حينما تدخلت فى عهد

«تاف نخت» لنجدة السامرة ضد جيش «شلمانصر الخامس» ، ثم في عهد «شبتكو» و «طاهرقا» لنجدة آورشليم ضد جيش «سينخاريب» . وحينما دعا «يوشيا» في عام ٩٣١ ق.م. الى التغيير الديني الذى تضمنه سفر « تثنية الاشتراع » نزح بعض معارضيه وبعض الكهنة الذين فقدوا امتيازات معابدهم الى مصر . وزادت دواعي الهرب عن يهوذا حينما اشتد حصار البابليين حولها ، وقد عاونتها مصر في عهد الملك « واح ابرع » على مقاومة هذا الحصار ، وعندما تمكن البابليون منها ودمروها ارتحل بعض أهلها الى مصر ووسعتهم رحابة صدرها ، كما استقبلت بعدهم نبيهم « آرميا » وأعوانه حينما لاذوا بها . ولما كان اللاجئون في أغلب هذه الأحوال مستضعفين لم يجد بعضهم بأسا من أن يعيشوا في أقصى جنوب مصر ويحتملوا ظروف الحياة فيه والتفتت آراء أخرى الى أحداث مصر نفسها ودواعي اجتذاب بعض اليهود الى حدودها الجنوبية ، فافترض رأى أن أسلافهم كانوا ممن ساقهم الملك الآشورى « آشور بانيبال » من أتباع « منسا » ملك يهوذا خلال حملته ضد مصر في عام ٦٦٠ ق.م ، ولعله ألزمهم جنوب مصر ليعملوا فيه باسمه ، أو لعلهم انطووا فيه على أنفسهم بعد رحيله ، وردهم رأى آخر الى عهد الملك « بسماتيك الأول » في منتصف القرن السابع ق.م حينما فتح أبواب مصر أمام الجنود المرتزقة من كل نحلة كي يحفظ التوازن بهم في جيشه ازاء المرتزقة القدامى الذين استشرى أمرهم ، واستعان بهم الأمراء الاقطاعيون المتنافسون له فدخل منهم بعض اليهود الى جانب غيرهم من بلاد الشام وبلاد الاغريق وجزر البحر المتوسط الشرقية ، وعندما استقر أمر الملك وزع مرتزقة جيشه على حاميات الحدود فكان من نصيب

اليهود ان ضموا الى حامية أسوان • ولعله قد جند بعضا آخر من يهود فلسطين خلال حصار جيشه الطويل لمدينة اشدود وتلقي بعضا اخر منهم من « منسا » ملك يهوذا في مقابل ما زوده به من خيول الحرب • وعندما فرض الملك «نيخاو الثاني» ملك مصر نفوذه على أورشليم خلال استعداده لملاقاة البابليين ، فرض عليها جزية كبيرة وأسر ملكها وساق بعض اعوانه الى مصر • وثمة رأى يفترض ما هو قريب من هذه الظروف في عهد الملك « بسماتيك الثانى » على اساس احتمال انضمام بعض اليهود الى معسكره خلال حملة جيشه على بلاد خارو في جنوب الشام ، وهو أن بعضهم قد انضم الى مرتزقة جيشه الذين تآلفوا من كريتيين وايونيين وروديسيين وفينيقيين خلال حملته على أطراف دولة نباتا الجنوبية في عام ٥٠٦ ق•م •

ويبـــدو أنه كان من المشـــكلات التى واجهت الملك « واح ابرع » « أبريس » في أواخر عهده ، ثورة بعض جنود حامية الفنتين ضده وارتحالهم الى النوبة ، وبهـذا سنحت فرصة أمام المرتزقة الأجانب ومنهم اليهود ليستقروا محلهم • وذكر المصرى « نسحور » قائد بوابة الأقطار الجنوبيـة في عهد هذا الملك تواجد جند « عامو » أى قبليين و « ستيو » أى أسيويين و « حاونبو » أى ايجيين في أسوان ، وكان أغلب القبليين الأسيويين من الآراميين واليهود •

وأشارت بردية ديموطيقية من العام ٤١ من عهد الملك أحمس الثـانى « أمازيس » الى ايفـاد عـدد من قواته الى النوبة ، وكان من بين الجنود المرتزقة المنضمين اليهـا ٦٠ شخصا من « خارو » أى من جنوب الشام ، و ١٥ شخصا من

(آشور) أى من سوريا ، ولعله قد زاد من فرص التواجد أمامهم فى أسوان اتجاه سياسة الدولة حينذاك الى سحب المرتزقة الإغريق من حاميات الحدود فحلوا محلهم .

والغريب أن نبوءات أنبياء اليهود و أحبارهم ظلت مع كل ما قدمته مصر لشعبهم فى الداخل والخارج تتوعدها بالمستقبل المظلم وبكل شر مستطير ! وتزايد تواجد اليهود فى معسكرات أسوان على الحدود الجنوبية خلال عصر الاحتلال الفاسى ، فكانوا من أدواته وأقرب الى الاخلاص له وعيونا له على الوطنيين المصريين على أحداث النوبة . ولعل ذوى قرباهم من يهود فلسطين الذين اعتبروا « قورش » ملك الفرس مسيحهم المنتظر الذى أعادهم من النفى ، قد ساعدوا الحملة الفارسية على مصر فى عهد ولده « قمبيز » وقد وجد يهود مصر الجزاء المباشر على ذلك بحيث روى أحد يهود القرن الخامس ق.م فى أسوان .. أن ملك الفرس « قمبيز » قد هدم كل معابد آلهة مصر وأنقص مواردها ولكنه لم يصب المعبد اليهودى فى جزيرة « آبو » بسوء . وروى هيرودوت من ناحية أخرى أن قمبيز أرسل أكلة السمك من الفينيقيين يحملون الهدايا الى دولة (نباتا) بهدف التجسس عليها . ويغلب على الظن أن أغلبهم كانوا من اليهود واستمرت سياسة تقرب اليهود من الفرس فى مصر فى عهود خلفاء « قمبيز » بحيث اعتزوا بأنهم احتفظوا لديهم بنسخة من تاريخ حياة « الملك دارا الأول » وعندما بليت كتبوا لأنفسهم نسخة أخرى .

على أن الملوك الفرس أو نوابهم على مصر لم يطمئنوا الى ولاء هذه الطائفة دون ضمان رقابة عليها فجعلوا

رؤساء الفرق الكبيرة « حيلا » والفرق الصغيرة ايضا «دجل» من جنسيات آخرى كالبابليين والفرس ، وقد ذكرت الوثائق المعروفة أربعة رؤساء دجل بين أعوام ٤٦٤ ـ ٤٤٦ ق٠م وأربعة آخرين بين أعوام ٤٤٦ ، ٤٢٠ ثم ثلاثة او أربعة بين أعوام ٤١١ ، ٤٠٠ ق٠م ولا يعرف ان دل تكرار رقم الأربعة في هذه الحالات على تواجد اربع وحداث دجل في آن واحد أم غير ذلك • وهكذا كان رئيس المنطقة الملقب بلقب « فراتركا » ربما بمعنى الأول أو المقدم من غير اليهود أيضا • وكانت له بحكم منصبه سلطات الاشراف العسكرى والمدنى أيضا •

ضمنت حرفة الجندية للأقليات الأجنبية فى منطقة أسوان الامامة والحماية وانتفعوا بمرتباتهم التى كانت عينية فى معظم أحوالها، تصرف من بيت المال فى «آبو» • وقد عبرت الوثائق عنه باسم خزانة الملك ، وعن طريق بيت الملك أى ديوان الحكم فى المنطقة • ولم يحل هذا دون أن يعمل بعضهم فى زراعة محدودة ، وأن يتملكوا تبعا لذلك بعض الأراضى ، وأن يرافق بعضهم قوافل التجارة الى الجنوب ويعمل بعض آخر جباة ضرائب فى خدمة الدولة ، وعاش المرابون اليهود فى هذا المجتمع المفتعل الصغير على ما عاشوا عليه فى كل العصور فاتسمت شروطهم بالاجحاف حتى فيما بين بعضهم البعض فبلغ سعر الفائدة ٦٠٪ ، وكانت سريعا ما تتضاعف حيث كانت فائدة مركبة تضاف قيمتها الى أصل الدين ان لم تسدد فى موعدها لتخضع مثله لربح آخر •

وكطائفة تهتم اسنسا على رابطة الدين أقام يهود النيلين فى شمال الجزيرة معبدا لالههم « يهوه » جعلوا له

المعونات من أثريائهم وفرضوا له تبرعات على رجالهم ونسائهم ، ولعلهم قلدوا فيه بعض مظاهر معبد أورشليم في صورة متواضعة ، فكان له أعمدة حجرية وسقف خشبي ويقوم به نصب ومذبح ووصفوا ربهم فيه بأنه رب الجنود ، وأنه الرب الموجود في (آبو) الحصن أي حصن الفنتين وان خالفوا بذلك قانون الاصلاح الديني الذي لم يعترف الا بمعبد أورشليم معبدا رسميا ودعا الى الاعتقاد بأن الاله مسكنه السماء وأن اسمه هو الذي يسكن المعبد .

وسواء أتى اليهود معهم برواسب ديانة التعدد القديمة في فلسطين أو خضعوا لدواعي الاختلاف ببيئة المرتزقة التي عاشوا فيها أم أتت الوثائق الآرامية بأخبارهم الى جانب أخبار غيرهم ، فقد وردت في هذه الوثائق أسماء معبودات مصرية وآرامية وبابلية وفارسية أيضا ، مثل أسماء « ساتت » و « خنوم » و « بيثيئل » و « ملكت شمين » — ملكة السماء و « نابو » و « بانيت » .. الخ .

ومع مرور الوقت ، قامت بين الأقليات في أسوان — ومنهم اليهود — وبين المواطنين المصريين في المنطقة علاقات تزاوج وتجارة وعمل ومداينات ، بحيث تزوجت يهودية من رجلين مصريين على التعاقب ، وتزوج مصري من آرامية وتزوج يهود من مصريات ، وكان من الطبيعي أن تشوب هذه العلاقات بعض المنازعات ، وكان للمواطنين في بعض الأحيان اليد العليا فيها ، بحيث روت احدى الوثائق أن المحكمة جعلت امرأة يهودية تقسم باسم المعبودة المصرية «ساتت» في قضية قامت بينها وبين مصري ، واشترط مصري على مدينه اليهودي أن يدفع أربعة شواقل فائدة القرض بمقتضى أوزان «بتاح»

الاله المصرى وليس بمقتضى أوزان الملك الفارسى ، وعامله بمعاملة المرابين اليهود أى بمقتضى الربح المركب ٠

وكانت اللغة الآرامية قد طغت على اللغة العبرية فى فلسطين نفسها لبعض الوقت كلغة للثقافة والمراسلات، ولهذا لم يكن من الغريب ان تطغى عليها كذلك بين يهود الفنتين لا سيما مع اختلاطهم بالآراميين المشتركين معهم فيها وتأثرت لغتهم كذلك باللغة المصرية فى بعض تعبيراتها الدارجة وفى تعبيرات التعاقد ٠

وكما كان بناء معبد اليهود فى الفنتين معبرا عن روابطهم ، أصبح خرابه مقدمة لتفرقهم ، فعندما طال احتماء اليهود بالمحتلين الفرس تناسوا حقوق الوطن المصرى الذى آواهم ، وعندما تعاقبت ثورات المواطنين ضد الاحتلال الفارسى فى أعوام (٤٨٨ ، ٤٨٧ ، ٤٦٠ ـ ٤٥٤ ، ٤٥٠ ـ ٤١٠ ق٠م) لم يساندهم اليهود فيها ، اذ على حد تعبير احدى الوثائق الآرامية لم يتركوا مراكزهم ولم توجه اليهم تهمة التمرد وربما تجاوزوا تجاهل المشاعر القومية للمصريين الى تجاهل تقاليدهم الدينية أيضا فتجرأوا على تقديم الأضاحى من الكباش فى معبدهم عوضا عن الجداء ، وكان الكبش رمزا مقدسا للمعبود « خنوم » فى أسوان ، وهكذا استمر السخط يتفاقم ضدهم حتى أفضى الى تدمير معبدهم فى حوالى عام (٤١٠ ق٠م) خلال العام الرابع عشر من حكم الملك الفارس « دارا الثانى » ٠ والطريف أن رسائل اليهود لم تنسب هدم المعبد الى كهنة « خنوم » المصريين فى حصن الفنتين وحدهم ، وانما ذكرت أنهم استغلوا غياب الوالى الأكبر « خشاترا بافان » أو « الساتراب » أرشام الفارسى

عن مصر ، فاتفقوا مع « فراتركا » أسواق ى رئيسها « فيدرانجا » الفارسى على ازالة معبد اليهود من الجزيرة فاستجاب لهم ، وكلف بذلك ولده أحد قادة حامية اسوان فقاد المصريين وجنودا آخرين وهدموا المعبد وأقاموا مدخلا الى ناحية معبد خنوم المصرى على جزء من انقاضه ، وفى سبيل اقامة هذا المدخل استغلوا جزءا يحد مخزنا ملكيا مجاورا له وأقاموا سورا في وسط الحصن وعطلوا (حين بنائه) بئرا كانت تمد المعسكر اليهودى بالماء ، وهكذا ألقى اليهود جانبا من المسئولية على الحاكم الفارسى المحلى وولده ، مما يعنى أن مسلكهم لم يرض بعض الفرس أيضا ، وان ادعوا فى رسائلهم أن هذا الحاكم فعل ما فعل مقابل رشوة كبيرة ، وهو ادعاء يصعب أن يعرض به الرجل سمعته وسمعة ولده للمساءلة أمام ملكه نصير اليهود ٠

وعلى أية حال ، ففى ثلاث رسائل للوالى الفارسى الكبير أرشام وهو بالخارج ما يشير الى وقت ثورة مصر ، مما يعنى قيام ثورة فى غيابه وان اجراء أهل أسوان ضد المعبد اليهودى كان صدى ثورة عامة ضد المحتلين وأعوانهم أو على الأقل قد صادفها وانتفع بآثارها ٠ وقد يزكى هذا الاستنتاج بردية ذكرت أسماء خمسة من كبار اليهود وأكثر من ست نساء عوقبوا وربما اعتقلوا فى البوابة فى مدينة طيبة ، وروت أنه جرى استرداد المقتنيات التى كانت قد سلبت من بعض المساكن وفرضت عقوبة مالية ، وربما دل هذا على سبعة اعتداءات يهودية ثم تعرض المعتدين للعقوبة والتغريم فى مدينة طيبة على أيدى قضاة وطنيين فى فترة من فترات ازدهار الشعور الوطنى ضد المحتلين وأعوانهم ٠

وتسامح المصريون بعض الشيء ، فتركوا اليهود حيث هم وربما لم يعترضوا على بناء معبدهم فى موضع آخر خارج حصن انفنتين فلم يقنع اليهود بهذا التسامح ، وابوا الا ان يعاد بناء المعبد فى نفس موضعه بحجة أن الملوك المصريين السابقين لم يعترضوا عليه ٠٠ وعندما احتل الفرس مصر أبقوا عليه ، وحينما اعتدوا على معابد كل آلهة مصر لم ينالوه بسوء ٠ ولاستثارة العطف عليهم ادعى اليهود أنهم حرموا على انفسهم شرب الخمر والتضمخ بالزيوت ومضاجعة النساء حتى يعاد بناء معبدهم ، وتوالت رسائل رؤسائهم الى كل من أملوا فى مساعدته لهم ٠٠ فكتبوا الى « باجوهى » الوالى الفارسى على « يهوذا » ــ وثمة احتمال بيهوديته على الرغم من اسمه الفارسى ــ والى « يوهانان » حاخام أورشليم وزملائه الكهنة والى كبرائها ٠ ولكن لم يستجب لعويلهم أحـــد ٠

وقد عاودوا الشكاية والاستعطاف فى رسائلهم بعد ثلاث سنوات الى « بأجوهى » مرة أخرى والى «داليا وشليمنا» ولدى « سنبلاط » حاكم السامرة ، عساهما يقنعان أباهما بمعاونتهم ٠٠ كان من تزلفهم فى افتتاحية احدى رسائلهم أن « باجوهى » فى عام ٤٠٧ ق٠م يقول : « أعز رب السماء مولانا كثيرا وعلى امتداد العمر ، وحباه الحظوة لدى جلالة الملك « دارا » ونبلاء الفرس أكثر مما هو عليه الآن ألف مرة » الخ ، ثم وعدوه ان استجاب لهم وكتب الى أصدقائه فى مصر لاعادة بناء المعبد واعادة القرابين والبخور والمحروقات (على نفقة الدولة) أن يقدموا كل هذا باسمه ويصلوا من أجله هم ونساؤهم وأطفالهم وكل اليهود الموجودين معهم ، ولعلهم أرفقوا برسالتهم هدايا ملائمة مما

جعل « باجوهى » و « داليا » يعدان رسولهم شفاهة وليس كتابة ، بالسعى لتحقيق أملهم دون الالتزام بتقديم الأضاحى المحروقة التى يجب أن يقتصر تقديمها على معبد أورشليم وحده • والتزم يهود الفنتين بهذا الأمر فكتبوا الى أحد أصحاب النفوذ فى مصر ولعله « ارشام » والى مصر الفارسى يعدونه ان هو سمح باعادة بناء المعبد حيث كان بأنهم لن يقدموا أغناما أو ثيرانا أو ماعزا كأضاح محروقة ، وسوف يكتفون بالبخور وقرابين الطعام والشراب ، وأنهم سوف يقدمون الى بيت مولاهم ذلك أموالا كثيرة وألف اردب من الشعير • ولعلهم قد قدروا هنا فى التزامهم بعدم تقديم الأضاحى المحروقة أمرا آخر ، وهو احترام شريعة المجوس التى حرمت تدنيس النيران بجثث الحيوانات •

ومضى عهد « دارا الثانى » ونكاية فى المصريين حصل اليهود من خلفه « أرتاخشاشا » ــ « ارتاكسركيس » الثانى على وعد بتنفيذ مطلبهم وربما فى مقابل وقوفهم فى وجه الثوار المصريين أيضا • ويبدو أنهم أعادوا معبدهم بصورة ما ، وبعد قليل أعلن الملك المصرى « آمون حر » نفسه فرعونا وحرر البلاد من الفرس فى حوالى عام ٤٠٤ ق•م ولو أن وثائق الآراميين واليهود فى الفنتين لم تؤرخ باسمه حتى العام ٤٠١ ق•م ، مما يعنى ترددهم فى الاستجابة له • ثم انقطعت وثائقهم بعد عام ٣٩٩ ق•م ، مما يدل على تبدد شملهم خلال عهود الأسرات الفرعونية الأخيرة وان استعادوا بعض وجودهم مرة أخرى بعد ذلك فى بداية العصر البطلمى •

(٣٨)

سر نقـــــوش

« سرابيط الخادم » فى سيناء

الكنعانيون ٠٠ أول من استعمل الحروف الهجائية فى الكتابة ٠ ومنهم انتقلت الى الفينيقيين الذين نقلوها بدورهم بين عامى ٨٥٠ ، ٧٥٠ قبل الميلاد الى الاغريقية واللاتينية ، وصارت تعرف فى اليونانية باسمها العربى « الألف باء » ٠ وقد احتفظ اليونانيون بنفس الترتيب الذى وضعه الفينيقيون من حيث التسلسل ومن حيث طريقة الكتابة من اليسار الى اليمين وفق الطريقة الفينيقية الأصلية ٠ والفينيقيون والكنعانيون تسميتان لمسمى واحد سنتعرض له فيما بعد ٠ وقد ظل أكثر العلماء الذين قاموا بدراسة نشوء لحروف الهجائية يرون أن الأبجدية الفينيقية هى أول الأبجديات وأقدمها ، وأن الفينيقيين هم أول من استعمل طريقة الكتابة بها ٠ وقد أخذوا أصولها من الكتابة الهيروغليفية المصرية ، بل

وعثر على كتابة بالاحرف متصلة بالكتابة المصرية أقدم بكثير من الأبجدية الفينيقية ، وهى الكتابة التى اكتشفت فى شبه جزيرة سيناء فى موضع يسمى « سرابيط الخادم » ويعود تاريخها الى سنه ١٨٥٠ قبل الميلاد وقد اطلق عليها اسم « كتابة طور سيناء » أو « النقوش السينانيه » او « الابجدية الطور سينائية » • وهذه الكتابة البسيطة جاءت باللهجة الكنعانية القديمة وتعد حلقة الوصل بين الهيروغليفية التصويرية والابجديه • وقد عثر عليها فى المعبد المصرى القديم عند مناجم الذهب المصرية فى سيناء ، وهى تحمل اسم الالهة « بعل ايث » الالهة السامية العربية المعروفة باسم الالهة «حتحور» ، ثم وجد عدد من هذه النماذج بنفس الاحرف فى سيناء أيضا ، كما وجد من هذه النماذج فى جنوب فلسطين و «شكيم» و « لخيش » وقد كتبت كل هذه النماذج باللهجة الكنعانية القديمة •

ويعلل الخبراء كيفية نشوء فكرة الاخذ بالاحرف بدلا من الصور ، بأن الكنعانيين الذين كانوا يعملون فى مناجم طور سيناء اهتدوا الى التدوين بالحروف الابجدية بأن اختزلوا الكتابة الهيروغليفية التى تشير الى المعانى ومقاطع الكلمات بصور واشارات واكتفوا بالحروف الأولى من أسماء الصور ، فتكونت عندهم مجموعة من الحروف شكلت الأبجدية الأولى فأخذوا مثلا صورة رأس الثور عن الهيروغليفية ، فأغفلوا لفظها فى اللغة المصرية وأطلقوا عليها ما يقابلها فى لغتهم الخاصة بهم فصارت هذه العلامة الألف • وعلى هذا النمط عالجوا صورة البيت ، فأطلقوا عليها ما يقابلها فى لغتهم واعتمدوا على الحرف الأول من اسمها وهو الباء وهكذا •

ومن هذه الاحرف تكونت الابجدية ، وهي مؤلفة من اثنين وعشرين حرفاً ، وقد انتشرت هذه الابجدية التي تعد أبجدية معروفة حتى الآن شرقا وشمالا وجنوبا ، فصارت أصل الأبجديات في هذه الاماكن بعدما تطورت في كل منها حسبما اقتضته طبيعة لغة أهله ، فمنهم من حافظ على شكلها الأصيل كما وضعت في الأصل ، ومنهم من غير فيها وأضاف اليها أو أنقص منها • يؤكد الدكتور ولفنسون أن الخط الكنعاني هو من صنع الكنعانيين واختراعهم وحدهم ؛ لأنه لا دليل مطلقا على وجود أبجدية حرفية من هذا النوع عند غيرهم من الأمم •

ومن أهم الابجديات التي اكتشفت الأبجدية الأوجاريتية ، وقد عثر عليها سنة ١٩٤٩ في رأس الشمرا « موضع اوجاريت الفينيقية القديمة » ، ويرجع تاريخ هذه الأبجدية التي كتبت على لوح من الفخار الى القرن الخامس عشر أو القرن الرابع عشر قبل الميلاد • وقد عثر على ألواح كثيرة أخرى بهذه الأبجدية على الصلصال المفخور بالنار على الطريقة العراقية ، قد دونت بالكتابة المسمارية مع أنه لا علاقة لها بالكتابة المسمارية العراقية • وقد ظهر من هذه الكتابات أن الأبجدية الأوجاريتية هذه كانت تتألف من اثنين وثلاثين حرفا وقد دونت من اليسار الى اليمين على خلاف الأبجديات الأخرى ، مع أنه وجدت كتابات أوجاريتية في فلسطين دونت من اليمين الى اليسار ، وهذه الكتابات كلها دونت باللهجة الكنعانية القديمة •

وقد عثر في موضع بيبلوس القديمة « مدينة جبيل حاليا » بين بيروت وطرابلس ، على كتابة مهمة نقشت على

تابوت حجرى للملك بيبلوس « أحيرام » ، وهذه دونت بأبجدية مؤلفة من ٢٢ حرفا من اليمين الى اليسار ، وقد أرجع تاريخها الى القرن الحادى عشر أو العاشر قبل الميلاد ، كما اكتشفت كتابات بالابجدية الفينيقية فى قبرص ومالطا وصقلية وسردينيا واليونان وشمالى افريقيا ومارسيليا واسبانيا وشرق قليتية ٠

من جهة أخرى عثر على ابجدية متاخرة دونت فيها كتابة على مسلة تعود الى عهد الملك « ميشع » ملك « مواب » منتصف القرن التاسع قبل الميلاد عرض فيها انتصاراته على «يهورام» ملك اسرائيل (٨٥٢ ـ ٨٤١ق٠م) ٠ وفى وصف ادبى رائع لتطور الابجدية واثبات اصلها الكنعانى العربى يقول العقاد : «وأيا كان قول المؤرخين والرواة فهذه المسألة من المسائل التى لا حاجة بها الى التاريخ الرواية ، لان أسماء الحروف وأشكالها ومعانيها شاهدة بانتقالها من المصادر العربية سواء أكانت فينيقية أم آرامية أم يمنية من الجنوب ، فالأبجدية تسمى عند اليونان « ألفا ٠٠ بيتا » وتبدأ بالألف والباء والتاء ٠ ثم تتوالى فيها حروف كثيرة بلفظها العربى فى العصر الحاضر على وجه التقريب ٠ وليس لأسماء الحروف معان مفهومة فى اللغة اليونانية ، لكنها بهذه الأسماء مفهومة المعنى فى لغتنا العربية العصرية ، فضلا عن اللهجات العربية الغابرة ، وأقرب هذه الحروف الى المعانى العربية الشائعة فى أيامنا حرف الباء من بيت ، وحرف الجيم من جمل ، وحرف العين من عين ، وحرف الفاء من فم ، وحرف الكاف من كف ، وحرف الميم من ماء ، وحرف الياء من يد ، وأشكالها المرسومة قريبة من أسمائها الأولى كما يرى فى شكل

البيت وشكل رقبة الجمل وشكل العين وشكل الفم وغيرها من الأشكال ، واذا رجعنا الى نطق اسماء الحروف كما شاعت أول استعمالها فى البلاد العربية بينت لنا العلاقة بين اشكالها ومعانيها جميعا بغير استثناء حرف واحد من الحروف، فكلها أوائل كلمات مفهومة من بقايا الكتابة التصويرية المصرية التى ترسم الشكل كله ، وتأخذ من الكلمة حرفها الأول عند الكتابة بالحروف » ٠

يتضح من كل هذا أن أقدم كتابة بأقدم حروف أبجدية معروفة حتى الآن هى الكتابة السينائية ـ الكنعانية القديمة ، وقد قسم علماء اللغات الأبجدية التى تفرعت من الكنعانية القديمة الى مجموعتين رئيسيتين ٠٠ المجموعة السامية الشمالية والمجموعة السينائية العتيقة ٠ وقد تفرعت من المجموعة الأولى الكنعانية وفروعها الفينيقية والعبرية القديمة والقرطاجية والليبية والآرامية وفروعها النبطية والعبرية المتأخرة المعروفة بالمربع والسينائية المتأخرة والعربية غيرها ٠ أما المجموعة السينائية العتيقة فقد تفرعت منها السامية الجنوبية والسبئية والاثيوبية وغيرها ٠

وفى هذا السياق، فقد لعبت شبه الجزيرة العربية الدور الأكبر فى تطوير الثقافة العالمية ، فهى كما ثبت مهد الكتابة الأبجدية التى أظهرها الكنعانيون لأول مرة فى طور سيناء وفى جنوبى فلسطين ، وبعدما تنقلت فى أرجاء الجزيرة وأطرافها تطورت الى عدة أبجديات ثم عادت فاستقرت فى قلب الجزيرة فى شكلها الأخير (عربية القرآن الكريم المأخوذة عن النبطية المتأخرة) ، كما يتضح أنه لم يكن هناك

أى دور للكتابة العبرية لا من قريب ولا من بعيد فى نشوء الأبجدية وتطورها ، وهى لم تتعد كونها أحد الفروع التى اكتبست أبجدياتها من الأبجدية الكنعانية العربية والأصيلة ٠

نشير هنا الى كلام جاء في كتاب « مارجوليوث » ٠٠ « العلاقات بين العرب والاسرائيليين » جاء فيه : « يرد على الخاطر سؤال عن أسماء المواقع التى تظهر على خريطة اليونان مثل « عسكرا » اى المعسكر و « فندس » اى الجبل من الفند، وهو الجبل العظيم باللغة العربية و « لاريسا» اى العريشة أو الخيمة ، الى امثال هذه الأسماء التى تشبه أسماء المواقع فى الأندلس بعد الفتح الاسلامى ، ويتبادر الينا السؤال :

ألا تشير هذه الأسماء الى حضارة عربية عريقة وصلت الى اليونان ومعها حروف أبجدية قبل أن يصل اليها الفينيقيون بحروف تخالفها ؟

العرب هم أيضا أول من تكلم اللغة السامية ، وهذا ما يؤكده « أولمستد » في كتابه « تاريخ فلسطين » الذي جاء فيه بالحرف الواحد « ان البدو العرب كانوا أول من تكلم باللغة السامية ، واذا أردنا أن نتفهم الخصائص الأصيلة لهذه المجموعة من اللغات السامية على حقيقتها ، علينا أن نتجه الى العرب أبناء البادية ، فهم وحدهم حافظوا على العادات والتقاليد القديمة دون أن يطرأ عليها أى تغيير » ٠

ويرى « دى غويه » ان اللغة العربية من بين جميع اللغات السامية هي أقربها الى اللغة السامية الأم ، وأكثرها اتصالا مباشرا بها ، كما يقول الدكتور « ولفنسن » : يؤكد العلامة « أولسهوزن » أن اللغة العربية هي أقرب جميع اللغات

السامية الى اللغة السامية القديمة ، ودعم رايه هذا بجملة شواهد وادلة ارتاح لها كثير من علماء الافرنج ، ونحن اذا نظرنا الى المعضله من ناحيه القسرابه بين احدى اللغات السامية واللغة الاصلية ، يمكننا القول ان اللغة العربية تشتمل على عناصر لغوية قديمة جدا بسبب وجودها فى مناطق منعزلة عن العالم بعيدة عما يتوارد عليه من تقلبات وتغيرات يكثر حدوثها وتختلف نتائجها اختلافا مستمرا فى البلدان العمرانية .

ومع أن الاستاذ « اوليناری » يؤيد كون الجزيرة مهد اللغات السامية ، وان اللغة العربية تمثل اللغة السامية النقية لعدم تأثرها بالعناصر الاجنبية ، فانه يرى أن اللغات السامية لم تاخذ بساميتها الخالصة الا بعد خروجها من موطنها الأصلى أى بعد احتكاكها مع خليط من السكان غير الساميين نتيجة للهجرات من جزيرة العرب وهو يقول :

يبدو أن اللغه العربية تمثل الى حد معين اللغة السامية النقية ، لانها حافظت على كونها اللغة الأقل تاثرا بالعناصر الاجنبية ، ولكننا غالبا ما نجد أنه على الرغم من اختفاء التراكيب العربية فى العبرية والآشورية بعدما كانت ظاهرة فيهما بوضوح تام ، فان آثارها باقية فى العربية ، وقد كان انتشار اللغات السامية من الجزيرة العربية كمركز لها ، وهذا لا يحتم بأن الجزيرة العربيـة كانت موطنا للجنس السامي أو أن اللغات السامية لم تكن مقتبسة من اللغة الحامية أو غيرها ، لكن الشيء الواضح هو أن الجزيرة العربية كانت المكان الذي ظهرت فيه الخصائص التى تتميز بها اللغات السامية . غير انه لا يمكننا اعتبار اللغة ظاهرة

بساميتها الخالصة الا بعد خروجها من موطنها الأصلى ، اذ نستطيع أن نحدد بثقة والى حد بعيد تاريخ الفترة او التاريخ الدقيق فى بعض الاحيان نظهور احدى اللغات السامية خارج الجزيرة العربية • هذا فى حين انه ليس لدينا اى دليل يقودنا الى تحديد تاريخ ظهور اللسان السامى الاول فى الجزيرة ، ويدلنا التاريخ على أن انتشار اللغات السامية مرتبط بهجرات الساميين المتتابعة من جزيرة العرب الى بلاد ما بين النهرين وارض كنعان وسوريا والحبشة وشمال أفريقيا • اما تكوين اللغات أو اللهجات المختلفة فيعود العامل المهم فيه الى أن كلا من اللغات السامية خارج الجزيرة كانت تحت تأثير التداول بين خليط من السكان غير الساميين ؛ مما أدى الى حدوث تغييرات لفظية وتعديلات لغوية • فضلا عن اجمال القواعد النحوية ، كل ذلك أدخل عدة اضافات على مفردات اللغة •

نقول فى هذا الصدد ، ان مصر سبقت غيرها من الشعوب ، نذكر على سبيل المثال أن أهل بلاد النهرين بدأوا الكتابة التصويرية فى أوائل الألف الثالث ق•م ثم تطوروا منها الى الكتابة المسمارية بعد عهود قليلة • وبدأ أهل كريت كتابتهم التصويرية فى أوائل الألف الثانى ق•م ثم بدأوا كتابتهم الخطية فى القرن السادس عشر ق•م أو قبله بقليل • وعرف أهل « ميكيناى » فى شبه الجزيرة الاغريقية الكتابة فى القرن الخامس عشر أو الرابع عشر ق•م • وكتب أهل رأس الشمرا (أوجاريت) فى الشام بحروف هجائية وخط مسمارى منذ القرن الخامس عشر أو الرابع عشر ق•م • وكتب أهل جبيل (ببلوس) الفينيقيون نصوصهم بالحروف

الهجائية منذ القرن الحادى عشر او العاشر ق٠م٠ وربما بدات مرحلة الكتابة فى اليمن فى نفس الوقت او بعده بقليل ٠ واستعاد الاغريق كتابتهم واستخدموا فيها الحروف الهجائية منذ القرن التاسع ق٠م على وجه التقريب ، ويمكن أن نضيف على سبيل المقارنة بين الشرق وبين الغرب أن عصور الكتابة فى الجزر البريطانية تآخرت حتى القرن الاول الميلادى ، وهو القرن الذى أدخل الرومان خلاله حروفهم اللاتينية اليها ٠

وقد توافرت اعتبارات الكتابة وتوابعها فى دنيا المصريين منذ أواخر الألف الرابع ق٠م وكانوا قد بدأوا تباشير الكتابة خلال الفترات الآخيرة من فجر تاريخهم القديم وبدأوا فيما يحتمل بطريقتين ٠٠ طريقة تخطيطية لم يقدر لها الشيوع ، وأخرى تصويرية استمروا عليها وكانت طريقة تعبر عن الشيء بصورته التقريبية وتصلح الى حد ما للتعبير عن الماديات دون المعنويات ، فيما خلا حالات معنوية قليلة عبرت فيها صورة الذراع عن القوة وصورة الساقين عن الحركة وصورة الأذن عن السمع والعين عن الرؤية ٠ ثم جمعوا اليها علامات أصطلاحية تؤدى غرض المقاطع الصوتية أى تدل كل علامة منها على مقطع صوتى ذى حرفين أو ثلاثة حروف ويمكن أن تعوض النقص فى التعبير عن الأوصاف والمعنويات ، حين يشترك لفظها مع كمية معنوية تماثله فى صوته يدل عليها ٠ واستمروا يزيدون أعداد هذه وتلك وأنواعها لتفى بمطالب كتابتهم ثم أضافوا اليهما حروفا هجائية بلغت عدتها عند اكتمالها أربعة وعشرين حرفا ٠٠ وكانت تجاربهم ميعها هي الخطوات الحاسمة فى تطور

كتابتهم • وتصادف أنه بدأت عندها عصـــورهم التاريخيـة وقد اصطلحوا على الكتابة منذ ذلك الحين بخطين ، دفعتهم روح المحافظة على أن يجمعوا فيهما صور الاشياء والمقاطع الصوتيه والحروف الهجائية فى ان واحـــد • وظل أول الخطين يغلب عليه طابع التصوير المتقن وروح الزخرف • وقد نقشوا به نصوصهم على سطوح اللوحات الحجرية وما يقوم مقامها مما يصلح للنقش عليه من الخشب والابنوس والعاج وعلى جدران المعابد والمقابر ، كما دونوا به بعض نصوصهم الدينية على صفحات البردى ، وظل الخط الثانى مختصرا سريع الآداء يعتمد على الصور المختصرة التى تطور بعضها مع الزمن الى آشكال خطية ، وقد سجلوا به شئونهم الحكومية ودونوا به رسائلهم وآدابهم وعقودهم الشخصية وشئونهم اليوميه ، ولم يكن انفارق بين الخطين يزيد كثيرا عن الفـــارق الحـــالى بين خطوط اللافتـــات والعنـــاوين وبين خط الرقعـــة اليدوى السريع • وقد عبر المصريون عن الخطين بكلمة «سش» بمعنى الكتابة ، وان ميزوا اولهما فأدمجوه فيما أطلقوا عليه اسم «مدونثر » بمعنى أقوال الرب أو الأقوال المقدسة اشارة الى قداسة أصله واكبارا لأصحاب انفضل الاول فى اختراعه ، وعندما وفد الاغريق الى مصر أطلقوا على الخط الاول اسم الخط الهيروغليفى بمعنى الخط المقدس ، وأطلقوا على الخط الثانى اسم الخط الهيراطيقى بمعنى الخط الكهنوتى فضـــلا عن خط ثالث استحدثه المصريون فى أواخر عصورهم القديمة خلال القرن الثامن أو السابع ق•م وجعلوه أكثر ايجازا فى تخطيطاته وصورة من خطهم الثانى ، وأطلق الاغريق عليه اسم الخط الذيموطيقى بمعنى الخط العام أو كتابة الجمهور ، ثم خط رابع استخدمه المصريون بعد اعتنـــاقهم المسيحية

واستعاروا أشكال أغلب حروفه من صور الحروف اليونانية وهو الخط القبطى • والواقع أنه مهما يبدو للعين المعاصرة من غرابة صور الكتابة المصرية القديمة التى بدأها أصحابها منذ نيف وخمسة آلاف عام وسبقوا بها أمم العالم المتحضر القديم ، فان هذه الغرابة يمكن أن تقل اذا قدرنا أن الحروف التى نكتبها اليوم عربية كانت أم لاتينية ليست غير تطورات أخيرة لصور قديمة عرف علماء اللغات بعضها وعزت عليهم معرفة أصول بعضها الآخر • وحسبنا منها حرف F وحرف J فى الكتابة الافرنجية السريعة ، والحرف الاول من الابجدية العربية الذى هو عبارة عن كلمة من ثلاثة حروف أو أربعة وهى ألف أو اليف وكان يرمز بصورته الأولى الى رأس ثور والباء حرفها الثانى الذى رمزت صورته الأولى الى هيئة بيت وحرف الجيم حرفها الثالث الذى لم يكن غير اختصار للكلمة جمل واختصار لهيئة رأس الجمل ••

واهتدى المصريون المبدعون من أهل الفترات الأخيرة للألف الرابع ق•م الى جانب علامات الكتابة وحروفها الى تصوير رموز مفردة بسيطة عبروا بها عن العشرات الحسابية ومضاعفاتها أى المائة والألف وعشرة الآلاف ومائة الألف وألف الألف (أى المليون) ، وأفضى استخدامهم لها الى سهولة ضرب وقسمة العشرات ومضاعفاتها كتابة وسهولة تسجيل المجاميع العددية الكبيرة فى وحدة مرتبة متصلة تستطيع العين أن تلم بها فى نظرة واحدة • واقترن التطور الفكرى لابتداع الكتابة والحساب بتطور صناعى لصناعة أوراق البردى البيضاء ، واستخدام المداد وأقلام البوص الرفيع للكتابة عليها وعلى نحاف الأحجار وكسر الفخار ، فضلا عن استمرار نقش

النصوص على لوحات الحجر وعلى بطاقات الخشب والأبنوس والعاج وأفضى ذلك كله الى تيسير تناقل معارفهم من جيل الى جيل والى تنظيم أعمالهم الحكومية وحفظ معاملاتهم الشخصية وتيسير تعميم مشروعاتهم المعمارية ·

والى اليوم بقيت كلمات مصرية قديمة حية بين لغة المدنية الدارجة اليوم بالعامية ، منها « كركر » من الضحك ، « ومأهور » حزين ، « وكحكح » وصل الى مرحلة الشيب ؛ و « بطط » و « فتح » و «تاتا» و «هبه» و «واوا» و «حمرأ» و « قن » و « دح » وكلمات أخرى مصرية أصبحت فى العربية منها : ابن ، أخت ، أم ، اصبع ، بئر ، شاش ، قماش ، بحر ، تمساح ، ثلج ، تفاح ، جناح ، تل ، بركة ، بطحة ، عقل ، حجر ، وغيرها ·

(٣٩)

الفراعنة ٠٠ أصحاب الاختراع
الأصيل لأبجديات لغات العالم

لقــد طبقت أرض الرافدين نظاما واحــدا للكتابة على لغتين مختلفتين تمام الاختلاف ، لم تكن احداهما سامية ، وانما كانت لغةالسومريين، وهم الشعب الذى كان يسكن البلاد فى الألف الثــالث ق ٠ م ٠ وكانت اللغــة الأخــرى لغــة البابليين والآشوريين ٠ وبعــد أن فهم نظام الكتــابة فهما كافيا تيسر تفسير اللغتين البابليــة والآشــورية بمعرفة اللغات السامية الأخرى ، ولهــذا لم يكن هذا الجانب من العمل أمرا شديد التعقيد ، فاللغة نفسها أى الأكدية ليست بالغة الصعوبة اذا قورنت بغيرها من اللغات السامية ٠ وعــلى الرغم من أن *اللغة نفسها لم تكن كذلك، كان نظام الكتابة* وهو سومرى الأصل شديد التعقيد ، فعلاماته مستنبطة من صور الأشياء ، وهذا النوع من الكتابة مأخوذ من المصريين القدماء وتسمى بالكتابة التصويرية

Pictographic لأنه يدل على الشيء برسم صورة له أو لجزء مميز من أجزائه ، فلكتابة (سمكة) مثلا ترسم صورة لها ، ولكتابة (ثور) ترسم صورة لراسه وقرنيه ، ولكتابة « قمح » ترسم سنبلة • وكان يدل على الافعال بضروب من الأساليب البارعة فصورة القدم تعنى « الذهاب » ، وصورة فم الرجل مع اضافة العلامة الدالة على الخبز أو الماء تعني (الأكل) أو الشرب وهكذا •

ولم يكن من اليسير على السومريين بعد أن أخذوا الكتابة التصويرية هذه أن يرسموها بصور دقيقة أو خطوط منقوشة على الصلصال الأملس • فحولت الرسوم المختلفة الى مجموعات من الخطوط على نمط خاص تمثل فقط الفكرة التى كانت تدل عليها أصولها ومن ثم سميت رموزا Ideograms • وبعد الكتابة التصويرية ، نشأت تلك الصورة الجديدة من الكتابة وتسمي صوتية Phonetic وكان اختراعها خطوة واسعة الى الأمام نحو تبسيط نظام الكتابة والوصول الى التمام ، ولكنها كانت أيضا شديدة الصعوبة ، فالقيم الرمزية Ideographic للعلامات لم تختلف تماما عن المصرية ، فكانت كثير من العلامات تفسر اما على أساس رمزى واما على أساس صوتى حسب السياق ، الى جانب أن معظم الرموز وهى وافرة الكثرة تتألف من علامات لكل منها أكثر من قيمة صوتية مثال ذلك العلامة المشتقة من قدم الانسان فهى قد تقرأ gin (سار) أو gub « وقف » أو Tum « حمل » ، كما يمكن أن تقرأ قراءات أخرى • ولكى تتيسر قراءة العلامات قراءة صحيحة كانت تضاف علامات

تحديدية determinatives أو مكمــلات صـــوتية Phonetic Complements وهذه مأخوذة بالطبع عن النصوص المصرية القديمة ٠

ان أقدم المصادر التى وضعت أسس الكتابة هى النقوش السينائية المصرية ، وهى اقدم بالطبع من المصادر المباشرة للنقوش التى كشفت فى منطقة ســوريا وفلســطين والتى سنتطرق لها بعد ذلك ٠٠

والنقــوش السينائية المصرية التى يمــكن نســبتها الى النصف الاول من الألف الثانى قبل الميلاد ، واقدم نصوصه التى ترجمت منها ترجمة يمــكن التعويل عليهــا تنتمى الى بداية النصف الثانى من الالف الثانى نفسه وهى الفترة التى ترجع اليها النصــوص الوفيرة التى كشــفت فى أوجاريت Ugarit وهى النصــوص التى كشــفت فى رأس الشــمرة بســوريا ، وهى مكتــوبة بلغــات مصرية وأكدية وحيثيــة وحورية ؛ ومن ثم نشأت مشكلة حل رموز هذه اللغة ٠

ولعل اختراع الأبجدية هو المرحلة الأخــيرة فى سلسلة طويلة من التطور تبدأ بشىء لا يستحق اسم الكتابة ، وهــو استعمال المرئيات لتمثيل أشخاص أو أشياء أو أحــداث أو أفكار معينة أو التذكير بها ٠٠ وأول خط من هــذه الكتابة يستحق هذا الاسم هو « الكتابة التصــويرية المصرية ، وقد رأينا من قبل كيف أن شعوب أرض الرافدين أقامت مثل هذا النظام ، ثم تطور هذا النظام الى استحداث نظام صوتى تقوم فيه علامات مختلفة مقام مقاطع مختلفة ٠

لقد تطورت الكتابة الهيروغليفية المصرية تطورا عظيما فى هذا المضمار ، اذ انها مضت أبعد من ذلك بقصر القيمة

الصوتية لعلامات معينة على الحرف الأولى فقط Ocropnony فأنشأت نوعا من الكتابة الأبجدية • ولقد ظل هـذا التطور عنصرا مسـاعدا فى نظام الكتـابة تغلب عليـه الصـبغة التصويرية والمقطعية •

لقد لفت « فلندرز بترى » النظر فى أوائل هذا القرن الى أن النقوش السينائية المصرية هى ابجدية فيما يبدو ، اذ انها تشمل علامات تنطوى على شبه معين بالكتابه الهيروغليميه المصرية ، ولكن لا يمكن تفسيرها على أنها هيروغليفية ولهذا بدأت محاولات لتفسيرها على أنها علامات أبجدية نشأت عن قصر القيمة الصوتية لعلامات معينة على الحرف الأول الذى تأثرت به اللغة السامية من قبل ، اذ المعروف ان المناجم التى وجدت فيها النقوش كان يعمل بها عمـال سـاميون •• ان الكتابة الأبجدية الكنعانية هى صورة طبق الأصل من النقوش السينائية المصرية والتى ترجع الى بداية الألف الثانى قبـل الميـلاد • وان أقـدم نقش فينيقى أبجدى فلسطينى الطابع هو النقش المكتوب على تابوت «احيرام» ، وهو يرجع الى نهاية الألف الثانى ق•م وصورة الأبجـدية التى كتب بها هـذا النقش تشبه الى حد كبير الأبجـدية السينائيـة المصرية • ويتلقف الفينيقيون أصول الأبجـدية وصـورتها النهـائية يأخذونها ويصبغون عليها الصورة الفينيقيةللأبجدية ، وتلك هى التى سـادت فى العـالم السـامى وانتشرت فيما وراءه باعثة الأبجديتين اليونانية واللاتينية •

ولعل الاختراع الأصيل للأبجدية فى حد ذاته ، والذى يكمن فى استعمال المصريين لطريقة قصر القيمة الصوتيـة لعلامات معينـة على الحـرف الأول هـو الذى أوحى بذلك

الاختراع .. فقد كانت الموانىء الفينيقية أوثق أرجاء سوريا وفلسطين اتصالا بمصر ، علاوة على ذلك فان النماذج الأصلية التى أقيمت على أساسها الحروف مشتقة من رموز هيروغليفية مصرية .

حكاية اللغات السامية

قبل القرن الثامن عشر كان يشار الى لغات آسيا وشعوبها باسم جامع هو اللغات أو الشعوب الشرقية . ولكن القرابة بين بعض اللغات اسامية كانت تلاحظ من حين الى حين ، فقد كانت تلاحظ مثلا حين تجمع أحداث التاريخ بين الشعوب التى كانت تتحدث بتلك اللغات ، فاليهود فى اسبانيا مثلا حين اتصلوا بالعرب المتوغلين فى أوروبا عبر شمال أفريقيا استطاعوا ملاحظة الشبه بين لغتهم ولغة العرب الفاتحين .

وطريقة الساميين فى بناء الكلمات قد يعجب بها المتكلمون بالانجليزية والألمانية أقل مما يعجب بها المتكلمون باحدى اللغات الرومانسية مثلا ، ففى الانجليزية صيغ فعلية مثل Sing-Sang-Sung واسم مثل Song حتى الجموع قد تصاغ على نحو مماثل كالجمع man-men ، ولكن بينما نجد هذا النوع من البناء حتى فى الانجليزية مقصورا على كلمات معينة نراه شيئا فشيئا طبيعيا فى اللغات السامية . ومن الأمثلة الطريفة أن الكلمة الانجليزية Inch (بوصة) موجودة عند العرب فى صيغتها المفردة فقالوا (انش) . ثم جمعوها على «أنش» بضم الألف والنون ، وهو جمع طبيعى واضح تماما فى نظر العرب . ويمتاز الفعل السامى بسلسلة من الأوزان المزيدة التى تعبر عن معان مشتقة من المعنى

الاساسى وتصاغ بتغيير الجذر تغييرات ثابتة ، وهكذا يعبر عن شدة الفعل او تكراره وعن انسببية وعن البنـاء للمجهول والمطاوعة والمشاركة فى الفعل ، وانطبيعى الا نشير الى انفعل السامى بصيغة مصدره ولكن بصيغة ماضى الغائب منه ، فهى أبسط صيغة ، فاذا ترجمناه الى اللغة الانجليزية دللنا عليه بصيغة المصدر فى هذه اللغة فالفعل To write يعبر عنـه فى العربية «كتب» ، وان كانت هذه الصيغة تعنى فى الواقع He has written • ونظام التراكيب فى اللغات الساميه غير ما نسميه الجمل الفعلية والجمل الاسمية ، ففى الجمـل الفعلية وهى الصورة العـادية للتعبير عن حـدث او مرحلة يوضع الفعل فى المصدر ثم يتبعه الفاعل • ولكن فى الجمل الاسمية يوضع المسند اليه فى المصدر وتكون بقيـة الجملة مسندا يخبرنا بشيء عن ذلك المسند اليه وفعل الكينونة To be يفهم عادة من السياق ونجد مثل ذلك فى بعض اللغـات الأوروبية •

هـذه الخصـائص اللغوية السامية التى وصفناها هى بالطبع مجرد نماذج من مجال أوسع كثيرا ، وهى تتسع أيضا للشواذ لكنها تكفى صورة عامة للملامح المميزة فى المجموعة السامية من حيث هى أسرة لغوية خاصة • وقد تضم جميع العناصر المشتركة بعضها الى بعض •• فيصاغ منها كيـان نظرى للغة سامية أصيلة • هذا هو دليل على الصلات الوثيقة بين اللغات السامية وبين اللغة المصرية القديمة فى عصورها التاريخية •• ثم بعد التأثر والتأثير من قبـل لغـة المصريين القدماء وفى هذه الحقبة تقسم اللغات الى مجموعات رئيسية تصلح أساسا لتقسيم الشعوب التى كانت تتحدث بها :

المجموعة اللغوية السامية : ينتمى اليها أقدم ما لدينا من نصوص ، هى المجموعة اللغـوية الخاصـة بالأكديين آى السكان الساميين لأرض الرافدين ·· البابليين والآشوريين ·

المجموعة الثانية : هى مجموعة اللغـات التى تسـمى الكنعانية ، لأنه يتحدث بها فى المنطقة التى تسميها التوراة كنعان ، وهى تشمل فلسطين وجزءا من سوريا · والكنعانية من حيث هى مجموعة لغوية تستوى مع الكنعانيين من حيث هم مجموعة من الشعوب فى تعقيد التركيب ، وفى الشكوك التى تحيط بدعوى اعتبارها أو اعتبارهم وحدة خاصة ، والى هذه المجموعة اللغوية تنتمى العبرية ·

المجموعة الآرامية : وهى طائفة من اللهجـات وجـدت أولا فى سوريا ؛ لكنها بعد ذلك توغلت بعيـدا فى المنـاطق المحيطة بها ·

المجموعة العربية : وقد وجدت قبل زمن سيدنا محمد (ﷺ) فى كثير من النقوش وخاصة اليمن ، ولكن استقر طابعها الكلاسيكى فى القرآن الكريم والأدب الاسلامى بعد ذلك ·

المجموعة الخامسة والأخيرة : هى الأثيوبيـة التى كان يتكلم بها المسـتوطنون السـاميون فى الحبشـة ، وكانت الحبشية لغة واحدة فى العصور القديمة ، ولكن فى العصور الوسطى فقط صارت مجموعة ، وذلك بانقسامها الى لهجات يتميز بعضها عن بعض تميزا واضحا ·

علاقة اللغة المصرية بالعربية

كان خير ما تضمنته قصور اوجاريت آلافا عدة من ألواح الكتابة التى كتبت باللهجة السامية الغربية وبمفردات مقروءة ، وكانت هى المرة الاولى التى اهتدى فيها بعض أهل بلاد الشام الى الحروف الهجائية ، وانكانوا قد اكتبوها بعلامات مسمارية وعلى الواح من الصلصال كعادة اهل بلاد العراق ، وقد تشابه ترتيب هذه الحروف الهجائية الى حد ما مع ترتيب حروف الهجاء العربية الاصطلاحى ، وقد تضمنت النصوص التى كتبت بها ولا سيما النصوص الادبية منها أفعالا وأسماء تتشابه مع مثيلاتها فى اللغة العربية ، مثل أفعال (يشبع ـ يسمع ـ يملأ ـ يثقب ـ يقوم ـ يجب ـ يخلق ـ يبكى ـ يكبر ـ يسبح) ومثل أسماء (رب ـ عبد ـ ملاك ـ غلام ـ شاب ـ ذراع ـ لب ـ كبد ـ نسر ـ خنزير ـ وعل ـ ابل ـ نهر ـ يم ـ موت) الى آخره ٠

وذلك مما يعنى الصلة بين لغة الأراميين والأموريين ، وبين اللغة العربية باعتبارهما فرعين أو ثلاثة من أم واحدة ، ويعنى كذلك قدم مفردات اللغة العربية الفصحى ، وهو قدم يحل جزءا من مشكلة لا تزال تحير اللغويين حتى الآن ، وهى عدم وجود نصوص عربية فصيحة مطولة ومرتبة تسبق ما يسمى اصطلاحا بعصر الشعر الجاهلى ، الأمر الذى دفع بعض المستشرقين ذوى الميول المتطرفة الى التشكيك فى قدم هذا الشعر نفسه ٠

وهكذا أتت نصوص أوجاريت بما تضمنته من مفردات عربية لتقيم الدليل على قدم اللغة العربية ، وبالتالى قدم أهلها

وان كنا قد قدمنا من ناحية تخصصنا المصرى دليلا آخر أقدم عهدا من ذلك وهو ما نعرفه من أن اللغة **المصرية** القديمة قد تضمنت نحو «٢٠٠» لفظ على الأقل تتشابه مع مثيلاتها فى اللغة العربية ، والأهم من هذا أن اللغة المصرية القديمة قد تضمنت منذ الدولة القديمة ، ان لم يكن منذ ما قبل عصر بداية الأسرات ، من القواعد اللغوية ما تتشابه به الى حد كبير مع قواعداللغة العربية، وذلك مما يعنى قدمهما معا أو قدم الأصل الذى تفرعتا منه ، وقواعد اللغات فيما نعلم هى أكثر دلالة على الصلات بينها وأهم دلالة تشابه المفردات ، واذا كان هناك ما يضاف الى ذلك فهو أن النصوص الأوجاريتية قد تضمنت كلمات تشبه مثيلاتها فى اللغة المصرية القديمة مثل (Ink – أنا) (Cni) يعين ، و (mi), كيف مع قليل من التحريف ترتب على اختلاف اللهجة بين اللغتين ، وتضمنت ألواح « رأس الشمرا » أو « أوجاريت » بعض آداب أهلها وأساطيرهم ، ومنها أسطورة « بعل » رب الخصب والمطر ورفيقته «عنات» ربة الحرب ، وخصمه (موت) رب الجفاف . وتقوم هذه الأسطورة على أساس تعاقب الكفاح الطبيعى بين الخصب والجدب ، أو بين المطر والجفاف أو بين ازدهار الطبيعة ومواتها ، ويحتمل أنها كانت تميل الى تغليب عنصر الخير أو عنصر الخصب على عنصر الشر والجفاف ، ثم أسطورة أخرى تصور نزاعا بين الرب (بعل) باعتباره رب المطر والماء العذب وبين اله البحر أو الماء المالح ، وأسطورة ذات طابع انسانى بطلها شاب يدعى « امتهات بن دنيال » وتقص أن قاضيا يدعى « دنيال » لم يكن له ولد ظل يدعو الأرباب ليل نهار ويقدم القرابين لهم٧ أيام من أجل الذرية ؛ حتى استجابوا له ووهبوه ولده الذى سماه « امتهات »

واحتفى بمولده ٧ أيام ، وأكرمه أحد الأرباب بقوس مركب لا مثيل له ، ولكن الربة «عنات» ربة الحرب راودته عن قوسه وأغرته بأن يطلب في مقابله ما شاء من ذهب وفضة فأبى وأغرته بالحياة الأبدية ، فشكك في امكان الحياة الأبدية وأكد لها أن الموت حق ؛ فغضبت وشكته الى «ايل» وطلبت اليه أن ينتقم لها منه فأخبرها أنه لا يؤدى ذلك ولا يستطيعه فهددته بأنها سوف تجعل شعره يجرى مع الدم ، وسوف يفعل كذا وكذا ، فلان لها ووعدها النصر فأخذت تدبر أمرها وتظاهرت أمام «امتهات» بالود والأخوة ؛ ولكنها اتفقت مع مخلوق سكير شرير يدعى « تيبان » ووعدته بأنها سوف تحمله وسط النسور ثم تسقطه فوق « امتهات » وعليه أن يضربه ضربتين على جمجمته وثلاثا على أذنه حتى يسيل دمه ويهرب نفسه كالهواء وتخرج روحه كالبخار من منخاريه ، وفعلت ما دبرته وقتل الغلام ٠ ولكنها أخذت تبكيه وتدعى أنها أرادت قوسه ولم ترد موته، واسترسلت القصة في تصوير نحيب أبيه عليه وعواقب موته ، وربما أرادت هذه القصة أن تشير الى ما يماثل قولنا « لو علم أحدكم الغيب لاختار الواقع » وهو ما ينطبق على « دنيال » الذى أخذه عقمه وطمع في الولد ولم يقدر أن الحاجة سوف تهبه ولدا ثم يفقده ويضاعف حزنه ، ويبدو أن القصة أرادت كذلك أن ترمز الى قوة الارادة البشرية التى تمثلت في « امتهات » وعدم استجابته لاغراء « عنات » ، كما هدفت كذلك الى تصوير عنف انتقام الأنثى اذا غضبت وقدرت ٠

أسـماء ملوك مصر

والى جانب النصوص الأدبيـة ، تضمنت الواح « رأس الشمرا » رسائل بين ملوكها وملوك الحيثيين ورسائل تنبؤات عن ملاحظة سير النجوم ، وعبارات تتحدث عن تربية الخيول وعلاجها ، وعبارات تدل عـلى وجود احصاء للسـكان سواء للخدمة العسكرية او للتمويل الخـاص بوحـدات الجيش او لغير ذلك من الاسباب • وهكذا كشفت « الواح أوجاريت » عن حضارة زاهرة في اكثر من ناحية من نواحي الحياة • والغريب أن اكتشافها بدأ مصادفة ، فعلى بعد ١٠ اميال شمال اللاذقية في سوريا وبجوار قرية ساحلية كان فلاح يحرث أرضه في يوم من أيام عام ١٩٢٨ فأصاب مدخل مقبرة ففتح الطريق أمام البعثات الفرنسية للتنقيب عن آثار المنطقـة ، حيث تعرفت على ٥ مراحل رئيسية للحضارة والعمران في هـذه المنطقة التى بدأت من العصر الحجرى الحديث حتى اواخـر عصر البرونز وبداية عصر الحديد ، وكان أنشط مراحلها اتصالا بمصر هى المرحلة الرابعة التى عاصرت أيام الأسرة « ١٢ » في مصر ، وقد وجدت في أرضها آثار بأسماء الملوك المصريين وأمرائهم وبعض موظفيهم ، ثم تعرضت المدينـة لتخريب في أعقاب عصر الأسرة «١٢» ، لعله ارتبط بصورة ما بغزو الهكسوس ، ثم استعادت المدينة مكانتها في منتصف القـرن الخـامس عشر ق٠م ، وأمكن التعـرف عـلى آثار التحصينات والمعابد والقصـور في هـذه المرحلة ، لولا أن تعرضت المدينة بعد فترة قصيرة لزلزال وحريق ، ثم أعيـد بناؤها واستمرت في طريقها حتى دمرتها هجرات شـعوب البحر في أوائل القرن ١٢ ق٠م •

ونعود الى مصادرنا المصرية فى تصوير الأوضاع ببلاد الشام خلال الدولة الحديثة ، فنجد أن نصوص القرن ١٤ق٠م فى مصر قد نسبت حكم المدن والامارات فى بلاد الشام الى حكام من سلالات مختلفة أو على الأقل من هجـرات وقبـائل مختلفة ، فذكرت لهم أسماء « أمورية » مثل « عبد عشرتا » وولده « عزيرو » وأسماء حورية الأصل مثل « بيرياوازا » حاكم دمشق و «ناتاتنا » حاكم عكا ، وذكرت لهم أسـماء كنعانية مثل ملك « ايلو » حاكم جزر فى فلسطين الحاليـة و « لابآيو » حاكم شكيم وأسماء « موت بعل » و « اياب » الذى يشبه اسم أيوب الى آخره ٠

وأضافت النصوص المصرية والعراقية الى أصحاب هذه السلالات أسماء جماعات أخرى ومنها جمـاعة « انخابيرو » وهى جماعات لازال المؤرخون على غير بينة من أمرها ، ويبدو أن اسمها يعنى « الأحلاف » وأن أفرادها كانوا من البـدو المرتزقة وأنهم عملوا عند من يبذل لهم العطاء ، حتى انهم عملوا فى خدمة الحيثيين وخدمة الميتانيين، ثم انتقل نشاطهم الى جنوب سوريا منذ القرن الرابع عشر ق٠م وأثاروا الشغب وماثلتهم فى هذا جماعات « العابيرو » وهى جماعات أحاط الغموض بها أكثر مما أحاط « بالخابيرو » بحيث ظن بعض الباحثين أنهم كانوا من أجداد العبرانيين على أساس تشـابه التسميتين ، ولقد ذكرتهم النصوص المصرية منذ عهد الملك « تحوتمس الثالث » ، ووصـفهم حاكم أورشليم بقـوله : انهم العبيد الذين أصـبحوا « عابيرو » ٠ كمـا صـورتهم النصوص الآشورية يعملون خدما فى البيوت ، ويذهب الرأى الحديث الى التفرقة بينهم وبين العبرانيين واعتبارهم أقدم منهم وأنهم دخلوا بادية الشام فى بداية أمرهم فى جماعات

قليلة مستضعفة ، وعاشوا بين أهل البلاد عيشة متواضعة ٠ وظهر الى جانب هذين الاسمين للخابيرو والعابيرو اسم جماعات « السوتو » وهى قبائل بدوية أيضا وجماعات « الأخلابو » ثم جماعات « الأراميين » الذين ما لبث أن طغى اسمهم على أسماء بقية الجماعات البدوية المشابهة لهم وأصبح اسما عاما لها ٠ وكان من الطبيعى أن يترتب على تعدد الجماعات فى بلاد الشام بين أموريين وكنعانيين وبقايا حوريين وميتانيين وجماعات من الخابيرو والعابيرو والسوتو والأخلابو والآراميين الى جانب جماعات متوغلة من الحيثيين، أن تتفرق وحدة البلاد ويضعف أمنها وتختلف نزعاتها، وكان لسوء حظها أن شهدت كل هذه الأوضاع فى فترة انصرف المصريون فيها الى سياسة السلام والرفاهية والترف وأسرفوا فيها وهى فترة حكم « أمنحتب الثالث » ، ثم فترة أخرى انصرفت مصر فيها الى مشاكلها الدينية وهى فترة حكم أخناتون ٠

وتوافر بين الحكام فى بلاد الشام أفراد أخلصوا لبلادهم وحرصوا على استمرار روابطها الطيبة مع مصر ، ولكن توافر لذلك منافقون أظهروا لها غير ما أبطنوا وجعلوا بأسهم فيهم أى انقلبوا بعضهم على بعض وغلبوا مطامعهم على صالح بلادهم ٠٠ فراسلوا فراعنتها برسائل الود والاحترام المبالغ فيه ، ولكنهم أظهروا لها العداء وضغطوا على المخلصين لها فأصبح هؤلاء الآخرون يستغيثون بمصر ولا مغيث ويترحمون على أيام استطاعت مصر فيها أن تحقق الأمانى ويأسفون على أيام عجزت مصر فيها عن نجدتهم أو تحقيق أمنهم ٠ ولقد صورت هذه الأقوال مجموعة رسائل دولية كانت محفوظة

بديوان رسائل الملك «أمنحتب الثالث» والرابع وجدت بين أطلال مدينة العمارنة في محافظة المنيا ، فنسبت اليها وسميت باسم «رسائل العمارنة» . وكان الجهد المصرى المشرف على أرض بلاد الشام في عصر الأسرة «١٩» والكفاح المسلح من أجلها دفاعا عنها ، ضد هجرات شعوب البحر في عصر الاسرة «٢٠» ، ومنذ ذلك الحين تغيرت مناطق النفوذ المصرى في بلاد الشام وضعف شأنها وصور هذا التغيير في أواخر عصر الأسرة « ٢٠ » كاهن مصرى يدعى « ون امون » وقد خرج نائبا عن كبير كهنة طيبة « حريحور » لاستيراد أخشاب الأرز الضرورية لصناعة غرفة مقدسة جديدة للمعبود آمون، وذكر انه وصل الى مدينة « دور » وهي مدينة من مدن « السكر » ، وكان السكر هؤلاء احدى جماعات شعوب البحر التى استقرت في جنوب بلاد الشام على الساحل ، وقد أرسل له حاكمها زادا يكفيه ولكن احد بحارة سفينة ون آمون سرق أغلب ما خرج به من آوان ذهبية وفضية لشراء خشب الأرز وعجز أمير المدينة عن القبض على السارق . وفي اليوم العاشر أبحر ون آمون الى ميناء « صور » ثم الى ميناء « جبيل » التى كان لها من قبل علاقات طيبة وعريقة مع مصر ولكن « ون آمون » قضى في مينائها ١٩ يوما دون أن يستدعيه حاكمها ، بل وكان يرسل له كل يوم من يقول «انصرف عنا» ، وهذا يدل على التغير الذى لحق بسمعة مصر الخارجية حتى بين الأصدقاء في بلاد الشام حينئذ . وأخيرا قابله الحاكم ولكنه طالبه بأن يدفع ثمن ما يريده من أخشاب قبل أن تقطع له . ومع ما أصاب « ون آمون » من مهانة وما كان فيه من مركز ضعيف ، لم يتردد في أن يواجهه حاكم

جبيل بأن الأرض التى يدعى أنها ملكه انما هى أرض آمون أولا وأخيرا والبحر بحره والجبل جبله . بل ان حاكم جبيل ذلك المتعجرف لم يستطع أن ينكر ايمانه بأن الحضارة بدأت فى مصر وانتشرت منها الى غيرها ٠

كنعان وفينيقيا

عرفت بعض اجزاء بلاد الشام باسمين غلب ذكرهما على ما عداها، وهما اسم كنعان والكنعانيين وفينقياوانفينيقيين وقد ظهر أولهما فى النصوص المصرية منذ القرن الرابع عشر على وجه التحديد ، ومن الآراء فى تفسيره أنه اسم حورى الأصل بمعنى أرض الأرجوان لما كان لصبغة الارجوان من حرفة اشتهر بها أهل سواحل بلاد الشام ، وترتب عليها ثراء المشتغلين بها ٠ وتقبل اساميون هذا الاسم بمعناء الحورى وحوروه الى كنعان ، أو هم فى رأى آخر قد إطلقوه بمعنى الأرض المنخفضة اشتقاقا من فعل كنعا أو كنغا أى : انخفاض وتواضع ، وأطلقوه على المناطق الساحلية والداخلية فى جنوب بلاد الشام كما أطلقوه على أهلها ٠

أما اسم فينيقيا والفينيقيين فانه يرتبط بالاسم المصرى « منخو » الذى ذكرته النصوص المصرية منذ أيام الدولة الحديثة على الأجزاء الساحلية التى تعاملت معها مصر فى التجارة ، ورأى آخر يرد هذا الاسم الى أصل اغريقى Phoinix فونكس وهو اسم أطلقه الاغريق على سواحل سوريا وقصدوا به كمعنى أرض الأرجوان أيضا ٠ وان كانوا قد أطلقوه على منطقة لبنان أكثر من غيرها فاشتهرت به فى أغلب الكتب التاريخية ٠

حروف هجاء جديدة

وكان خير ما اهتدى اليه الكنعانيون والفينيقيـون من أساس الحضارة هو معرفة حروف هجـاء جديدة تختلف عن الحروف الأوجاريتية القديمة التى لم يقدر لها الشـيوع · وقد جعلوا هـذه الحـروف الجـديدة «٢٢» حـرفا جامدا واشتقوها فيما يعتقد أغلب الباحثين من مرحلة متأخرة من مراحل الكتابة المصرية القديمة أطلق عليها اصطلاحا اسـم « الكتابة السينائية » ؛ نظرا لأن أغلب نماذجهـا قد نقشت على بعض صخور سيناء · ومن هـذه المنطقة اشـتق بعض الكنعانيين والفينيقيين اصول حروفهم، ويرجع هذا الاشتقاق الى فكرة دلالة الشكل مع أول حرف من اسم كدلالة ·· فشكل البيت عن الباء وشكل الوتد عن الواو ، كما يحتمل أنهم قلدوا بعض صور هذه الـكتابة السينائية المصرية ، عـلى انه اذا كان الكنعانيون والفينيقيون قد اهتدوا الى حروف الكتـابة خلال القرن ٢١ ق·م أو نحـوه ، فان الوزن السياسى كان قد انتقل منهم حينذاك الى الأراميين ··

والأراميون من الفروع السامية ، قد شهدت بلاد الشام تحركاتهم من أواسط الألف الثانى ق·م وانقسـم المجـال أمامهم منذ أن قضت هجرات شعوب البحر على الأمن والسلام فى بلاد الشام ، وقد عاشـوا على نظام دويلات المـدن تأثرا بأصلهم البدوى القبلى من ناحية ، وتأثرا بطبيعة بلاد الشام من ناحية أخرى ، وكان أهم اماراتهم هى امارة «أرام سوبه» فى منطقة البقاع ثم امارة دمشـق واصـطدمت الامارتان بأطماع العبرانيين فى عهد شاول وداود، أى فى أواخر القرن ١١ ق·م الى أوائل القرن ١٠ ق·م ·

وتزعمت دمشق عداوة العبرانيين في عهد سليمان في القرن العاشر ق٠م واستفادت من انقسام ملكه بعد وفاته الى امارة اسرائيل في شمال فلسطين وامارة يهوذا جنوبها ٠ كما استفادت مملكة دمشق الأرامية في الوقت نفسه من بعدها النسبى عن أطماع الأشوريين الذين كانوا قد بدأوا نشأتهم في عصرهم الحديث ، وفي نفس الوقت أخذ الاراميون يكتبون بخط الفينيقيين الكنعانيين ولغتهم في بلاد الشام لا سيما وانها كانت قليلة عن لغتهم ٠ وعندما ازداد استقرارهم آخذوا يكتبون نصوصهم بلهجاتهم الأرامية الخاصة ، بل وأضافوا الى الحروف « الاثنين والعشرين » التي استعاروها من الكنعانيين والفينيقيين أربعة حروف أخرى تجمع بين الليونة والسكون وتناسب نطقهم ، ثم غيروا في رسم حرفهم شيئا فشيئا وحوروها بعض الشيء عن أصلها الفينيقي القديم منذ القرن الثامن ق٠م ٠

ولما كانت امارة دمشق الإرامية هي أكبر اماراتهم أصبحت لهجاتها الأرامية تمثل اللهجة الفصحى ، وأخذت تنتشر في رسائل جيرانها ، بل وأخذ بها العبرانيون أيضا الذين اعترفوا لها بالسيادة الاسمية في بعض عهودهم وامتاز من ملوك دمشق الكبار « حداد عزيرى » بمعنى الاله حداد مساعدى وهو اسم حرفته النصوص الأشورية (اداد قدرى) أو « بر آداد » ولكن شهرة دمشق جذبت انتباه الأشوريين فتوالت هجماتهم العنيفة عليها وخاصة في عهد « شلمانصر الثالث » ، فاضطرت الى تجميع الأحلاف حولها عن الأراميين والعبرانيين والأعراب وكان منهم « شندب الحربى » الذى أمد الحلف بألف راكب جمل وحدثت

بين الفريقين موقعة « كركر » فى عام ٨٥٣ ق٠م وادعى النصر فيها كل من الآشوريين والآراميين ٠ ويبدو أنها لم تكن معركة فاصلة لأحد الطرفين ، اذ تجددت المعارك بينهما فى عهد شلمانصر نفسه ٠ وكان بوسع آراميى دمشق أن يظلوا على قوتهم للاراميين الغربيين ، لولا ان الاطماع فرقت بينهم وبين بنى عمومتهم من الاراميين فى شمال الشام ، فتوالت الحروب بينهم ، وارتمى حكام الامارات الشمالية فى احضان الآشوريين نكاية فى دمشق ٠٠ وقد ترك ملك حماة الارامى نصا قال فيه ان « بر حداد » ابن حزائيل ملك أرام جمع اليه ٧ ملوك وهاجموه وحاصروا عاصمته وبنوا حولها سورا أكثر ارتفاعا من سورها وخندقا اعمق من خندقها ، ولكنه رفع يديه الى ربه « بعل شمين » ـ « بعل السماء » فاستجاب له وكلمه بلسان مبين وقال ٠٠ لا تخف أيها الملك فسوف أقف بجانبك وأنقذك من هؤلاء الملوك ٠ وأخذت ولايات أرامية أخرى ترى العزة فى الالتجاء الى آشور، وكان من هؤلاء ملك « شمأل » الأرامى وكان يدعى « برركاب بن بنامو » ، اذ كتب فى أحد نصوصه أنه خادم « تجلات بليسر » ملك آشور سيد أركان الأرض الأربعة ، وذكر أن ربه ولاه العرش وأن سيده « تجلات بليسر » أمره على عرش أبيه ؛ نظرا لاخلاصه واخلاص أبيه له ٠

وكان لابد أن تنتهى شوكة الأراميين فى الشام مع هذه الأوضاع ، فشددت آشور هجماتها على مملكة دمشق وعاونها أمراء آراميون كما عاونها عليها يهود دولة يهوذا حتى قضوا على استقلالها فى عام ٧٣٢ ق٠م ٠ وفى هذه الفترة كان السبيل قد انفتح مرة أخرى أمام الفينيقيين والكنعانيين فى

تجارة حوض البحر المتوسط بعد ان انحصر عنه نشاط الاغريق لبعض الوقت ، فاستمر الكنعانيون والفينيقيون من ناحية فى طريقهم المضاد للتبادل التجارى ، فظلت صادراتهم الرئيسية تتكون من الاخشاب وصموغ الأشجار والزيوت والنبيذ والغلال المنسوجات الارجوانية، فيما تكونت وارداتهم من الكتان والبردى والحلى والمصنوعات المزججة والقطع الفنية من مصر والمعادن من آسيا الصغرى واوانى الفخار الفاخرة من جزر البحر المتوسط وبحر ايجه ، وكانوا يتبادلون هذه بتلك ويتعاملون بها مع ما وراءهم من المناطق الداخلية فى آسيا ، وزاد الكنعانيون الجنوبيون بموانىء فلسطين فانتفعوا بما كانت تنقله اليهم القوافل البحرية من بخور شبه الجزيرة وأصوافها وصدروا بعضها الى العالم الغربى القديم عن طريق موانىء صيدا وصور وجبيل .. وكانت صور أغنى المدن الثلاث ، وامتد ميناؤها نحو ٧٥٠ مترا فسورها ملكها « حيران » ، معاصر سليمان فى القرن العاشر بأسوار ضخمة ذات أبراج . واستمر الملوك العبرانيون فى الاعتماد على مهارة أهلها فى بناء قصورهم ومعابدهم وسفنهم مثل قصر « داود » وقصر « سليمان » وهيكل سليمان وسفنه التى يحاول أن يسيطر بها على تجارة البحر الأحمر . ومارس الفينيقيون نشاطهم من وجهة أخرى بالهجرة الى سواحل البحر المتوسط وجزره فوصلوا الى قبرص (قارص) وصقلية وسردينيا ، وقيل انهم بلغوا شواطىء اسبانيا الجنوبية وبدأوا نشاطهم عن طريق التجارة التى كثيرا ما حولت نفوذهم الاقتصادى الى نفوذ سياسى .

ونزلت جالية من مدينة صور على شاطىء أفريقيا الشمالية فى منطقة تونس الحالية وفى مدينة سميت باسم

« عتيقة » وذكرتها النصوص الأفريقية بنفس الاسم uttice وارتبطت هذه الهجرة القديمة بأسطورة ذكرت أنه كان على رأسها أميرة من صور توافرت لها بعض القداسة ، وأنها فى تعاملها مع أمير المنطقة الإفريقى اتفقت معه على ان يهب قومها قدر ما يغطيه جلد ثور ليقيموا فيه سوقهم ، فامرت رجالها بان يقطعوا هذا الجلد الى شرائح رقيقة فلما وصلوا بين الشرائح المتعددة عثروا على قطعة من الأرض تكفى لبناء مدينة فوقها • وعلى أية حال ، فانه يبدو أن نزول الفينيقيين على ساحل شمال أفريقيا قد تجددت موجاته بعد ذلك لا سيما فى الفترات التى ضغط فيها الآشوريون على أهل موانىء الشام واضطر بعضهم الى الهجرة منها • وقد عمر هولاء المهاجرون الجدد مدينة جديدة أطلقوا عليها اسم « قرت حدشه » ربما بمعنى قرية الربة حدشة ، وهو نفس الاسم الذى حرف فيما بعد الى قرطاشة ثم الى قرطاجة ، وعمرت هذه المدينة لعدة قرون واستطاع الفينيقيون أن يحققوا فيها الكثير بلغاتهم وكتاباتهم الفينيقية • واستطاعت « قرطاجة » أيضا ان تسيطر على جانب كبير من تجارة البحر المتوسط وانتشرت منتجاتها فى جزره وعلى سواحل أسبانيا ونافست الرومان فى البحر منافسة شديدة ، حتى توالت الحروب بينهما منذ عام ٢٤٢ ق•م ، ومرت هذه الحروب في مرحلتين ، مرحلة تزعمها حاكم قرطاجة (حاني منقاره بركة) الذى حرف الرومان اسمه الى « ها ملكار » ، وتزعم المرحلة الثانية ولده (حاني بعل) الذى حرف الرومان اسمه الى « هاني بال » والذى أمر ببناء مدينته الجديدة التي جور الرومان اسمها الى قرطاجنة ، أى قرطاجة الجديدة ، وأراد بانشبائها أن يتخذها مركزا لتوجيه الضربات العسكرية منها عن طريق البر

الى حدود دولة الرومان بعد أن عجز أسطوله فى البحر عن القضاء على أسطولهم فيه ، وتولى تنفيذ الخطوات العملية من هذه السياسة ولده (حانى بعل) وبلغ من نجاحه أن اخترق بجيوشه جبال الألب · ثم انحدر منها الى شمال ايطاليا وظفر بأجزاء منها نحو ١٥ عاما ، لولا أن تجمع عليه الرومان وحقد بعض بنى وطنه القرطاجيين أنفسهم عليه فكانت نهايته على غير ما بدأ ؛ فاضطر الى الانتحار بعد أن قدم مثلا لما يمكن أن يفعله قائد شرقى لو وجد الاخلاص الكامل من قومه ومن جنوده ·

لقد اردت من كل هذا ان اوضح تأثيرات الفينيقيين فى عالم الحضارة ، وكيف ان فكرة الحروف الهجائية انتقلت من اراضى كنعان وفينيقيا الى بلاد الاغريق على أيدى تجار الفريقين ، بل وتنتقل الى الاغريق بعض صور هذه الكتابة وبعض أسماء حروفها ويكفى أن ندلل على هذا بتسمية الحروف الأولى للأبجدية الاغريقية الفا ·· بيتا ·· جاما ·· دلتا ·· كلها أسماء سامية الأصل تشهد بفضل الساميين من أهل الشام ليس على الاغريق وحدهم فى مضمار الكتابة وانما على من هم اكثر منهم اذا علمنا أن الاغريق تولوا بدورهم نشر فكرة هذه الكتابة الى العالم الغربى من بعدهم · ولا ننسى أن البداية كانت النقوش السينائية المصرية القديمة المنقوشة على صخور سيناء وبها تأثر الساميون بأرض الرافدين (الكتابة المسمارية) والتى أخذها وأضاف عليها الكنعانيون والفينيقيون ومنهم ينقلها التجار الى بلاد الاغريق والى العالم الغربى المتحضر الآن ومنهم يتأثر بها العبرانيون ومن الكنعانيين والفينيقيين يتلقفها الآراميون (الخط

الآرامى) ومنهم إلى النبطيين (الخط النبطى الوثيق الصلة بالخط العربى) وإلى التدمريين (الخط التدمرى) وإلى السريانيين (الخط السريانى) ..

.. ألا يحق لنا ولك أن نفخر بحضارة مصر الفرعونية العظيمة ؟! .

(٤٠)

الجيش المصرى ..

امجاد تعانق السماء

اختلفت ظروف تكوين الجيش المصرى وتطوره باختلاف الظروف التاريخيـة ، ففى خلال عصر الدولة القديمة لم يشعر المصريون بوجود أى خطر جدى على حدودهم يمكن أن يهدد أمنهم أو يسلبهم طمأنينتهم، اذ لم تكن توجد أية دولة قوية مجاورة لمصر يمكن أن تطمع فيها أو تحاول غزوها ، ومن جهة أخرى فان المصريين لم تكن لديهم أية رغبـة فى فرض سيطرتهم بالقـوة عـلى من جاورهم من شعوب . ومن هنا، لم تكن هناك حاجة ماسة الى أن يكون الملوك جيشا قويا منظما وربما اقتصر الأمر على ما يمكن أن يسمى بالحرس الملكى والذى يختار من خيرة الرجال المدربين ، أما قوات الشرطة التى كانت تقوم بحفظ النظام الداخلى فكان معظمهم من النوبيين .

ومن ناحيـــة اخـرى ، احتفظ كل اقليم من آقاليـم الصعيد والدلتا بفرقة محلية خاصة تأتمر بأمر حاكم الاقليم الذى كان يحتفظ لها بأسلحتها فى « دار السلاح » وبالاضافة الى ذلك كان للمعابد الكبرى فرقها الخاصة ، كما كان لادارة بيت المال جنودها الذين كانت مهمتهم الحفاظ عـلى العمـال الذين كانوا يرسلون للتحجير او للتعدين • وبهذا يتضح أنه خلال عصر الدولة القديمة لم يكن لمصر جيش موحد ثابت والحق انهـا لم تكن فى حاجة الى ذلك •• ولـكن ماذا كان يحدث لو أراد الملك أن يرسـل حملة كبيرة أو واجهت مصر خطرا ليس بالهين ؟

كانت تصدر الأوامر من العاصمة الى حـكام الاقاليم بارسال قواتهم الخاصة الى جانب تجنيد أعداد من الرجال الأشداء المدربين الى العاصمة • واننا لنلمس ذلك بوضوح من نص « أونى » أحد كبار رجالات الدولة فى عصر الأسرة السادسة ، حينما هددت القبائل السامية فى سيناء وجنـوب فلسطين والذين أطلق عليهم المصريون اسـم « الأسـيويون القاطنون فوق الرمال » ـ طرق التجارة بين مصر وفلسطين وسوريا ، وأغاروا على شرق الدلتا بقصـد الاسـتقرار فى مناطقها الخصبة ، واستشعر «بيبى الأول» الخطر فعهـد الى « أونى » بحماية مصر وصد المغيرين بعد أن حشد جيشا من عشرات الآلاف من الوجه القبلى بأكمله من الفنتين جنـوبا حتى أطفيح شمالا ، ومن الوجه البحرى ومن جانبى الدلتا ، بالاضافة الى بعض القبائل النوبية والليبية الموالية لمصر • ومن نص «أونى» كذلك نفهم أن النظام العسكرى فى الميدان كان فى غاية الصرامة ، فلم يعتد جندى على جندى آخر ولم

ينهب أحد منهم رغيف خبز او نعالا من عابر سبيل ، ولم يأخذ أحد منهم خير آية مدينة ولم تغتصب عنزة انسان .

وكان الجيش مقسما الى قسمين رئيسيين .. حملة الرماح والرماة فتسلح الاول برماح طويلة ذات رؤوس مدببة مصنوعة من البرونز ، وحموا انفسهم بدروع مكسوة بالجلد .. اما الرماة فكان الواحد منهم يسلح بالقوس والسهم ، ومن بين الاسلحة الاخرى التى استخدمها الجنود المصريون فرؤوس القتال والخناجر والمقانيع وكانت ملابسهم بسيطة للغاية فارتدى كل منهم نقبة قصيرة ثبتت فى مقدمتها قطعة من الجلد على شكل القلب لتحمى الجزء الاسفل من الجسم .. وخلال عصر الانتقال الأول أدت القلاقل الداخلية والصراعات بين حكام الأقاليم الى اعتماد كل واحد منهم على جيشه الخاص لحماية اقليمه أو لفرض سيطرته على اقليم آخر فكان لابد من أن يقوى كل حاكم جيشه واستعان بعضهم بجنود من النوبيين والساميين والليبيين . وفى احدى مقابر أسيوط ، عثر على نموذجين خشبيين لسريتين من الجند تتألف كل سرية من ٤٠ جنديا يسيرون فى أربعة صفوف كل صف به عشرة جنود ويتألف سلاح احداهما من الحراب الطويلة والتروس الخشبية المغشاة بالجلد ، أما السلاح الآخر فهو القوس والسهام ، وهذا النوع من الجنود هو الذى يحافظ على النظام داخل الأقاليم ويبث الآمن والطمأنينة فى نفوس أبنائه ، حتى ليفخر حاكمه « تف ايبى » حينما كان يحل الظلام كان الذى ينام على قارعة الطريق ــ لأنه آمن ــ كرجل فى بيته ، فسطوة جنودى تحميه .

وفي عصر الدولة الوسطى استمر الحال كما كان من قبل ، لكل حاكم اقليم جيشه الخاص يعمل تحت قيادته او قيادة أكبر ابنائه ، وحين قام ملوك الأسرة الثانية عشرة بغزواتهم كان هؤلاء الأمراء يصحبونهم على رأس جنودهم ، فقد صحب « أمينى » امير مقاطعة بنى حسن الملك سنوسرت الأول فى حملته على النوبة • غير أنه الى جانب القوات المحلية ، كان للملك فرقته الخاصة التى أطلق على جنودها اسم « أتباع الحاكم » وكانت تتألف من نخبة ممتازة من الضباط المدربين الأكفاء ، ولم يحدث تغيير يذكر فى أسلحة الجيش أو ملابسه فى هذه الفترة •

ومع مقدم الدولة الحديثة حدث تطور شامل وهائل فى طبيعة الجيش المصرى وتكوينه ، فخلال عصر الانتقال الثانى تعرضت مصر ولأول مرة فى تاريخها لهوان الحكم الاجنبى الدخيل حينما أذل كبرياءها حكام الهكسوس ، وقد نتج عن ذلك كما سبق أن ألمحنا اليه ضياع الشعور بالأمن والطمأنينة الذى تمتع به المصريون خلال عصورهم الغابرة ، وأصبح لزاما على مصر لكى تضمن الأمن والسلام بداخلها ، أن تمد حدودها الى مواقع الخطر ذاتها ؛ لكى تنشىء لنفسها حدودا آمنة بعيدة عن حدودها الطبيعية ، ولذلك وصل الفراعنة فى حملاتهم العسكرية الى قلب فلسطين وسوريا والى بلاد الرافدين •

ومن جهة أخرى ، فان الصراع الطويل مع الهكسوس أثناء معارك التحرير ، ولد فى المصريين روحا عسكرية لم يكن لها نظير من قبل ، كما خلق هذا الصراع طبقة من القواد

العسكريين المحترفين أحبوا المغامرة وخوض المعارك نظرا لما كانت تعود عليهم به من أمجاد شخصية ومكاسب مادية .

كل هذه العوامل مجتمعة جعلت من الضرورى تكوين جيش نظامى ثابت على المستوى القومى يتألف من جنود محترفين ورديف دربت قواته تدريبات شاقة أهلته لخوض المعارك الكبرى ضد الجيوش القوية والمنظمة فى الممالك الآسيوية المعاصرة ، وخلال الجزء الأكبر من الأسرة الثامنة عشرة كانت النواة الصلبة للجيش تتكون من المواطنين المصريين وربما بعض أسرى الحرب ، غير أنه بمرور الزمن وبخاصة فى الأسرتين التاسعة عشرة ، والعشرين دخلت فى تكوينه قوات من السامريين الأسيويين والليبيين ومن بعض عناصر شعوب البحر خاصة « السردانا » .

وفى عصر الدولة الحديثة تكونت القوات المقاتلة من المشاة والعجلات الحربية ، ولم يحدث تغيير كبير فى الأسلحة التى استخدمها جنود المشاة سواء فى ذلك حملة الرماح أو الرماة ، الا أنه أضيفت أسلحة جديدة مثل الهراوات والسيوف القصيرة ، كما تحسنت قوتهم الضاربة باستخدام الأقواس المركبة بعيدة المدى والتى يعتقد أن الهكسوس أدخلوا استعمالها فى مصر ، وبالرغم من أنه لم يحدث تغيير كبير فى ملابس الجنود ، فانه ظهر نوع جديد من الدروع كان يسمى « قميص الحرب » وكان يصنع من الجلد أو من البرونز أو من نسيج مغطى بحراشف من البرونز على شكل فلوس السمك وكان الجندى يلبسه لحماية جسده من طعنات الرماح أو رماة السهام .

أما السلاح الجديد الذى دخل فى تكوين الجيش المصرى ولعب دورا خطيرا فى المعارك التى خاضها ، فهو بلا شك سلاح العجلات الحربية التى يجرها الحصان . والعجلات الحربية كسلاح هجومى يتميز بسرعته فى مفاجأة العدو والقاء الرعب والاضطراب بين صفوف جنده ، وهو فى ذلك يشبه الى حد كبير سلاح الدبابات فى حروبنا الحديثة ، وقد بدأ استخدام هذا السلاح فى مصر أثناء حربها التحريرية ضد الهكسوس بعد أن تمكنت من استيراد الخيول والعجلات الحربية من آسيا ، ولم يلبث المصريون أن مارسوا تربية الخيول بأنفسهم ، كما برعوا فى صناعة العجلات الحربية فى ترسانات أسلحتهم ، كما أن انتصاراتهم فى حروبهم الاسيوية كان كثيرا ما يتلوها الاستيلاء على أعداد ضخمة من الخيول والعجلات ومعدات الحرب الأخرى ، ونذكر مثلا أنه بعد هزيمة الأمراء السوريين فى « مجدو » غنم جيش تحوتمس الثالث ، ما لا يقل عن ٣٤٠ عجلة حربية و ٢٠٤٠ حصانا .

وفى معبد الكرنك .. وعلى جدران الردهات الواقعة خلف المدخل السادس لمعبد الكرنك حول المحراب الجرانيتى الذى أقامه البطالسة نقش أحد كتاب البطل « تحوتمس الثالث » انتصاراته الباهرة .. اذ كان الملك تحوتمس يصطحب معه فى حملاته الحربية كتابا لكتابة تقارير حربية لكل ما يقع من حوادث على ملفات من البردى ، ثم يسجلون أهم ما فيها على جدران الكرنك تسجيلا مفصلا لحملاته الحربية التى أثبت فيها براعته وحزمه كقائد حربى منقطع النظير فى قيادة جيشه وشدة بأسه وشجاعته النادرة وعدم مبالاته بالخطر حتى أصبح مرهوب الجانب ، كما وصف

الكاتب كيف تجمع الأعداء فى مدينة «مجدو» ــ تل المتسلم ــ التى ذكرتها التوراة باسم « سهل جــزريل » الذى يقع فى الناحية الشمالية من جبل الكرمل بقيادة أمير قادش ، وكيف سار القائد العظيم تحوتمس الثالث بسرعة عجيبة ، حتى انه قطع الطريق الذى يبلغ طوله ١٧٥ ميلا (٢٨٠ كيلومترا) بين مدينة « ثارو » على حدود مصر قرب القنطــرة ومدينــة غزة فى تسعة أيام ، رغم أنه لم تكن لديه وسائل نقل آلية .. ثم تابع سيره فى طريق وعرة ضيقة صعبة المرتقى .

وذكرت النقــوش .. « حتر . أم . سا . حتر » ان كل حصان كان يسير خلف الآخر .. وكل عجلة حربية وراء الأخرى .. وسار الملك عــلى قدميــه فى طليعة الجيش رغم نصيحة قواده له بالسير فى طريق سهل حرصا عــلى ســلامة الجيش ، وفاجأ الاعــداء عــلى حين غرة ففروا الى الحصن مذعورين ، وبعدها حاصر المدينة عــلى شــكل نصف دائرة وضيق الخناق على من فيها حتى كادوا يهلكون جوعا قائلا لجنوده الذين انهمكوا فى جمع الأسلاب والغنائم .. « ان الاستيلاء على « مجدو » يعادل ألف مدينة » وأخضع جميــع الرؤســاء الذين جــاءوا يقبلــون الأرض فى حضرة الملك تحوتمس الثالث .. وعاد الى طيبة منتصرا وأقام الأعيــاد وقدم خضوعه الى الاله « آمون » الذى أمده بالنصر .

والى جانب ســلاح المشــاة والعجــلات ، فان الجيش كان يضم عددا من القوات المساعدة تستخدم الحمير وعربات تجرها الثيران ، وكانت مهمتها نقل مهمات الجيش من أسلحة وملابس وخيام ومؤن .

وفي جميع العصور كان الملك هو القائد الاعلى للجيش وكثيرا ما كان يقود قواته بنفسه لمواجهة الاعداء ، وكان يليه في تسلسل القيادات القائد العام للجيش « أميرا مشع ور » وبصفة عامة فان الجيش باكمله كان ينقسم الى قسمين : قسم ينتمي الى الوجه البحرى ويتمركز في مدينة « منف » وآخر ينتمي الى الصعيد ويتخذ من مدينة طيبة مركزا له وكان كل قسم تحت قيادة ضابط مساعد كبير يسمى « ادنو ــ ن. مشع » . وكان كل قسم يتألف بدوره من فرق، كل فرقة تحمل اسما خاصا مثل « فرقة آمون » وفرقة « رع » وفرقة «بتاح» وفرقة «ست» وبكل فرقة علمها ، وهو عبارة عن لواء طويل ينتهي في أعلى برمز الاله المسماه باسمه الفرقة ويحمل في عربة خاصة به ، ويقود الفرقة جنرال يسمى « امى ــ ر ــ مشع » يعاونه ضباط مساعدون ، يسمى الواحد منهم « ادنو ــ ن . مشع » وتتألف الفرقة الواحدة من عدد من السرايا قوام وحداتها ٢٠٠ رجل فيما يعتقد ، ولها علمها الخاص ويمثل أسدا أو صقرا أو سفينة أو رجلين متصارعين أو غير ذلك، وتحمل اسما خاصا بها، مثل «أمنحتب يضيء مثل الشمس » أو « رمسيس القوى الساعد » أو « آمون يحمي جنده » أو « متلألئة مثل قرص الشمس » ، ويقوم بقيادتها حامل العلم المسمى « تاى سريت » وتنقسم السرية بدورها الى أربع فصائل، تتألف كل فصيلة من خمسين رجلا تحت قيادة ضابط صغير .

ومن المرجح أنه لم تكن للجنود مرتبات ثابتة ؛ ولكنهم كانوا ينالون طعامهم أثناء الحملة ويأخذون نصيبا من الغنائم ، كما أن الضباط كانوا يمنحون أراضي معفاة من

الضرائب ويوهب لهم رجال من أسرى الحرب واذا أظهر أحدهم شجاعة في القتال أو أقدم على عمل بطولى ، فانه كان يكافأ بذهب « الشجاعة » وهو وسام من الذهب اما على شكل الذبابة دلالة على العناد والالحاح والاصرار ، أو على شكل أسد رمزا للقوة والجرأة والبسالة وكان الوسام يعلق في سلسلة حول العنق .

وفي عصر الدولة الحديثة لم يطرأ التغيير على شكل القوات المقاتلة وتكوينها فحسب ، بل طرأ كذلك على شكل المعارك ذاتها . فلم نعد المعارك عبارة عن التحام مباشر للقوات المتحاربة ، بل لعبت المناورات التكتيكية والتفكير الاستراتيجى أدوارا كبيرة فى كسب المعارك ، فكانت « المخابرات » تقوم بجمع كل ما يمكن من المعلومات عن جيش العدو وتقدير أعداده وتسليح قواته ومواقعها . وعلى أساس كل هذه المعلومات وغيرها ، كان الملك يجتمع بقواده في شبه مجلس حرب لتقرير خطة القتال التى يجب اتباعها ويمكن أن نعطى مثالا لذلك بالفرعون «تحوتمس الثالث» : فعندما علم بثورة الأمراء السوريين تحت قيادة أمير قادش على الحكم المصرى وتجمعهم عند مدينة مجدو المعنية على السفح الشمالى لجبل الكرمل ، أسرع لاخماد الفتنة على رأس جيش يتراوح عدد جنوده ما بين عشرة آلاف وخمسة عشر ألفا حتى وصل عند مفترق طرق ثلاثة تؤدى كلها الى « مجدو » واقترح الملك أن يسلك الجيش طريقا ضيقا يسمى « ممر عرونا » ، وهو طريق يمر خلال شعاب جبال الكرمل ، الا أنه يؤدى مباشرة الى « مجدو » ولذلك تتحقق المفاجأة الكاملة للعدو . غير أن هذا الطريق كان من الضيق بحيث لا يسمح

الا بمرور رجال الجيش رجلا وراء رجل وعربة وراء أخرى ولو تنبه العدو لذلك لأمكنه اصطياد القــوات المصرية .. وبين له قواده هذه المخاطرة وما يمكن أن تسفر عنه بقولهم : « مقدمتنا قد تقاتل هناك بينما تظل مؤخرتنــا هنــا فى « عرونا » بغير قتال » . وبناء عليه ، اقترح كبار الضباط أن يسلك الجيش أحد الطريقين الآخرين الذى ينحنى أحدهما الى الجنوب بينما ينحنى الآخر الى الشمال ، بالطبع كان أى منهما هو الطريق الأسلم والأبعد عن المخاطرة ، الا أن سلوكه لا يحقق المفاجأة التى كان تحوتمس يرغبها .

وأصر الملك على وجهة نظره غير انه لم يشأ أن يجبر أحدا على انسير خلفه فى هذا الطريق الوعر المحفوف بالمخاطر فقال لهم : أقسم بحب الانه رع وبفضل أبى آمون لأسلكن هذا الطريق الوعر طريق « عرونا » وليذهب من شاء منكم الى أحد الطريقين اللذين ذكرتموهما .. وأمام اصرار الملك واستعداده للتضحية بنفسه لم يكن أمام القواد الا الاذعان لمشيئته قائلين : « نحن معك أينما ذهبت فتقدم ونحن خلفك كأتباعك » ثم سار الملك تحوتمس على رأس قواته فى هذا الممر الضيق وتحققت خطته وأنزل بأعدائه هزيمة ساحقة ، وفرت قوات الأعــداء تاركة غنــائم كثيرة .. خيــولهم .. عرباتهم المذهبة وأسلحتهم وهنا انشغلت قوات الجيش المصرى بجمع الغنائم ولم تتبع فلول القوات المندحرة ، وقد كلفهم طمعهم هذا سبعة أشهر من حصــار المدينــة « مجدو » حتى استسلم أهلها وقدموا السلاح والهدايا ، كمــا أعلن الأمراء المتحالفون استسلامهم وأبت مروءة تحوتمس الثالث الا أن تقبل الهدايا وعفا عنهم وتركهم يرحلون الى مدنهم ، بعد أن عاقبهم بأن استبدل بخيولهم ركوب الحمير .

خاتمــــة

هذه هى أخلاقهم

يقول صاحب هذا النص القديم :

« لم أرتكب اثما ضد الرجال ولم يشعر أحد بالجوع ، ولم أسبب بكاء أحد ، وما أمرت بقتــل نفس ولا ارتكبت جريمة القتل بنفسى ، ولم أسرق أى شخص وما جعلت الناس تخافنى ، ولم آك جبارا عاتيا ، ولم أك قاسيا ، فكنت أمد الجيــاع بالخبز ، وأروى العطشــان بالماء ، وكنت أكســو العراة » •

هذه الكلمات كتبها صاحبها يرجو عليها الثواب والجزاء من الله فى جنات الخلد •

وهذا أحد القواد الحربيين « أنتف » من الأسرة الحادية عشرة يقول :

« قد كنت رجلا حارب القسوة ، وأمرت بتطبيق القانون بالعــدل وكنت لطيفــا مع متوثبى المزاج ، أفهم قلوبهــم وأعرف الكلمات التي تجول بخاطرهم قبل أن يتفوهوا بها ، وكنت خادما للفقير ووالدا لليتيم ، وحاميا للضعيف ، وزوجا للأرملة ، وكنت أسعد من يشقى » •

ويفاخر آحد الأمراء بقوله :

« لم أنتهك حرمة بنات أحد الناس ولم تكن عندى أرملة حزينة ، ولم أنزع ملكية أرض آحد الفلاحين ، وما كان هناك رجل تعيس بين رجالى ، وما كان هناك جائع واحد فى عهدى » .

ونصح « بتاح حتب » حكيم الدولة القديمة المشهور ابنه قائلا :

« لا تجعل الناس تخافك وعاملهم بالرفق واللين » .

وخاطب الملك « خيتى » ابنه مسديا اليه النصيحة :

« لا تجعل عقيدتك فى طول الحياة الدنيا، فان وقت الحياة الدنيا قصير ، ولا يبقى للانسان فى آخرته الا عمله فهو كالكنز الثمين له الخلود فى الآخرة ، عليك بالعدل ، وحب الناس ، وواس الحزين ، وارع الأرملة ، واذا عاقبت فراع العدل ، لا تقتل ، ولا تظلم الناس فانهم عبيد الله لئلا يستمع لبكائهم » .

وها هو أحد نبلاء الأمة « أمينى » من الأسرة الثانية عشرة يقول :

« انى أعطيت الأرملة كما أعطيت المتزوجة وما كنت أفرق بين كبير وصغير » .

وهذا مهندس كبير ورئيس عمال يقول :

« شغلت كل عمالى برفق وما ظلمتهم أو أهنتهم » .

وعمل أحد النبلاء تمثالا عظيمـا لنفسـه وأراد أن ينقله الى مكان يبعد كثيرا عن مكان صنعه ، فأحضر عددا من الرجال لسحبه ولكن كان الطريق عسيرا وعرا فكتب :

« كان الطريق الذى سيسحب فيه الرجال التمثال شاقا ولم يكن من السهولة بحيث يتمكن الرجال من سحبه فيه دون أن يلحق بهم ضرر ، فرفقا بهم مهدت لهم طريقا جديدا فرح به الرجال حتى انهم كانوا يغنون الأناشيد بفرح وسرور» .

وكتب الملك « تحتمس الثالث » البطل الفاتح العظيم الذى بلغت مصر بفتوحاتها فى عصره ما لم تبلغه فى عهـد أى ملك آخر ، أنه كان يعامل أسرى الحرب معاملة حسـنة وأنهم كانوا يحبونه ويحترمونه وكان يمدهم بالخبز والجعة (البوظة) وكل ما لذ وطاب من أنواع الطعام المختلفـة . وعرف أيضا عن هذا الملك الشهم أنه طالما استسمح أعداءه فى مناسبات كثيرة .

ونعلم من النقوش والكتابات المصرية أن بعض الملوك كانوا يعاملون الأسرى بكل عطف ورعاية . ولعله أجدى فى تصوير ذلك أن الملك « أنتف » كان ينفى كل خائن للوطن ولكنه لا يقتله .

وتوجد نقوش ترينا الجيش المصرى فى موقعة بحرية كبيرة ، وفى أثناء غرق مراكب العدو كان جنود مصر تأخذهم الشفقة على من يقع فى الماء من أعدائهم ، فكانوا يخرجونهم من الماء وينقلونهم معهم فى مراكبهم .

وها هى بعض نصائحهم التى تحض على الشجاعة وكرم الأخلاق وحسن الطوية والمعاملة :

يذهب الشر بالخير ،
فم الانسان ينجيه •
اعطف على من هو أقل منك •
لا تقــل الـكذب •
العدل باق الى الأبد •
اصــنع طيبــا
خير للانسان أن يبقى سره فى بطنه •
اذا أجبت على سؤال فلتكن اجابتك بترو •
لا تجعل الطمع رائدك فى جمع الثروة •
ينجح العاقل فى الحياة •
خير للانسان أن يعيش عــلى خبز وماء مــع راحة الضمير ، من أن يعيش على لحوم وهو منغص البال •
لا تصاحب الشخص الطائش •
احترم نفسك أمام الناس •
لتكن شهرتك بين الناس فيما تقوم به من عمــل مجيــد •

المـــؤلف

- باحث وكاتب صحفى

- من مؤلفاته ·· « الفراعنة والطب الحديث » ·· « غزو الصحراء » ·· « الفراعنة أساطين الطب » ·· « آداب السلوك عند قدماء المصريين » ·· « الجزيرة والحضارات القديمة » ·

له أبحـــاث علمية ومقـــالات عديدة فى علوم المصريات ، ويعد من أبرز البحاثة الأثريين الذين تميزوا باظهار المعلومة الأثرية فى قالب صحفى مشوق ·

صدر من هذه السلسلة

أولاً: الموسوعات والمعاجم

ليونارد كوتريل، الموسوعة الأثرية العالمية
وليم بيتر، معجم التكنولوجيا الحيوية
و.د. هاملتون وآخرون، المعجم الجيولوجي
ج.كارفيل، تبسيط المفاهيم الهندسية
ب. كوملان، الأساطير الإغريقية والرومانية

ثانياً: الدراسات الاستراتيجية وقضايا العصر

د.محمد نعمان جلال،حركة عدم الانحياز في عالم متغير
. اريك موريس، الآن هو، الإرهاب
ممدوح عطية، البرنامج النووي الإسرائيلي
ازرا . فوجل، المعجزة اليابانية(٢ج)
د. السيد نصر الدين، إطلالات على الزمن الآتي
بول هاريسون، العالم الثالث غداً
مجموعة من العلماء ، مبادرة الدفاع الاستراتيجي: حرب الفضاء
و. مونتجمري وات، الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر
بادي آوبيمود، أفريقيا الطريق الآخر
فاسن بكارد ، إنــهم يصنعون البشر (٢ج)
مارتن فان كريفلد،حرب المستقبل.
الفين توفلر ، تحول السلطة (٢ج)
ممدوح حامد عطية ، إنهم يقتلون البيئة
السيد أمين شلبي، جورج كينان
يوسف شرارة ، مشكلات القرن الحادي والعشرين والعلاقات الدولية
د. السيد عليوه ، إدارة الصراعات الدولية
د. السيد عليوه ،صنع القرار السياسي
جرج كاشمان، لماذا تنشب الحروب(٢ج)
ايمانويل هيمان، الأصولية اليهودية

ثالثاً: الاقتصاد

نورمان كلارك، الاقتصاد السياسي للعلم والتكنولوجيا
سامي عبد المعطى، التخطيط السياحي في مصر
جابر الجزار، ما ستر يخت والاقتصاد المصري
ميكائيل البى، الانقراض الكبير
ولت ويتمان روستو، حوار حول التنمية الاقتصادية
فيكتور مورجان، تاريخ النقود

رابعاً: العلوم والتكنولوجيا

فيرنر هيزنبرج ، الجزء والكل محاورات في مضمار الفيزياء الذرية
فريد هويل، البذور الكونية
ويليام بيتر، الهندسة الوراثية للجميع
جوهان دورشنر، الحياة في الكون كيف نشأت وأين توجد
اسحق عظيموف، الشموس المتفجرة (أسرار

السوبرنوفا)
روبرت لافور، البرمجة بلغة السي باستخدام تيربوسي (٢ ج)
ادوارد ايه فايجنباوم، الجيل الخامس للحاسوب
محمود سرى طه، الكمبيوتر في مجالات الحياة
مصطفى عناني، الميكروكمبيوتر
ي. رادو نسكايا جابوتنسكى، الإلكترونيات والحياة الحديثة
فرد س. هيس، تبسيط الكيمياء
كاتي ثير، تربية الدواجن
محمد زينهم، تكنولوجيا فن الزجاج
لارى جونيك، الهندسة الوراثية بالكاريكاتير
جينا كولاتا، الطريق إلى دوللي
دوركاس ماكلينتوك، صور أفريقية: نظرة على حيوانات أفريقيا
اسحق عظيموف، أفكار العلم العظيمة
د.مصطفى محمود سليمان، الزلازل
بول دافيز، الدقائق الثلاث الأخيرة
وليليام . ماثيور، ما هي الجيولوجيا
اسحق عظيموف، العلم وآفاق المستقبل
ب. س. ديفيز، المفهوم الحديث للمكان والزمان
محمود سرى طه، الاتجاهات المعاصرة للطاقة
بانش هوفمان، آينشتين
زافيلسكى ف. س.، الزمن وقياسه
ج. هوز، تاريخ العلم والتكنولوجيا (٢ ج)
د.فاضل أحمد الطائي، أعلام العرب في الكيمياء
رولاند جاكسون، الكيمياء في خدمة الإنسان
إبراهيم القرضاوى، أجهزة تكييف الهواء
ديفيد الدرتون، تربية أسماك الزينة
أندرية سكوت، جوهر الطبيعة

إيجور إكيموشكين، الإيثولوجي
إدوارد دو بونو، التفكير العملي

خامساً: مصر عبر العصور

محرم كمال، الحكم والأمثال والنصائح عند المصريين القدماء
فرانسوا دوماس، آلهة مصر
سيريل ألدريد، أخناتون
د. لينوار تشامبرز رايت، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية إزاء مصر
موريس بيرابر، صناع الخلود
كنت . كتشن، رمسيس الثاني: فرعون المجد والانتصار
ألن شورتر، الحياة اليومية في مصر القديمة
ونفرد هولمز، كانت ملكة على مصر
جاك كرابس جونيور، كتابة التاريخ في مصر
نفتالى لويس، مصر الروماني
عبده مباشر، البحرية المصرية من محمد على للسادات (١٨٠٥١٩٧٣)
د. السيد أبو سديرة، الحرف والصناعات في مصر الإسلامية
أ. أ. س. ادواردز، أهرام مصر
سومرز كلارك، الآثار القبطية في وادى النيل
كريستيان ديروش نوبلكور، المرأة الفرعونية
بيل شول وأدبنيت، القوة النفسية للأهرام
جيمس هنري برستد، تاريخ مصر
د. بيارد دودج، الأزهر في ألف عام
أ. سبنسر، الموتى وعالمهم في مصر القديمة
ألفريد ج. بتلر ، الكنائس القبطية القديمة في

مصر (ج۲)
روز اليندم، الطفل المصري القديم
ج. و. مكفرسون، الموالد في مصر
جون لويس بوركهارت، العادات والتقاليد المصرية من الأمثال الشعبية
سوزان راتييه، حتشبسوت
مرجريت مري، مصر ومجدها الغابر
أولج فولكوف، القاهرة مدينة الألف ليلة وليلة
د. محمد أنور شكرى، الفن المصرى القديم
ج. جيمز، الحياة أيام الفراعنة
لورد كرومر، الثورة العرابية
إيفان كونج، السحر والسحرة

سادساً: الكلاسكيات

جاليليو جاليليه ، حوار حول النظامين الرئيسين للكون (۳ج)
وليم مارسدن، رحلات ماركو بولو (۳ج)
أبو الفتح الفردوسي ، الشاهنامة (۲ج)
أدوارد جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها
ناصر خسرو علوي، سفر نامة
فيليب عطية، ترانيم زرادشت

سابعاً: الفن التشكيلي والموسيقى

عزيز الشوان، الموسيقى تعبير نغمي ومنطق
ألويز جرايتر، موتسارت
شوكت الربيعي، الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي
ليوناردو دافنشي، نظرية التصوير
د. غبريال وهبه، أثر الكوميديا الإلهية لدانتي في الفن التشكيلي
روبين جورج كولنجوود، مبادئ الفن
مارتن جك، يوهان سبستيان باخ
ميخائيل ستيجيمان، فيفالدي
هربرت ريد، التربية عن طريق الفن
أدامز فيليب، دليل تنظيم المتاحف
حسام الدين زكريا، انطون بروكنر
جيمس جينز، العلم والموسيقى
هوجولا يختتريت، الموسيقى والحضارة
محمد كمال إسماعيل، التحليل والتوزيع الأوركسترالي
صالح رضا، ملامح وقضايا في الفن التشكيلي المعاصر
أدموندو سوليمي، ليوناردو

ثامناً: حضارات عالمية

جاكوب برونوفسكي، التطور الحضاري للإنسان
س. م. بوراء التجربة اليونانية
جوستاف جرونيباوم، حضارة الإسلام
. د. جرن، الحيثيون
ل. ديلابورت، بلاد ما بين النهرين
ج. كونتنو، الحضارة الفينيقية
آدم متز، الحضارة الإسلامية
جوزيف نيدهام، تاريخ العلم والحضارة في الصين
ستيفن رينسيمان، الحضارة البيزنطية
سبتينو موسكاتي، الحضارات السامية

تاسعا: التاريخ

جوزيف داهموس، سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى

هنري بيرين، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى

أرنولد توينبي، الفكر التاريخي عند الإغريق

بول كولز، العثمانيون في أوروبا

جوناثان ريلي سميث ، الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية

د.بركات أحمد، محمد واليهود

ستيفن أوزمنت، التاريخ من شتى جوانبه (٣ج) و.

بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى،

فلاديمير تيسمانيانو، تاريخ أوروبا الشرقية

ألبرت حوراني، تاريخ الشعوب العربية (٢ج)

نويل مالكوم، البوسنة

جارى ب . ناش، الحمر والبيض والسود

أحمد فريد رفاعي، عصر المأمون (٢ج)

آرثر كيستلر، القبيلة الثالثة عشر ويهود اليوم

ناجاى متسيو، الثورة الإصلاحية في اليابان

محمد فؤاد كوبريلي، قيام الدولة العثمانية

د. إيرار كريم الله من هـــو التتار

ستيفن رانسيمان، الحملات الصليبية

لبان .ويد جري، التاريخ وكيف يفسرونه (٢ج)

جوسيبي دي لونا، موسوليني

جوردون تشيلد، تقدم الإنسانية

هـــ ج. ولز، معالم تاريخ الإنسانية (٤ج)

يوهان هويزنجا، اضمحلال العصور الوسطى

هـــ ج ويلز، موجز تاريخ العالم

عاشراً: الجغرافيا والرحلات

ت.و. فريمان، الجغرافيا في مائة عام

ليستر ديل راى، الأرض الغامضة

رحلة جوزيف بتس (الحاج يوسف)

اميليا ادواردز، رحلة الألف ميل

رحلات فارتيما (الحاج يونس المصري)

رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز (٣ج)

رحلة عبد اللطيف البغدادى

رحلة الأمير رودلف إلى الشرق (٣ج)

يوميات رحلة فاسكو داجاما

س , هوارد، أشهر الرحلات في غرب أفريقيا

إريك أكسيلون، أشهر الرحلات في جنوب أفريقيا

حادي عشر الفلسفة وعلم النفس

جون بورر، الفلسفة وقضايا العصر(٣ج)

سوندراى، الفلسفة الجوهرية

جون لويس، الإنسان ذلك الكائن الغريب

سدني هوك، التراث الغامض:ماركس والماركسيون

إيفري شاتزمان، كوننا المتمدد

ادوارد دوبونو، التفكير المتجدد

رونالد دافيد لانج، الحكمة والجنون والحماقة

توماس هاريس التوافق النفسي: تحليل المعاملات

د. أنور عبد الملك، الشارع المصري والفكر

نيكولاس ماير، شارلوك هولمز يقابل فرويد

أنطوني دي كرسبني، أعلام الفلسفة المعاصرة

جين وروبرت هاندل، كيف تتخلصين من القلق؟

هـــ ج. كريل، الفكر الصيني

أوجست دييس، أفلاطون

د. السيد نصر الدين، الحقيقة الرمادية

برتراند راصل، السلطة والفرد

مارجريت روز، ما بعد الحداثة

كارل بوبر، بحثا عن عالم افضل

ريتشارد شاخت، رواد الفلسفة الحديثة

جوزيف داهموس، سبعة مؤرخين في العصور الوسطى

د. روجر ستروجان، هل نستطيع تعليم الأخلاق للأطفال

إريك برن، الطب النفسي والتحليل النفسي

بيرتون بورتر، الحياة الكريمة (٢ ج)

فرانكلين ل. باومر، الفكر الأوربي الحديث (٤ ج)

هنري برجسون، الضحك

أرنست كاسيرر، في المعرفة التاريخية

يعقوب فام، البراجماتية

ثاني عشر: العلوم الاجتماعية

د.محي الدين أحمد حسين، التنشئة الأسرية والأبناء الصغار

م. و ترنج، ضمير المهندس

رايموند وليامز، الثقافة والمجتمع

روى روبرتسون، الهيروين والإيدز

بيتر لوري، المخدرات حقائق نفسية

ليوبو سكاليا، الحب

برنسلاو مالينوفسكي، السحر والعلم والدين

بيتر رنداي، المتدعة الاجتماعية والانضباط الاجتماعي

بيل جيرهارت، تعليم المعوقين

ارنولد جزل، الطفل من الخامسة إلى العاشرة

دونالد د. جيتنوك، القلم والطلاب والمدارس

ثالث عشر: المسرح

لويس فارجاس ، المرشد إلى فن المسرح

بروتو ياشينسكي ، حفلة مانيكان

جلال العشري ، فكرة المسرح

جان بول سارتر ؛ جورج برناردشو؛ جان أنوى مختارات من المسرح العالمي

د.عبد المعطى شعراوي ، المسرح المصري المعاصر: أصلة وبدايته

توماس ليبهارت، فن المايم والبانتومايم

زيجمونت هبنز، جماليات فن الإخراج

يوجين يونسكو، الأعمال الكاملة (٢ ج)

رابع عشر: الطب والصحة

بوريس فيدوروفيتش سيرجيف، وظائف الأعضاء من الألف إلى الياء

د.جون شندلر، كيف تعيش ٣٦٥ يوما في السنة

د.ناعوم بيتروفيتش، النحل والطب

م. هـ. كنج، التغذية في البلدان النامية

خامس عشر: الآداب واللغة

برتراند رسل، أحلام الأعلام وقصص اخرى

ألدس هكسلي، نقطة مقابل نقطة

جول ويست، الرواية الحديثة : الإنجليزية والفرنسية

أنور المعداوي، على محمود طه: الشاعر والإنسان

جوزيف كونراد، مختارات من الأدب القصصي

تاجور شين بن تنج وآخرون، مختارات من الآداب الآسيوية
محمود قاسم، الأدب العربي المكتوب بالفرنسية
مختارات من الشعر الأسباني: في
جابرييل جارسيا ماركيز، الجنرال في المتاهة
سوريال عبد الملك، حديث النهر
د. رمسيس عوض، الأدب الروسي قبل الثورة البلشفية وبعدها
مختارات من الأدب الياباني: الشعر – الدراما الحكاية القصة القصيرة
ديفيد بشبندر، نظرية الأدب المعاصر
نادين جورديمر وآخرون، سقوط المطر وقصص أخرى
رالف ئى ماتلو، تولستوي
والتر ألن، الرواية الإنجليزية
هادى نعمان الهيتى، أدب الأطفال
مالكوم برادبرى، الرواية اليوم
لوريتو تود، مدخل إلى علم اللغة
إفور إيفانز، موجز تاريخ الدراما الإنجليزية
ج. س. فريزر، الكاتب الحديث وعالمه (٢ج)
جورج ستاينر، بين تولستوي ودستويفسكي (٢ج)
ديلان توماس، مجموعة مقالات نقدية
فيكتور برومبير، ستندال
فيكتور هوجو، رسائل وأحاديث من المنفى
يانكو لافرين، الرومانتيكية والواقعية
د. نعمة رحيم العزاوي، أحمد حسن الزيات كاتباً وناقداً
ف. برميلوف، دستويفسكي
لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة، الدليل البيليوجرافي
محسن جاسم الموسوى، عصر الرواية : مقال في النوع الأدبي
هنري باربوس، الجحيم
ميجل دي ليبس، الفئران
روبرت سكولز وآخرون، آفاق أدب الخيال العلمي
يانيس ريتسوس، البعيد (مختارات شعرية)
إفور ايفانز، مجمل تاريخ الأدب الإنجليزي
فخري أبو السعود، في الأدب المقارن
سليمان مظهر، أساطير من الشرق
صفاء خلوصي، فن الترجمة
ف. ع. أدينكوف، فن الأدب الروائي عند تولستوي

سادس عشر: الإعلام

فرانسيس ج. برجين، الإعلام التطبيقي
بير البير، الصحافة
هربرت شيلر، الاتصال والهيمنة الثقافية

سابع عشر: السينما

هاشم النحاس، الهوية القومي في السينما
ج. دادلى، نظريات الفيلم الكبرى
روى آرمز ، لغة الصورة في السينما المعاصرة
هاشم النحاس، صلاح أبو سيف (محاورات)
جان لويس بوري وآخرون ، في النقد السينمائي الفرنسي
محمود سامى عطا الله ، الفيلم التسجيلي
ستانلى جيه سولومون ، أنواع الفيلم الأمريكي

جوزيف وهاري فيلدمان، ديناميكية الفيلم
قدري حفني، الإنسان المصري على الشاشة
مونى براح، السينما العربية من الخليج إلى المحيط
حسين حلمي المهندس، دراما الشاشة :بين النظرية والتطبيق للسينما والتليفزيون (٢ج)
إدوارد بري، عن النقد السينمائي الأمريكي
جوزيف م. بوجز ، فن الفرجة على الأفلام
سعيد شيمي، التصوير السينمائي تحت الماء
دوايت سوين ، كتابة السيناريو للسينما
هاشم النحاس، نجيب محفوظ على الشاشة
يوجين فال، فن كتابة السيناريو
دانييل اريخون، قواعد اللغة السينمائية
كريستيان ساليه ، السيناريو في السينما الفرنسية
ـ آلان كاسبيار، التذوق السينمائي
تون بار، التمثيل للسينما والتليفزيون
بيتر نيكولز، السينما الخيالية
بول وارن، خفايا نظام النجم الأمريكي
دافيد كوك، تاريخ السينما الروائية

ثامن عشر: كتب غيرت الفكر الإنساني

سلسلة لتلخيص التراث الفكري الإنساني. في صورة عروض موجزة لأهم الكتب التي ساهمت في تشكيل الفكر الإنساني وتطوره مصحوبة بتراجم لمؤلفيها وقد صدر منها ٩ أجزاء.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٣٢٠٠/١٩٩٩

ISBN 977 — 01 — 6428 — 3

مؤلف هذا الكتاب عاشق لتراث مصر ومجدها القديم. وقد دفعه عشقه هذا إلى أن ينقب ويبحث فى تاريخها وأسرارها؛ ليقدم للقارئ المعاصر إطلالة بانورامية على حضارة الفراعنة، ويعرض بقلمه الرشيق لبعض الجوانب المثيرة فى حياة المصريين القدماء، والحقائق التى قد تدهشنا حينما نطالعها.

فهل تعرف مثلاً أن المصريين القدماء هم أول من اخترع السنة الشمسية التى هى أساس التقويم العالمى اليوم؟

وهل تعرف أن جميع الأبجديات للغات الأوروبية والسامية هى من أصل فرعونى مشترك؟

وهل تعرف أن المصريين برعوا فى فنون الموسيقى حتى إن أفلاطون، الفيلسوف الإغريقى الكبير، وصفها بأنها أرقى موسيقات العالم وأنها تجمع بين النشاط والتعبير عن الحقيقة والجمال وحلاوة النغم حتى إنه لم ير خيراً منها ليقدمها لجمهوريته المثالية؟

وهل تتصور أن المصرى القديم كان إنساناً محباً للمرح بارع النكتة، بل هل يمكنك أن تتخيل أن المصرى القديم كان عاشقاً يتودد لمحبوبته بأرق الأشعار ويسمعها حلو الكلمات؟

إنها لوحة بارعة تقدم لنا المصرى القديم فى ثوب جديد وتبعثه أمامنا من وراء حجب التاريخ، وتبدد تلك الص[illegible] الكئيبة العبوس التى يحاول البعض أن يخلعها على الحض[illegible] المصرية القديمة، فيرى المرء الصورة الحقيقية لها، حض[illegible] قوية شامخة، وليدة شعب عاشق للحياة مقبل عليها.



٧٧٥ قرشاً

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب